من مكتبة التراث

القرآن

كلام الله حقيقة

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية

الجزء الثاني

حقق نصوصه وخرج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمه

الحمد الله رب العالمين : والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى وصحبه وسلم .

يطيب لنا أن نقدم للامة الاسلامية بعامه وللناطقين بلغة الضاد بخاصة " الجزء الثانى من كتاب القرآن كلام الله حقيقة لشيخ الاسلام : أحمد بن عبد الحليم بن تيميه . بعد أن أعاننا الله سبحانه وتعالى فى أخراج الجزء الأول من هذا الكتاب من شهور قليله والذى استقبلته الأمه الاسلامية بقبول حسن كعهدها دائما مع نتاج هذا العملاق الكبير .

الأمر الذى جعلنا نسير فى هذا الخط وهو الاهتمام بتراث هذا العالم وابرازها للوجود .

ولقد تكلمنا فى مقدمة الجزء الأول عن أهمية هذا الكتاب والدور الكبير الذى يمكن أن يلعبه فى تآلف الأمة الاسلامية وجمع صفوفها وخصوصاً فى هذه الفترة العصيبة التى تمر بها الأمة الاسلامية .

ونقول فترة عصيبة ، لأن المتصفح لخارطة العالم الاسلامى فى عالمنا المعاصر يهوله مايرى من المحاولات الجريئة والهجمات الشرسة التى يشنها الملاحدة وتجار الشعوب على الأمة الاسلامية والعمل على طردهم من بلادهم وديارهم .

ونعتقد أن المشكلة الحقيقية للمسلمين فى كل أرض ومصر هو بعدهم عن كتاب الله حتى أوشك أن ينطبق عليهم قول الله تعالى :

"نسوا الله فأنساهم أنفسهم "[١]

إن هذا الكتاب ـ كما قلنا سابقاً ـ دعوة الى جمع الصف وتوحيد الهدف أمام الأمة الاسلامية تحت مظلة القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه .

فهل نحن فاعلون .. ؟

نرجو من الله ذلك وعلى الله قصد السبيل .

د . عبد الرحمن عميره

---

١ ـ سورة الحشر آية رقم ١٩

أنواع التكليم

قد بين الله تعالى أنواع تكليمه لعباده فى قوله(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً،أو من وراء حجاب،أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)(١) فبين سبحانه ان التكليم تارة يكون وحياً،وتارة من وراء حجاب كما كلم موسى،وتارة يرسل رسولا فيوحى الرسول باذن الله ما يشاء،وقال تعالى: (الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس)(٢) فاذا أرسل الله تعالى رسولا كان ذلك مما يكلم به عباده فيتلوه عليهم وينبئهم به كما قال تعالى (قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم)(٣)وإنما نبأهم بواسطة الرسول والرسول مبلغ به،كما قال تعالى:(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)(٤)وقال تعالى:(ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) وقال تعالى: (وما على الرسول إلا البلاغ المبين)(٥)

والرسول أمر أمته بالتبليغ عنه.ففى صحيح البخارى عن عبد الله ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه قال:«بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج،ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٦)وقال

---

١ ـ سورة الشورى آية رقم ٥١

٢ ـ سورة الحج آية رقم ٧٥

٣ ـ سورة المائدة آية رقم ٦٧

٤ ـ سورة المائدة آية رقم ٦٧

٥ ـ سورة العنكبوت آية رقم ١٨

٦ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأنبيا،٣٤٦١بسنده عن عبد الله بن عمرو أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره ، واخرجه الترمذى فى العلم ١٣ واحمد بن حنبل فى المسند٢:١٥٩، ٢ ٣٠٢(حلبى)

صلى الله عليه وسلم لما خطب المسلمين: «ليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع»[1] وقال صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فبلغه الى من لم يسمعه، فرب حامل فقه غير فقيه، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه»[2]

وفي السنن عن جابر قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول «ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي، فان قريشاً منعوني ان ابلغ كلام ربي»[3]

وكما لا يقل أحد من السلف إنه مخلوق، فلم يقل أحد منهم إنه قديم، لم يقل واحداً من القولين أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان ولا من بعدهم من «الأئمة الأربعة» ولا غيرهم: بل الآثار متواترة عنهم بأنهم كانوا يقولون القرآن كلام الله، ولما ظهر من قال انه مخلوق قالوا رداً لكلامه: انه غير مخلوق، ولم يريدوا بذلك انه مفترى كما ظنه بعض الناس، فان احداً من المسلمين لم يقل انه مفترى، بل هذا كفر ظاهر يعلمه كل مسلم، وانما قالوا انه مخلوق خلقه الله في غيره، فرد السلف هذا القول، كما تواترت الآثار عنهم بذلك وصنف في ذلك مصنفات متعددة، وقالوا: منه بدأ واليه يعود.

وأول من عرف أنه قال مخلوق: الجعد بن درهم وصاحبه الجهم ابن صفوان، وأول من عرف انه قال هو قديم عبد الله بن سعيد بن كلاب، ثم افترق الذين شاركوه في هذا القول.

---

١ - سبق تخريج الحديث في الجزء الأول

٢ - الحديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة١٨باب من بلغ علماً. ٢٣بسنده عن يحيى بن عباد أبي هبيرة الأنصاري عن أبيه عن زيد بن ثابت، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وذكره .

٣ - سبق تخريج هذا الحديث في الجزء الأول

فمنهم من قال:الكلام معنى واحد قائم بذات الرب،ومعنى القرآن كله والتوراة والانجيل وسائر كتب الله وكلامه هو ذلك المعنى الواحد الذي لا يتعدد ولا يتبعض،والقرآن العربي لم يتكلم الله به.

بل هو مخلوق خلقه فى غيره.وقال جمهور العقلاء:هذا القول معلوم الفساد بالاضطرار،فانه من المعلوم بصريح العقل ان معنى «آية الكرسي» ليس معنى «آية الدين» ولا معنى(قل هو الله أحد)معنى(تبت يدا أبى لهب)فكيف بمعانى كلام الله كله فى الكتب المنزلة وخطابه لملائكته وحسابه لعباده يوم القيامة وغير ذلك من كلامه؟! .

ومنهم من قال:هو حروف أو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لذاته لم يزل ولا يزال موصوفا بها.

وكلا الحزبين يقول:ان الله تعالى لا يتكلم بمشيئته وقدرته،وانه لم يزل ولا يزال يقول:يا نوح!يا ابراهيم!يا أيها المزمل!يا أيها المدثر!كما قد بسطت أقوالهم فى غير هذا الموضع،ولم يقل أحد من السلف بواحد من القولين،ولم يقل أحد من السلف:ان هذا القرآن عبارة عن كلام الله،ولا حكاية له،ولا قال احد منهم إن لفظي بالقرآن قديم او غير مخلوق،فضلا عن ان يقول:إن صوتي به قديم أو غير مخلوق؛بل كانوا يقولون بما دل عليه الكتاب والسنة من أن هذا القرآن كلام الله،والناس يقرءونه بأصواتهم ويكتبونه بمدادهم وما بين اللوحين كلام الله وكلام الله غير مخلوق.

وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال:«لا تسافروا

بالقرآن إلى أرض العدو» [1] وقال تعالى:(بل هو قرآن مجيد،فى لوح محفوظ)[2]والمداد الذي يكتب به القرآن مخلوق،والصوت الذي يقرأ به هو صوت العبد،والعبد وصوته وحركاته وسائر صفاته مخلوقة فالقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الباري،والصوت الذي يقرأ به العبد صوت القارىء،كما قال تعالى:(وان احد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مأمنه)[3]وقال النبى صلى الله عليه وسلم «زينوا القرآن بأصواتكم» فبين أن الاصوات التى يقرأ بها القرآن أصواتنا والقرآن كلام الله،ولهذا قال أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة:يحسنه الانسان بصوته كما قال ابو موسي الاشعري للنبى صلى الله عليه وسلم:«لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيراً».[4]

فكان ما قاله احمد وغيره من أئمة السنة من ان الصوت صوت العبد موافقاً للكتاب والسنة، وقد قال تعالى:(واقصد في مشيك واغضض من صوتك)[5]وقال تعالى:(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى)[6]وقال تعالى:(ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى)[7]وقال تعالى:(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب الامارة ٩٢ (١٨٦٩) عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: وذكره. وأخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ١٢٩ وأبو داود فى الجهاد ٨١ وابن ماجة فى كتاب الجهاد ٤٥ وصاحب الموطأ فى الجهاد ٧ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢:٦، ٧، ١٠، ٥٥ (حلبى)

٢ ـ سورة البروج الآيتان ٢٢ ـ ٢٣

٣ ـ سورة التوبة آية رقم ٦

٤ ـ سبق الحديث عن هذا الأثر

٥ ـ سورة لقمان آية رقم ١٩

٦ ـ سورة الحجرات آية رقم ٢

٧ ـ سورة الحجرات آية رقم ٣

بمثله مدداً)[1] ففرق سبحانه بين المداد الذي تكتب به كلماته وبين كلماته،فالبحر وغيره من المداد الذي يكتب به الكلمات مخلوق وكلمات الله غير مخلوقة. وقال تعالى:(ولو أنما فى الأرض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله)[2] فالابحر إذا قدرت مداداً تنفد وكلمات الله لا تنفد؛ولهذا قال أئمة السنة:لم يزل الله متكلما كيف شاء وبما شاء، وكما ذكرت الآثار بهذه المعاني عن ابن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما.

هذا وقد اخبر سبحانه عن نفسه بالنداء فى اكثر من عشرة مواضع،فقال تعالى:(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة،وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين؟)[3]وقال تعالى:(ويوم يناديهم اين شركائى الذين كنتم تزعمون؟)[4](ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين)[5]وذكر سبحانه نداءه لموسى عليه السلام فى سورة «طه» و «مريم» و «الطس الثلاث» وفى سورة و «النازعات» واخبر انه ناداه فى وقت بعينه فقال تعالى(فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني انا الله رب العالمين)[6]وقال تعالى:(هل أتاك حديث موسى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)[7]وقال تعالى:(وما كنت بجانب الطور إذ نادينا)[8]

واستفاضت الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين

١- سورة الكهف آية رقم ١٠٩
٢ - سورة لقمان آية رقم ٢٧
٣ - سورة الأعراف آية رقم ٢٢
٤ - سورة الأنعام آية رقم ٢٢
٥ - سورة القصص آية رقم ٦٥
٦ - سورة القصص آية رقم ٣٠
٧ - سورة النازعات آية رقم ١٦
٨ - سورة القصص آية رقم ١٦

ومن بعدهم من أئمة السنة انه سبحانه ينادي بصوت:نادى موسى،وينادى عباده يوم القيامة بصوت،ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن احد من السلف أنه قال:ان الله يتكلم بلا صوت او بلا حرف،ولا أنه أنكر ان يتكلم الله بصوت او بحرف،كما لم يقل احد منهم ان الصوت الذي سمعه موسي قديم،ولا ان ذلك النداء قديم،ولا قال احد منهم:ان هذه الاصوات المسموعة من القراء هي الصوت الذي تكلم الله به؛بل الآثار مستفيضة عنهم بالفرق بين الصوت الذي يتكلم الله به وبين اصوات العباد.

وكان أئمة السنة يعدون من انكر تكلمه بصوت من الجهمية،كما قال الامام أحمد لما سئل عمن قال:ان الله لا يتكلم بصوت، فقال:هؤلاء جهمية، إنما يدورون على التعطيل. وذكر بعض الآثار المروية فى انه سبحانه يتكلم بصوت.وقد ذكر من صنف في السنة[1]من ذلك قطعة،وعلى ذلك ترجم عليه البخاري فى صحيحه بقوله تعالى:(حتى إذا فزع عن قلوبهم)[2]وقد ذكر البخاري فى «كتاب خلق الأفعال» مما يبين به الفرق بين الصوتين آثاراً متعددة.وكانت محنة البخاري مع اصحابه محمد بن يحيى الذهلي[3]وغيره بعد موت محمد بسنين ولم يتكلم أحمد في البخاري إلا بالثناء عليه.ومن نقل عن احمد انه تكلم فى البخاري بسوء فقد افترى عليه.

---

١ ـ بياض بالاصل .

٢ ـ سورة سبأ آية رقم ٢٣

٣ ـ هو محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلى مولاهم النيسابورى أبو عبد الله من حفاظ الحديث ثقة من أهل نيسابور رحل رحلة واسعة فزار بغداد والبصرة وغيرهما فى طلب الحديث . روى عنه البخارى أربعة وثلاثين حديثاً انتهت إليه مشيخة العلم بخراسان توفى عام ٢٥٨

راجع تذكرة الحفاظ ٢ : ١٠١ وتهذيب التهذيب ٩ : ٥١١

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرخي فى كتابه الذي سماه (الفصول فى الأصول)قال: سمعت الامام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا حامد الأسفرائيني[1]يقول:مذهبى ومذهب الشافعي[2]وفقهاء الامصار ان القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال:مخلوق فهو كافر،والقرآن حمله جبريل مسموعا من الله،والنبى صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل،والصحابة سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا،وفيما بين الدفتين، وما فى صدورنا:مسموعا،ومكتوبا، ومحفوظا،وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق،ومن قال: مخلوق فهو كافر،عليه لعائن الله والناس أجمعين.

وقد كان طائفة من أهل الحديث والمنتسبين الى السنة تنازعوا فى اللفظ بالقرآن هل يقال انه مخلوق؟ولما حدث الكلام فى ذلك أنكرت أئمة السنة كاحمد بن حنبل وغيره أن يقال:لفظي بالقرآن مخلوق او غير مخلوق، وقالوا:من قال:انه مخلوق فهو جهمي،ومن قال انه غير مخلوق فهو مبتدع.وأما صوت العبد فلم يتنازعوا انه مخلوق،فان المبلغ لكلام غيره

---

١ ـ هو أحمد بن محمد بن أحمد الاسفراييني أبو حامد من أعلام الشافعية ولد فى اسفرايين عام ٣٤٤ هـ ورحل الى بغداد فتفقه فيها وعظمت مكانته وألف كتباً منها «الرونق» توفى فى بغداد عام ٤٠٦ هـ

راجع طبقات الشافعية ٣:٢٤ والبداية والنهاية ١٢:٢٤ وابن خلكان ١:١٩

٢ ـ هو محمد بن ادريس الشافعي أبو عبد الله أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة واليه نسبة الشافعية كان ولد فى غزة عام ١٥٠ هـ وحمل الى مكة وزار بغداد مرتين وقصد مصر سنة ١٩٩ هـ فتوفى بها عام ٢٠٤ هـ له مصنفات كثيرة منها الام، والرسالة، والمسند وغير ذلك

راجع تذكرة الحفاظ ١:٣٢٩ وتهذيب التهذيب ٩:٢٥ والوفيات ١:٤٤٧

بلفظ صاحب الكلام انما بلغ غيره،كما يقال:روى الحديث بلفظه وانما يبلغه بصوت نفسه لا بصوت صاحب الكلام.

و(اللفظ)في الأصل مصدر لفظ يلفظ لفظاً،وكذلك «التلاوة والقراءة» مصدران؛لكن شاع استعمال ذلك فى نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو،وهو المراد باللفظ فى اطلاقهم،فاذا قيل:لفظي او اللفظ بالقرآن مخلوق أشعر ان هذا القرآن الذي يقرؤه ويلفظ به مخلوق،واذا قيل:لفظي غير مخلوق أشعر ان شيئاً مما يضاف اليه غير مخلوق،وصوته وحركته مخلوقان،لكن كلام الله الذي يقرؤه غير مخلوق،و «التلاوة» قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى وقد يراد بها نفس حركة العبد،وقد يراد بها مجموعهما.فاذا أريد بها الكلام نفسه الذى يتلى فالتلاوة هي المتلو،وإذا أريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو،وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام فلا يطلق عليها انها المتلو ولا انها غيره.

ولم يكن أحد من السلف يريد بالتلاوة مجرد قراءة العباد وبالمتلو مجرد معنى واحد يقوم بذات البارى تعالى:بل الذي كانوا عليه ان القرآن كلام الله تكلم الله به بحروفه ومعانيه،ليس شيء منه كلاما لغيره،لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما؛بل قد كفر الله من جعله قول البشر،مع انه سبحانه أضافه تارة إلى رسول من البشر وتارة الى رسول من الملائكة،فقال تعالى: (انه لقول رسول كريم،وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون،ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون،تنزيل من رب العالمين)[1]فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم،وقال تعالى: (انه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش

---

١ ـ سورة الحاقة الآيات من ٤٠ ـ ٤٣

مكين،مطاع ثم أمين.وما صاحبكم بمجنون،ولقد رآه بالافق المبين،وما هو على الغيب بضنين،وما هو بقول شيطان رجيم،فأين تذهبون؟إن هو إلا ذكر للعالمين)[1]فالرسول هنا جبريل.

وأضافه سبحانه إلى كل منهما باسم رسول لأن ذلك يدل على انه مبلغ له من غيره،وأنه رسول فيه لم يحدث هو شيئاً منه:إذ لو كان قد أحدث منه شيئا لم يكن رسولا فيما أحدثه بل كان منشئا له من تلقاء نفسه،وهو سبحانه يضيفه الى رسول من الملائكة تارة ومن البشر تارة،فلو كانت الاضافة لكونه أنشأ حروفه لتناقض الخبران،فان انشاء أحدهما له يناقض انشاء الآخر له.وقد كفر الله تعالى من قال : انه قول البشر،فمن قال ان القرآن أو شيئاً منه قول بشر او ملك فقد كذب،ومن قال انه قول رسول من البشر ومن الملائكة بلغه عن مرسله ليس قولا انشأه فقد صدق،ولم يقل أحد من السلف:ان جبريل أحدث الفاظه ولا محمداً صلى الله عليه وسلم،ولا ان الله تعالى خلقها فى الهواء أو غيره من المخلوقات،ولا ان جبريل أخذها من اللوح المحفوظ،بل هذه الاقوال هي من أقوال بعض المتأخرين.

وقد بسط الكلام في غير هذا الموضع على تنازع المبتدعين الذين اختلفوا فى الكتاب وبين فساد أقوالهم،وان القول السديد هو قول السلف وهو الذي يدل عليه النقل الصحيح والعقل الصريح وإن كان عامة هؤلاء المختلفين فى الكتاب لم يعرفوا القول السديد قول السلف؛بل ولا سمعوه،ولا وجدوه فى كتاب من الكتب التى يتداولونها؛أنهم لا يتداولون الآثار السلفية ولا معانى الكتاب والسنة إلا بتحريف بعض المحرفين لها،ولهذا إنما يذكر أحدهم أقوالا مبتدعة:إما قولين،وإما ثلاثة،وإما أربعة، وإما خمسة،والقول الذي كان عليه السلف ودل عليه الكتاب والسنة لا يذكره

---

١ ـ سورة التكوير الآيات من ١٩ ـ ٢٧

لانه لا يعرفه؛ولهذا تجد الفاضل من هؤلاء حائراً مقراً بالحيرة على نفسه وعلى من سبقه من هؤلاء المختلفين لانه لم يجد فيما قالوه قولا صحيحاً.

وكان أول من ابتدع الاقوال «الجهمية المحضة النفاة» الذين لا يثبتون الأسماء والصفات،فكانوا يقولون أولاً:ان الله تعالى لا يتكلم بل خلق كلاماً فى غيره وجعل غيره يعبر عنه،وان قوله تعالى:(وإذ نادى ربك موسى)[1] وقول النبى صلى الله عليه وسلم «ان الله ينزل الى السماء الدنيا كل ليلة إذا بقي ثلث الليل،فيقول:من يدعونى فاستجيب له؟من يسألني فأعطيه؟من يستغفرني فأغفر له؟ [2]معناه ان ملكا يقول ذلك عنه،كما يقال:نادى السلطان،أى أمر مناديا ينادى عنه،فاذا تلي عليهم ما أخبر الله تعالى به عن نفسه من انه يقول ويتكلم.قالوا هذا مجاز؛كقول العربي:

امتلأ الحوض وقال قطني.

وقالت[3]:اتساع بطنه، ونحو ذلك.

فلما عرف السلف حقيقته وانه مضاه المتفلسفة المعطلة الذين يقولون ان الله تعالى لم يتكلم،وانما أضافت الرسل اليه الكلام بلسان الحال كفروهم وبينوا ضلالهم،ومما قالوا لهم:ان المنادي عن غيره ـ كمنادي السلطان ـ يقول:أمر السلطان بكذا،خرج مرسومه بكذا،لا يقول ابى آمركم بكذا عن كذا،والله تعالى يقول فى تكليمه لموسى(انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى)[4]ويقول تعالى إذا نزل ثلث الليل الغابر:

---

١ ـ سورة الشعراء آية رقم ١٠

٢ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب صلاة المسافرين ١٦٨ (٧٥٨) عن ابن شهاب عن أبى عبد الله الأغر ، وعن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : وذكره . وأخرجه البخارى فى التهجد ١٤ وأبو داود فى السنة ١٩ والترمذى فى الصلاة ٢١١ والدعوات ٧٨ واحمد بن حبل فى المسند ٢ : ٢٦٤ ـ ٢٦٧، ٢٨٢ (حلبى)

٣ ـ كذا بالأصل

٤ ـ سورة طه آية رقم ١٤

«من يدعونى فأستجيب له،من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له؟» وإذا كان القائل ملكا قال ـ كما في الحديث الذي في الصحيحين ـ «اذا أحب الله العبد نادى في السماء يا جبريل!انى أحب فلانا فاحبه،فيحبه جبريل،وينادي في السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه،فيحبه أهل السماء، ويوضع له القبول في الأرض»[1]فقال جبريل في ندائه عن الله تعالى:«ان الله يحب فلانا فأحبوه»،وفي نداء الرب يقول «من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟»

فان قيل:فقد روى أنه يأمر مناديا فينادي،قيل : هذا ليس في الصحيح فان صح أمكن الجمع بين الخبرين بان ينادي هو ويأمر مناديا ينادي،أما أن يعارض بهذا النقل النقل الصحيح المستفيض الذي اتفق اهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول مع أنه صريح فى ان الله تعالى هو الذي يقول: «من يدعونى فأستجيب له،من يسألني فأعطيه من يستغفرنى فاغفر له؟» فلا يجوز.

وكذلك جهم كان ينكر أسماء الله تعالى فلا يسميه شيئاً ولا حيا ولا غير ذلك إلا على سبيل المجاز.قال:لأنه إذا سمي باسم تسمى به المخلوق كان تشبيهاً،وكان جهم «مجبراً» يقول:ان العبد لا يفعل شيئاً،فلهذا نقل عنه أنه سمى الله قادراً؛لأن العبد عنده ليس بقادر.

---

١ ـ هذا جزء من حديث طويل أخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق ٦ والتوحيد ٣٣ وأخرجه الامام مسلم فى كتاب البر ١٥٧ بسنده عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وذكره . وأخرجه الترمذى فى كتاب التفسير ١٩ وصاحب الموطأ فى الشعر ١٥ وأحمد إ بن حنبل فى المسند ٢ : ٢٦٧ ـ ٣٤١ ، ٤١٣ (حلبى)

ثم ان المعتزلة الذين اتبعوا عمرو بن عبيد[1]على قوله في القدر والوعيد دخلوا في مذهب جهم،فأثبتوا أسماء الله تعالى ولم يثبتوا صفاته، وقالوا: نقول ان الله متكلم حقيقة،وقد يذكرون إجماع المسلمين على أن الله متكلم حقيقة،لئلا يضاف اليهم أنهم يقولون: انه غير متكلم،لكن معنى كونه سبحانه متكلما عندهم انه خلق الكلام في غيره،فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء،لكن هؤلاء يقولون هو متكلم حقيقة وأولئك ينفون أن يكون متكلما حقيقة.وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم فأنه لا يعقل متكلم إلا من قام به الكلام،ولا مريد الا من قامت به الارادة،ولا محب ولا راض ولا مبغض ولا رحيم إلا من قامت به الارادة والمحبة والرضى والبغض والرحمة،وقد وافقهم على ذلك كثير ممن انتسب في الفقه إلى أبي حنيفة[2]من المعتزلة. وغيرهم من أئمة المسلمين ليس فيهم من يقول بقول المعتزلة لا في نفي الصفات ولا في القدر ولا المنزلة بين المنزلتين ولا انفاذ الوعيد.

---

١ ـ هو عمر بن عبيد بن باب التيمي بالولاء أبو عثمان البصري شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها وأحد الزهاد المشهورين كان جده من سبي فارس وابوه نساجاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة واشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور العباسي وغيره مشهورة توفي عام ١٤٤ هـ له رسائل وخطب وكتب منها «التفسير» و «الرد على القدرية» .

راجع وفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ والبداية والنهاية وميزان الاعتدال ٢ : ٢٩٤

٢ ـ هو النعمان بن ثابت الكوفي أبو حنيفه امام الحنفية الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة قيل: أصله من أبناء فارس ولد ونشأ بالكوفة عام ٨٠ هـ وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه ثم انقطع للتدريس والافتاء من مؤلفاته : المسند في الحديث، والمخارج في الفقة، وتنسب إليه رسالة، «الفقه الاكبر» توفي عام ١٥٠ هـ

راجع تاريخ بغداد ١٣ : ٣٢٣ ـ ٤٢٣ وابن خلكان ٢ : ١٦٣ والنجوم الزاهرة ٢ : ١٢

ثم تنازع المعتزلة والكلابية فى حقيقة «المتكلم» فقالت المعتزلة:المتكلم من فعل الكلام ولو أنه أحدثه فى غيره،ليقولوا ان الله يخلق الكلام فى غيره وهو متكلم به.وقالت الكلابية:المتكلم من قام به الكلام وان لم يكن متكلما بمشيئته وقدرته ولا فعل فعلاً أصلا بل جعلوا المتكلم بمنزلة الحي الذي قامت به الحياة،وان لم تكن حياته بمشيئته ولا قدرته ولا حاصلة بفعل من أفعاله.

وأما السلف واتباعهم وجمهور العقلاء فالمتكلم المعروف عندهم من قام به الكلام،وتكلم بمشيئته وقدرته.لا يعقل متكلم لم يقم به الكلام،ولا يعقل متكلم بغير مشيئته وقدرته،فكان كل من تينك الطائفتين المبتدعتين أخذت بعض وصف المتكلم:المعتزلة أخذوا انه فاعل،والكلابية اخذوا انه محل الكلام،ثم زعمت المعتزلة انه يكون فاعلا للكلام فى غيره وزعموا هم ومن وافقهم من اتباع الكلابية كابى الحسن وغيره ان الفاعل لا يقوم به الفعل، وكان هذا مما انكره السلف وجمهور العقلاء،وقالوا لا يكون الفاعل إلا من قام به الفعل،وانه يفرق بين الفاعل والفعل والمفعول،وذكر البخاري في «كتاب خلق أفعال العباد»[1]اجماع العلماء على ذلك.

والذين قالوا ان الفاعل لا يقوم به الفعل،وقالوا مع ذلك ان الله فاعل أفعال العباد كابى الحسن وغيره،وان العبد لم يفعل شيئاً وأن جميع ما يخلقه العبد فعل له،وهم يصفونه بالصفات الفعلية المنفصلة عنه ويقسمون صفاته إلى صفات ذات وصفات افعال،مع ان الافعال عندهم هي المفعولات المنفصلة عنه،فلزمهم ان يوصف بما خلقه من الظلم و،القبائح مع قولهم انه لا

١ ـ راجع هذا الكتاب بتحقيقنا ط دار اللواء بالرياض،ودار عكاظ بجدة .

يوصف بما خلقه من الكلام وغيره،فكان هذا تناقضاً منهم تسلطت به عليهم المعتزلة.ولما قرروا ما هو من أصول اهل السنة وهو ان المعنى إذا قام بمحل اشتق له منه اسم ولم يشتق لغيره منه اسم كاسم المتكلم نقض عليهم المعتزلة ذلك باسم الخالق والعادل فلم يجيبوا عن النقض بجواب سديد.

وأما السلف والأئمة فاصلهم مطرد.ومما احتجوا به على ان القرآن غير مخلوق ما احتج به الامام احمد وغيره من قول النبى صلى الله عليه وسلم «اعوذ بكلمات الله التامات»[1].وقالوا: والمخلوق لا يستعاذ به،فعورضوا بقوله «اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك»[2]فطرد السلف والأئمة أصلهم وقالوا: معافاته فعله القائم به،وأما العافية الموجودة فى الناس فهى مفعوله.

وكذلك قالوا:ان الله خالق أفعال العباد.فأفعال العباد القائمة بهم مفعولة له لا نفس فعله،وهى نفس فعل العبد،وكان حقيقة قول اولئك نفي فعل الرب ونفي فعل العبد،فتسلطت عليهم المعتزلة فى «مسألة الكلام والقدر» تسلطاً بينوا به تناقضهم كما بينوا هم تناقض المعتزلة.

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب الذكر(٢٧٠٨)بسنده عن يزيد بن أبى حبيب عن الحارث بن يعقوب أن يعقوب بن عبد الله حدثه أنه سمع يسر بن سعيد يقول: سمعت سعد بن أبى وقاص يقول:سمعت خولة بنت حكيم السلمية تقول سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول: وذكره وأخرجه البخارى فى الأنبياء ١٠ وأبو داود فى الطب ١٩ والترمذى فى الطب ١٨ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢:١٨١ . ٢٩٠ . ٣٧٥(حلبى)   ٢ ـ الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الصلاة ٢٢٢ (٤٨٦) بسنده عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج ،عن أبى هريرة،عن عائشة قالت:فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول: وذكره

وأخرجه أبو داود فى الصلاة ١٤٨ والوتره والترمذى فى كتاب الدعوات ٧٥ . ١١٢ والنسائى فى الطهارة ١١٩ وأحمد بن حنبل فى المسند ١:٩٦، ١١٨، ١٥٠ (حلبى)

وهذا أعظم ما يستفاد من أقوال المختلفين الذين أقوالهم باطلة.فانه يستفاد من قول كل طائفة بيان فساد قول الطائفة الأخرى،فيعرف الطالب فساد تلك الأقوال،ويكون ذلك داعياً له إلى طلب الحق،ولا تجد الحق إلا موفقاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تجد ما جاء به الرسول إلا موافقاً لصريح المعقول،فيكون ممن له قلب او ألقى السمع وهو شهيد،وممن له قلب يعقل به وأذن يسمع بها ،بخلاف الذين قالوا :(لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير)[1].

وقد وافق الكلابية على قولهم كثير من أهل الحديث والتصوف،ومن أهل الفقه المنتسبين الى الأئمة الأربعة،وليس من الأئمة الأربعة وأمثالهم من أئمة المسلمين من يقول بقولهم.

وحدث مع الكلابية ونحوهم طوائف أخرى من الكرامية وغير الكرامية من أهل الفقه والحديث والكلام فقالوا:إنه سبحانه متكلم بمشيئته وقدرته كلاماً قائماً بذاته،وهو يتكلم بحروف وأصوات بمشيئته وقدرته، ليتخلصوا بذلك من بدعتى المعتزلة والكلابية،لكن قالوا انه لم يكن يمكنه فى الأزل أن يتكلم:بل صار الكلام ممكناً له بعد ان كان ممتنعاً عليه،من غير حدوث سبب أوجب إمكان الكلام وقدرته عليه،وهذا القول مما وافق الكرامية عليه كثير من أهل الكلام والفقه والحديث:لكن ليس من الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة المسلمين من نقل عنه مثل قولهم.وهذا مما شاركوا فيه الجهمية والمعتزلة؛فان هؤلاء كلهم يقولون:انه لم يكن الكلام ممكناً له فى الأزل ثم صار ممكناً له بعد أن كان ممتنعاً عليه من غير حدوث سبب أوجب إمكانه؛

---

١ ـ سورة الملك آية رقم ١٠

لكن الجهمية والمعتزلة يقولون انه خلق كلاماً في غيره من غير أن يقوم به كلام؛لأنه لو قام به كلام بمشيئته وقدرته لقامت به الحوادث،قالوا:ولا تقوم به الحوادث.قالت الجهمية والمعتزلة.لأن الحوادث هي من جملة الصفات التي يسمونها الأعراض.وعندهم لا يقوم به شيء من الصفات،قالوا لأن الصفات أعراض والعرض لا يقوم إلا بجسم وليس هو بجسم؛لأن الجسم لا يخلو من الحوادث وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

وقالت الكلابية:بل تقوم به الصفات ولا تقوم به الحوادث،ونحن لا نسمي الصفات اعراضاً؛لأن العرض عندنا لا يبقى زمانين، وصفات الله تعالى باقية.وقالوا:وأما الحوادث فلو قامت به لم يخل منها؛لأن القابل للشيء لا يخلو منه ومن ضده،وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث.

فقال الجمهور المنازعون للطائفتين:أما قول أولئك: انه لا تقوم به الصفات؛لأنها اعرض والعرض لا يقوم إلا بجسم وليس بجسم،فتسمية ما يقوم بغيره عرضاً اصطلاح حادث،وكذلك تسمية ما يشار اليه جسما اصطلاح حادث أيضاً،و «الجسم» في لغة العرب هو البدن وهو الجسد كما قال غير واحد من أهل اللغة منهم الأصمعي[1]وأبو عمرو[2] ،فلفظ الجسم

---

١ ـ هو عبد الملك بن قريب بن على بن اصمع الباهلى أبو سعيد الأصمعى راوية العرب،وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان نسبته إلى جدة أصمع مولده عام ١٢٢ هـ فى البصرة ووفاته بها عام ٢١٦ هـ كان كثير التطواف فى البوادى يقتبس علومها ويتلقى أخبارها،وكان الرشيد يسميه شيطان الشعر له مصنفات كثيرة منها الأضداد،وخلق الإنسان والمترادف وغير ذلك كثير.

راجع السيرا فى ٥٨ وجمهرة الأنساب ٢٣٤ وابن خلكان ١:٢٨٨

٢ ـ لعله يقصد عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى أبو عثمان الشهير بالجاحظ كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية. راجع لسان الميزان ٥:٣٥٥

يشبه لفظ الجسد وهو الغليظ الكثيف.والعرب تقول هذا جسيم وهذا أجسم من هذا أي أغلظ منه.قال تعالى(وزاده بسطة فى العلم والجسم)[1]وقال تعالى(واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم)[2]ثم قد يراد بالجسم نفس الغلظ والكثافة، ويراد به الغليظ الكثيف.

وكذلك النظار يريدون بلفظ «الجسم» تارة المقدار،وقد يسمونه الجسم التعليمي،وتارة يريدون به الشيء المقدر،وهو الجسمي الطبيعي والمقدار المجرد عن المقدر كالعدد المجرد عن المعدود،وذلك لا يوجد إلا فى الأذهان دون الأعيان.وكذلك السطح والخط والنقطة المجردة عن المحل الذي تقوم به لا يوجد إلا فى الذهن.قالوا وإذا كان هذا معنى الجسم بلغة العرب فهو أخص من المشار إليه،فان الروح القائمة بنفسها لا يسمونها جسما،بل يقولون خرجت روحه من جسمه،ويقولون انه جسم وروح،ولا يسمون الروح جسما،ولا النفس الخارج من الانسان لكن أهل الكلام اصطلحوا على أن كل ما يشار إليه يسمى،كما اصطلحوا على أن كل ما يقوم بنفسه يسمى جوهراً، ثم تنازعوا فى ان كل ما يشار إليه هل هو مركب من الجوهر الفردة،أو من المادة والصورة،او ليس مركباً لا من هذا ولا من هذا على اقوال ثلاثة قد بسطت فى غير هذا الموضع؛ولهذا كان كثير منهم يقولون الجسم عندنا هو القائم بنفسه،او هو الموجود لا المركب.

قال اهل العلم والسنة:فاذا قالت الجهمية وغيرهم من نفاة الصفات:ان الصفات لا تقوم الا بجسم،والله تعالى ليس بجسم،قيل لهم:ان اردتم

---

١ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٤٧ ٢ ـ سورة المنافقون آية رقم ٤

بالجسم ما هو مركب من جواهر فردة أو ما هو مركب من المادة والصورة لم نسلم لكم «المقدمة الاولى» وهي قولكم:إن الصفات لا تقوم إلا بما هو كذلك،قيل لكم ان الرب تعالى قائم بنفسه والعباد يرفعون ايديهم إليه فى الدعاء ويقصدونه بقلوبهم وهو العلي الأعلى سبحانه،ويراه المؤمنون بأبصارهم يوم القيامة عيانا كما يرون القمر ليلة البدر،فان قلتم:إن ما هو كذلك فهو جسم وهو محدث، ـ كان هذا بدعة مخالفة للغة والشرع والعقل، وإن قلتم:نحن نسمي ما هو كذلك جسما ونقول انه مركب،قيل تسميتكم التى ابتدعتموها هي من الاسماء التى ما انزل الله بها من سلطان،ومن عمد إلى المعانى المعلومة بالشرع والعقل وسماها باسماء منكرة لينفر الناس عنها قيل:له النزاع فى معانى لا فى الألفاظ ولو كانت الألفاظ موافقة للغة، فكيف اذا كانت من ابتداعهم؟ومعلوم ان المعاني التى يعلم ثبوتها بالشرع والعقل لا تدفع بمثل هذا النزاع اللفظي الباطل.واما قولهم ان كل ما كان تقوم به الصفات وترفع الأيدي إليه ويمكن أن يراه الناس بابصارهم فانه لا بد أن يكون مركباً من الجواهر المفردة أو من المادة والصورة فهذا ممنوع؛بل هو باطل عند جمهور العقلاء:من النظار والفقهاء وغيرهم،كما قد بسط فى موضعه.

قال الجمهور:واما تفريق الكلابية بين المعاني التى لا تتعلق بمشيئته وقدرته والمعاني التى تتعلق بمشيئته وقدرته ـ التى تسمى الحوادث، ومنهم من يسمي الصفات اعراضاً، لان العرض لا يبقى زمانين ـ فيقال: قول القائل: ان العرض[1] الذي هو السواد والبياض والطول والقصر ونحو ذلك لا

١ ـ العرب يطلقون العرض على عدة معان فهو يدل على أن الأمر الذى يعرض للمرء من ===

يبقي زمانين قول محدث في الاسلام،لم يقله احد من السلف والائمة،وهو قول مخالف لما عليه جماهير العقلاء من جميع الطوائف:بل من الناس من يقول انه معلوم الفساد بالاضطرار،كما قد بسط فى موضع آخر.

وأما تسمية المسمي للصفات اعراضاً فهو امر اصطلاحي لمن قاله من أهل الكلام ليس هو عرف أهل اللغة ولا عرف سائر أهل العلم،والحقائق المعلومة بالسمع والعقل لا يؤثر فيها اختلاف الاصطلاحات،بل يعد هذا من النزاعات اللفظية،والنزاعات اللفظية اصوبها ما وافق لغة القرآن والرسول والسلف،فما نطق به الرسول والصحابة جاز النطق به باتفاق المسلمين،وما لم ينطقوا به ففيه نزاع وتفصيل ليس هذا موضعه.

وأما قول «الكلابية» ما يقبل الحوادث لا يخلو منها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث.فقد نازعهم جمهور العقلاء فى كلا المقدمتين حتى أصحابهم المتأخرون نازعوهم فى ذلك،واعترفوا ببطلان الادلة العقلية التى ذكرها سلفهم على نفي حلول الحوادث به،واعترف بذلك المتأخرون من أئمة الأشعرية والشيعة والمعتزلة وغيرهم كما قد بسط فى غير هذا الموضع.

وحدثت طائفة اخرى من السالمية وغيرهم ـ ممن هو من اهل الكلام والفقه والحديث والتصوف،ومنهم كثير ممن هو ينتسب الى مالك والشافعي وأحمد بن حنبل،وكثر هذا فى بعض المتأخرين المنتسبين الى أحمد بن حنبل ـ فقالوا بقول المعتزلة وبقول الكلابية:وافقوا هؤلاء فى قولهم انه قديم،

=== حيث لم يحتسبه ب أو على ما يثبت ولا يدوم أو على ما يتصل بغيره ويقوم به أو على ما يكثر ويقل من متاع الدنيا.وقال ابن سينا:ويقال عرض لكل موجود فى موضوع،أو كل ذات لم يكن فى موضوع فهو جوهر،وكل ذات قوامها فى موضوع فهو عرض.وقال الغزالى:العرض اسم مشترك فيقال:عرض لكل موجود فى محل ويقال عرض لكل موجود فى موضوع.

راجع رسالة الحدود والنجاة ٣٢٥ ومعيار العلم ط مصر ص ١٩٤

ووافقوا أولئك فى قولهم انه حروف وأصوات،وأحدثوا قولاً مبتدعا ـ كما أحدث غيرهم ـ فقالوا:القرآن قديم، وهو حروف وأصوات قديمة أزلية لازمة لنفس الله تعالى أزلا وأبداً.

واحتجوا على انه قديم بحجج الكلابية،وعلى أنه حروف واصوات بحجج المعتزلة.فلما قيل لهم:الحروف مسبوقة بعضها ببعض فالباء قبل السين والسين قبل الميم،والقديم لا يسبق بغيره،والصوت لا يتصور بقاؤه فضلا عن قدمه،قالوا:الكلام له وجود وماهية،كقول من فرق بين الوجود والماهية من المعتزلة وغيرهم.قالوا:والكلام له ترتيب فى وجوده،وترتيب ماهية الباء للسين بالزمان هي فى وجوده وهي مقارنة لها فى ماهيتها عليها بالزمان وان كانت متقدمة بالمرتبة كتقدم بعض الحروف المكتوبة على بعض.فان الكاتب قد يكتب آخر المصحف قبل أوله ومع هذا فاذا كتبه كان أوله متقدما بالمرتبة على آخره.

فقال لهم جمهور العقلاء:هذا مما يعلم فساده بالاضطرار؛فان الصوت لا يتصور بقاؤه،ودعوى وجود ماهية غير الموجود فى الخارج دعوى فاسدة،كما قد بسط فى موضع آخر،والترتيب الذي فى المصحف هو ترتيب للحروف المدادية والمداد أجسام،فهو كترتيب الدار والانسان،وهذا امر يوجد الجزء الأول منه مع الثانى بخلاف الصوت فانه لا يوجد الجزء الثانى منه حتى يعدم الأول كالحركة،فقياس هذا بهذا قياس باطل،ومن هؤلاء من يطلق لفظ القديم ولا يتصور معناه،ومنهم من يقول يعني بالقديم انه بدأ من الله وأنه غير مخلوق،وهذا المعنى صحيح؛لكن الذين نازعوا هل هو قديم أو [ليس قديم] لم يعنوا هذا المعني،فمن قال لهم:انه قديم وأراد هذا المعنى قد أراد

معنى صحيحاً لكنه جاهل بمقاصد الناس مضل لمن خاطبه بهذا الكلام، مبتدع فى الشرع واللغة.

ثم كثير من هؤلاء يقولون:ان الحروف القديمة والأصوات ليست هي الاصوات المسموعة من القراء ولا المداد الذي فى المصحف،ومنهم من يقول: بل الأصوات المسموعة من القراء هو الصوت القديم،ومنهم من يقول بل يسمع من القاريء شيئان:الصوت القديم،وهو ما لا بد منه فى وجود الكلام. والصوت المحدث،وهو ما زاد على ذلك،وهؤلاء يقولون: المداد الذي فى المصحف مخلوق؛لكن الحروف القديمة ليست هي المداد؛بل الأشكال والمقادير التى تظهر بالمداد ،وقد تنقش فى حجر وقد تخرق في ورق،ومنهم من يمنع أن يقال فى المداد انه قديم أو مخلوق،وقد يقول لا أمنع عن ذلك بل أعلم انه مخلوق لكن أسد باب الخوض فى هذا ،وهو مع هذا يهجر من يتكلم بالحق ومن يبين الصواب الموافق للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة مع موافقته لصريح المعقول،ومع دفعه للشناعات التى يشنع بها بعضهم على بعض.

وخوض الناس وتنازعهم فى هذا الباب كثير قد بسطناه فى مواضع.وإنما المقصود هنا ذكر قول مختصر جامع يبين الاقوال السديدة التى دل عليها الكتاب والسنة وكان عليها سلف الأمة فى مسألة الكلام،التى حيرت عقول الأنام والله تعالى أعلم.

فصـــل

فى ادعاء البعض ان كلام الناس قديم

سئل شيخ الاسلام مفتى الانام
تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية

عن قوم يقولون: كلام الناس وغيرهم قديم ـ سواء كان صدقاً أو كذباً، فحشا أو غير فحش، نظما أو نثراً ـ ولا فرق بين كلام الله وكلامهم فى القدم إلا من جهة الثواب. وقال قوم منهم ـ بل اكثرهم ـ: أصوات الحمير والكلاب كذلك، ولما قرىء عليهم ما نقل عن الامام احمد رداً على قولهم تأولوا ذلك، وقالوا: بأن أحمد إنما قال ذلك خوفاً من الناس، فهل هؤلاء مصيبون أو مخطئون؟ وهل على ولي الأمر وفقه الله تعالى زجرهم عن ذلك أم لا؟ وهل يكفرون بالاصرار على ذلك أم لا؟ وهل الذي نقل عن أحمد[1] حق كما زعموا أم لا[2]

فاجاب رضى الله عنه

الحمد لله. بل هؤلاء مخطئون فى ذلك خطأ محرماً باجماع المسلمين وقد

---

١ ـ هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى ولد ببغداد سنة اربع وستين ومائة ومات بها سنة احدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة، كان اماماً فى الفقة والحديث، والزهد والورع والعبادة، نشأ ببغداد وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخها ثم رحل الى الكوفة والبصرة، ومكة والمدينة واليمن والجزيرة، وكتب عن علماء ذلك العصر فسمع من يزيد بن هارون، ويحيى بن سعيد القطان، وسفيان بن عيينه، ومحمد بن ادريس الشافعى وغيرهم، وعنه ابناه صالح وعبد الله وابن عمه حنبل بن اسحاق ومحمد بن اسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج وأبو زرعة وأبو داود وغيرهم كثير

قالوا منكراً من القول وزوراً؛بل كفراً ومحالا يجب نهيهم عنه ويجب على ولاة الأمور عقوبة من لم ينته منهم عن ذلك،جزاء بما كسبوا نكالا من الله؛ فان هذا القول مخالف للعقل والدين مناقض للكتاب والسنة وإجماع المؤمنين.وهي «بدعة شنيعة» لم يقلها أحد قط من علماء المسلمين:لا علماء السنة ولاعلماء البدعة ولايقولها عاقل يفهم ما يقول؛ولكن عرض لمن قالها شبهة،ونحن نبينها إن شاء الله تعالى.

ولا يحتاج فى مثل هذا الكلام الذي فساده معلوم ببداية العقول أن يحتج له بنقل عن إمام من الأئمة الا من جهة بيان أن رده وإنكاره منقول عن الأئمة،وأن قائله مخالف للأمة مبتدع في الدين؛ولتزول بذلك شبهة من يتوهم أن قولهم من لوازم قول أحد من السلف،ويعلم أنهم مخالفون لمذاهب الأئمة المقتدى بهم المعظمين؛وليتبين أن نقيض قولهم منصوص،عن الأئمة المتبعين فى السنة،وليس ذلك مما سكتوا عنه نفياً وإثباتاً.

وانه لا ريب ان الامام «أحمد بن حنبل» ومن قبله وبعده من الأئمة نصوا على أن كلام الآدميين مخلوق ـ نصاً مطلقاً ـ بل نص أحمد وكثير من الأئمة على «أفعال العباد» عموما وعلى «كلام الآدميين» خصوصاً،ولم يمتنعوا عن هذا الاطلاق لأجل الشبهة التى عرضت لهؤلاء المبتدعة المخالفين،حتى لا يقول قائل منهم أو من غيرهم:إنه لا يقال مخلوق ولا غير مخلوق لأجل شبهتهم،أو لكون الكلام فى ذلك بدعة،بل القول بأن كلام الآدميين مخلوق غير قديم منصوص عن الأئمة المتفق على إمامتهم فى الدين والسنة.

فمنهم من نص عليه لما تكلم فى «مسائل القدر» و «خلق أفعال العباد» ومنهم من نص عليه لما تكلم فى «مسألة تلاوة العباد للقرآن واللفظ به»

ومنهم من نص عليه محتجاً به على الفرق بين كلام الخالق وكلام المخلوق.فروى أبو بكر أحمد بن محمد هارون الخلال[1]- وهو الذي جمع نصوص أحمد فى أصول الدين وأصول الفقه وفى أبواب الفقه كلها وفى الآداب والأخلاق والزهد والرقائق وفى ملل الحديث وفى التاريخ وغير ذلك من علوم الاسلام.

روي - فى «كتاب السنة» فى الكلام على اللفظية عن أبى بكر ابن زنجويه،قال:سمعت أحمد بن حنبل يقول:من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمى،ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع،لا يكلم.قال الخلال:وأخبرنا أبو داود السجستانى قال:سمعت أبا عبد الله يتكلم فى «اللفظية» وينكر عليهم كلامهم،وسمعت إسحق بن راهويه[2] ذكر «اللفظية» ويدعهم وقال الخلال:سمعت ابن صدقة قال سمعت يحيي بن حبيب بن عربى قال سمعت رجلا سأل معتمرا بن سليمان ان لنا إماماً قدريا أصلي خلفه قال:من زعم أن لفظه غير مخلوق بمنزلة من زعم ان سماء الله غير مخلوقة،قال الخلال:وأخبرنى أبو بكر المروذي حدثنا محمد بن يحيي الأزدي حدثنى مسدد قال:كنت عند يحيي القطان وجاء يحيي بن اسحق بن توبة العنبري فقال له يحيي حدث هذا يعني مسدداً كيف قال حماد بن زيد فيها ؟- أي «مسألتنا» - فقال سألت حماد بن زيد عمن قال:كلام الناس ليس بمخلوق،فقال هذا كلام أهل الكفر،وقال يحيي بن اسحق سألت معتمر بن سليمان عمن قال كلام الناس ليس بمخلوق فقال:هذا كفر.

---

١ - هو أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال،مفسر عالم بالحديث واللغة من كبار الحنابلة من أهل بغداد كانت حلقته بجامع المهدى قال ابن أبى يعلى له التفاسير الدائرة والكتب السائرة وقال الذهبى جامع علم أحمد ومرتبه من كتبه «تفسير الغريب» وطبقات أصحاب ابن حنبل والسنة،

فهذه الآثار ونحوها مما اعتمد عليها المشهورون بالسنة كالمروذي والخلال وغيرهما ،وكذلك الامام أبو عبد الله بن بطة يعتمد في كتابه «الابانة الكبير» على هذه الآثار ونحوهما.

قلت: «حماد بن زيد» أحد الأئمة الاعلام فى السنة فى طبقة مالك والثوري[1] والأوزاعي وحماد بن سلمة والليث بن[2] سعد فى الزمان والامامة بل هو عند علماء السنة أقعد بالسنة من الثوري،وان كان الثوري اكثر علما منه وزهداً،وعند علماء الحديث أحفظ للحديث من حماد بن سلمة،وان كان حماد أشهر بالزهد وأكثر دعاء إلى السنة وهو إمام البصرة فى ذلك الزمان الذي كانت البصرة فيه مجمع علم الاسلام،وكان علماء الأمة الأنبياء وخلفاء الرسل فى ذلك العصر الذي هو عصر تابعي التابعين هؤلاء المسلمين ونحوهم وهم من القرن الثالث الممدوح.

و «المعتمر بن سليمان» أحد الأئمة الأعلام أيضاً،وهو دون حماد ابن زيد،وقد أدركه الامام أحمد واسحق بن راهويه وغيرهما وهو أحد شيوخ

=== والعلل،والجامع لعلوم الامام أحمد فى الحديث توفى عام ٣١١ هـ

راجع طبقات الحنابلة ١٢:٢ ومختصره والبداية والنهاية ١٤٨:١١ وتذكرة الحفاظ ٧:٣ ومناقب الامام أحمد ٥١٢ سبقت الترجمة له فى الجزء الأول

١ ـ هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى من بنى ثور بن عبد مناف من مضر أبو عبد الله:أمير المؤمنين فى الحديث،كان سيد أهل زمانه فى علوم الدين والتقوى ولد عام ٩٧ فى الكوفة وخرج منها مستخفياً عام ١٤٤ هـ وتوفى عام ١٦١ هـ له من الكتب الجامع الكبير والجامع الصغير فى الحديث. راجع دول الاسلام ٨٤:١ وابن النديم ٢٢٥:١

٢ ـ وهو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى بالولاء أبو الحارث امام أهل مصر فى عصره،حديثاً وفقها قال ابن تغرى بردى،كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها فى عصره أصله ===

الامام أحمد وأما «حماد بن زيد» ففات الامام أحمد فقال:فاتنى حماد بن زيد فعوضني الله باسماعيل بن علية،وفاتنى مالك بن أنس فعوضني الله سفيان بن عيينة.

وأما «يحيي بن سعيد القطان» فهو أحد علماء السنة وهو إمام أهل الحديث فى معرفة صحته وعلله ورجاله وضبطه حتى قال أحمد:ما رأيت بعيني مثله،يعني فى ذلك الفن،وعنه أخذ ذلك علي بن المدينى،وعن علي أخذ ذلك البخاري صاحب الصحيح،وقد ذكر الترمذي أنه لم ير فى معرفة علل الحديث مثل محمد بن اسماعيل البخاري.

وهؤلاء العلماء الأئمة أنكروا على من قال كلام الآدميين ولفظهم غير مخلوق لما نبغت «القدرية» المبتدعة،وزعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة لله:لا أقوالهم ولا سائر اعمالهم:لا خيرها ولا شرها؛بل يقولون:هي محدثة أحدثها العبد،وليست مخلوقة لأحد،أو يقولون:العبد خلقها،كما أنه أحدثها؛فانهم قد يتنازعون فى إثبات خلق لغير الله،ومع هذا فلم يكن بين الأمة نزاع فى أنها محدثة كائنة بعد أن لم تكن،ولم يقل أحد:إنها قديمة؛ ولكن «القدرية» من المعتزلة وغيرهم إعتقدوا أن الأفعال الاختيارية وما يتولد عنها من أفعال الملائكة والجن والانس ـ الطاعات والمعاصي ـ لم يخلقها الله.قالوا:لأنه لو خلقها للزم أن يكون العبد مجبوراً،وأن يرتفع

=== من خراسان ومولده فى قلقشنده عام ٩٤ هـ ووفاته بالقاهرة عام ١٧٥ هـ قام الامام الشافعى:الليث أفقه من مالك الا أن أصحابه لم يقوموا به له عدة تصانيف.

راجع وفيات الأعيان ١:٤٣٨ وتهذيب التهذيب ٨:٤٥٩ وتذكرة الحفاظ ١:٢٠٧

التكليف والوعد والوعيد والثواب والعقاب؛ولان العبد يعلم أنه هو الذي يحدث أفعاله علما ضروريا وعللوا ذلك بأدلة نظرية.

فلما ابتدعوا هذه «المقالة» أنكرها أئمة السنة،كما أنكرَ الصحابة رضوان الله عليهم أول هذه البدعة لما نبغت القدرية فى أواخر عصر الصحابة فرد عليهم ابن عمر وابن عباس وواثلة بن الأسقع وغيرهم من الصحابة.

وبين الأئمة أن من جعل شيئاً من المحدثات كأفعال العباد وغيرها ليس مخلوقا لله فهو مثل من أنكر خلق الله لغير ذلك من المحدثات كالسماء والأرض؛فان الله رب العالمين،ومالك الملك،وخالق كل شيء،فليس شيء من العالمين خارجاً عن ربوبيته،ولا شيء من الملك خارجاً عن ملكه؛ولا شيء من المحدثات خارجاً عن خلقه،قال تعالى:(الله خالق كل شيء وهو على شيء وكيل،له مقاليد السموات والأرض)[1]وقال تعالى:(أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم،قل:الله خالق كل شيء)[2]وقال تعالى:(بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟!وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم،ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو،خالق كل شيء، فاعبدوه،وهو على كل شي وكيل،لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)[3] وقال تعالى:(ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون؟)[4] وقال تعالى:(الذي له ملك السموات والأرض،ولم يتخذ ولداً، ولم يكن له شريك فى الملك،وخلق كل شيء

---

١ ـ سورة الزمر آية رقم ٦٣
٢ ـ سورة الرعد آية رقم ١٦
٣ ـ سورة الأنعام آية رقم ١٠١ ـ ١٠٣
٤ ـ سورة غافر آية رقم ٦٢

نقدره تقديراً)[1]وقال تعالى: (إنا كل شيء خلقناه بقدر)[2]وقال تعالى: (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون؟وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها؛إن الله لغفور رحيم.والله يعلم ما تسرون وما تعلنون،والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون،أموات غير أحياء،وما يشعرون أيان يبعثون)[3]

ولهذا كان أهل السنة والجماعة والحديث هم المتبعين لكتاب الله المعتقدين لموجب هذه النصوص حيث جعلوا كل محدث من الأعيان والصفات والأفعال المباشرة والمتولدة وكل حركة طبعية أو إرادية أو قسرية فان الله خالق كل ذلك جميعه وربه ومالكه ومليكه ووكيل عليه،وانه سبحانه على كل شيء قدير،وبكل شيء عليم،فآمنوا بعلمه المحيط،وقدرته الكاملة، ومشيئته الشاملة،وربوبيته التامة؛ولهذا قال ابن عباس:الايمان بالقدر نظام التوحيد فمن وحد الله وآمن بالقدر تم توحيده،ومن وحد الله وكذب بالقدر نقض تكذيبه توحيده.

وأما صفة الله تعالى فهي داخلة في مسمى أسمائه الظاهرة والمضمرة فاذا قلت:عبدت الله،ودعوت الله و(إياك نعبد)فهذا الاسم لا يخرج عنه شيء من صفاته من علمه ورحمته وكلامه وسائر صفاته؛ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم:«من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[4]وقال:

١ ـ سورة الفرقان آية رقم ٢ ٢ ـ سورة القمر آية رقم ٤٩

٣ ـ سورة النحل الأيات من ١٧ ـ ٢١

٤ ـ الحديث أخرجه الامام أحمد في المسند ٧:٢ بسنده عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ سمع عمر وهو يقول ـ وأبي ـ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكره

«من حلف بغير الله فقد أشرك»(1) وقد ثبت عنه: «الحلف بعزة الله»

والحلف بقوله: «لعمر الله» فعلم ان ذلك ليس حلفاً بغير الله فأعطوا هذه الآيات المنصوصة حقها في اتباع عمومها الذي قد صرحت به في أن الله خالق كل شيء؛ إذ قد علم ان الله ليس هو داخلاً في المخلوق، وعلم ان صفاته ليست خارجة عن مسمى اسمه.

وأما «المعتزلة» الذين جمعوا التجهم والقدر فأخرجوا عنها ما يتناوله الاسم يقيناً من أفعال الملائكة والجن والانس والبهائم: طاعاتها وغير طاعاتها، وذلك قسط كبير من ملك الله وآياته بل هي من محاسن ملكه وأعظم آياته ومخلوقاته، وأدخلوا في ذلك كلامه لكونه يسمى «شيئاً» في مثل قوله: (إذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء، قل: من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى؟)[2] ولم ينظروا في أن ذلك مثل تسمية علمه «شيئاً» في قوله: (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)[3] وتسمية نفسه شيئاً في قوله: (قل أي شيء أكبر شهادة؟ قل الله شهيد بيني وبينكم)[4] وأن قوله: (كل شيء)[5] يعم بحسب ما اتصل به من الكلام.

فان الاسم تتنوع دلالته بحسب قيوده. ففي قوله: (وهو بكل شيء عليم) دخل في ذلك نفسه لأنها تصلح أن تعلم، وفي قوله: (وهو على كل

---

١ ـ الحديث أخرجه الترمذي في كتاب النذور ٩ والنسائي في الايمان ٤ وابن ماجة في الكفارات ٢ والدارمي في النذور ٦ واحمد بن حنبل في المسند ١: ٤٧، ٢: ٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٧ (حلبي)

٢ ـ سورة الأنعام آية رقم ٩١ — ٣ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٥٥

٤ ـ سورة الأنعام آية رقم ١٩

٥ ـ هذا جزء من آية من سورة المائدة آية رقم ١٢٠

شيء قدير)[1]دخل في ذلك ما يصلح أن يكون مقدوراً وذلك يتناول كل ما كانت ذاته ممكنة الوجود ،وقد يقال:دخل فى ذلك كل ما يسمى شيئاً بمعنى «مشيئاً» فان «الشيء» فى الأصل مصدر وهو بمعنى المشيء،فكل ما يصلح أن يشاء فهو عليه قدير،وإن شئت قلت:قدير على كل ما يصلح أن يقدر عليه،والممتنع لذاته ليس شيئاً باتفاق العقلاء.وفى قوله:

(الله خالق كل شيء)[2]قد علم أن الخالق ليس هو المخلوق،وانه لا يتناوله الاسم،وإنما دخل فيه كل شيء مخلوق:وهي الحادثات جميعها.

هذا مع أن أهل السنة يقولون ان العبد له مشيئة وقدرة وإرادة وهو فاعل لفعله حقيقة،وينهون عن إطلاق «الجبر» فان لفظ «الجبر» يشعر أن الله أجبر العبد على خلاف مراد العبد،كما تجبر المرأة على النكاح؛وليس كذلك؛بل العبد مختار يفعل باختياره ومشيئته ورضاه ومحبته ليس مجبوراً عديم الارادة،والله خالق هذا كله؛فان هذه الأمور من المحدثات الممكنات،فالدلالة على أن الله خالقها كالدلالة على أنه خالق غيرها من المحدثات وليس هذا موضع الكلام على هذا فان ذلك له موضع آخر.

وإنما الغرض هنا أن الأئمة ردوا على من جعل أقوال العباد وأفعالهم خارجة عن خلق الله وجعلوا ذلك بمنزلة من جعل السماء والأرض ليس مخلوقة لله.هذا مع أن أولئك المبتدعين كانوا يقولون إنها محدثة ليست قديمة،فكيف إذا قيل:إنها قديمة؟!فان ذلك يصير ضلالين بل ثلاث ضلالات.

(أحدها) جعل المحدث المصنوع صفة لله قديمة مضاهاة للنصارى ونظيرهم

١ ـ سورة هود آية رقم ٤ ٢ ـ سورة الرعد آية رقم ١٦

و(الثاني)اخراج مخلوق الله ومقدوره عن خلقه وقدرته كما قالته القدرية مضاهاة للمجوس ونحوهم.

و(الثالث)إخراج فعل العبد ومقدوره وكسبه عن أن يكون مقدوراً له وكسباً وفعلا مضاهاة للجبرية القدرية المشركية،فهذا كان وجه كلام أولئك الأئمة فى هذا.

ثم لما حدثت بدعة «اللفظية» احتج أئمة ذلك العصر فى جملة ما احتجوا به بكلام أولئك السلف مثل البخاري الامام صاحب «الصحيح»ومثل أبي بكر المروذي الامام صاحب الامام أحمد بن حنبل،وخلق كثير فى زمنه،ومثل أبي بكر الخلال ونحوه.فاستدل هؤلاء الأئمة وغيرهم على بطلان قول من يقول: ان فعل العبد أو صفاته المتعلقة بصفات الله غير مخلوقة بما دل على أن أفعال العباد وصفاتهم مخلوقة.فروى البخاري عن أبي قدامة عن يحيى بن سعيد القطان قال: ما زلت أسمع أصحابنا يقولون:أفعال العباد مخلوقة. وروى المروذي صاحب الامام أحمد والخلال ما تقدم ذكره من كلام الأئمة من النص على خلق كلام الآدميين وأفعالهم.

وسيأتي إن شاء الله نصوص الامام أحمد فى ذلك فان القصد هنا التنبيه على الأصل الذي تشعب منه تفرق الأمة فى هذا الموضع وهو «مسألة اللفظ».

فصـــل

مسألة اللفظ بالقرآن

و «مسألة اللفظ بالقرآن» قد اضطرب فيها أقوام لهم علم وفضل ودين وعقل،وجرت بسببها مخاصمات ومهاجرات بين أهل الحديث والسنة حتى قال ابن قتيبة كلاماً معناه لم يختلف أهل الحديث في شيء من مذاهبهم إلا في «مسألة اللفظ».وبين أن سبب ذلك لما وقع فيها من الغموض،والنزاع بينهم في كثير من المواضع لفظي،ولم يكن بين الناس نزاع في أن كلام العباد الذي لم ينزله الله تعالى أنه محدث مخلوق،وإن كان الكلام في «حروف الهجاء» وفي «أسماء المحدثات» فيه نزاع هو الذي أوقع هؤلاء الجهال في ما ارتكبوه من المحال،كما سننبه عليه إن شاء الله تعالى.

ولا يتسع هذا الجواب لشرح «مسألة اللفظ» مبسوطاً؛ولكن ننبه عليه مختصراً فنقول:ان الله تعالى أرسل رسله وأنزل عليهم كتبه وأمرهم أن يبلغوا الى الناس ما أنزل الله عليهم من وحيه وكلامه،فمن الناس من آمن بالله ورسله وصدقهم فيما جاءوا به من عند الله،وأطاعهم فيما أمروا به. وهؤلاء هم المؤمنون في كل وقت وزمان،وهم أهل الجنة والسعادة،كما قال تعالى:(سابقوا إلى مغفرة من ربكم،وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله)[1]وقال تعالى:(ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم،ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون)[2]

---

١ ـ سورة الحديد آية رقم ٢١

٢ ـ سورة البقرة آية رقم ٦٢

ومن الناس من كفر بهم و كذب:مثل الأمم الذين قص الله علينا أخبارهم من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وفرعون ومشركي العرب وكل من لم يؤمن بأصل الرسالة من الهند والبراهمة[1]وغيرهم والترك والسودان وغيرهم من الأمم الأميين الذين لا كتاب لهم ـ سواء كانوا مكذبين للرسل أو معرضين عن اتباعهم؛فان الكفر عدم الايمان بالله ورسله،سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب بل شك وريب،أو إعراض عن هذا كله حسداً أو كبراً،أو اتباعاً لبعض الأهواء الصارفة عن اتباع الرسالة،وإن كان الكافر المكذب أعظم كفراً وكذلك الجاحد المكذب حسداً مع استيقان صدق الرسل،والسور المكية كلها خطاب مع هؤلاء.

ولهذا يقول سبحانه:(كذبت قوم نوح المرسلين)[2] لأنهم كذبوا جميع الرسل ولم يؤمنوا بأصل الرسالة،وقد قال تعالى لما أهبط أباهم آدم:(قال: اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو،فاما يأتينكم مني هدى،فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى،ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى،قال رب لما حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً،

---

١ ـ الديانه البرهمية:أقدم من البوذية بقرون كثيرة ويظهر أن أصل الديانه البرهمية الهند وتصعد الى أبعد عهد من عصورهم التاريخيه وتختلط بجميع أدوارهم الاجتماعية، والكتب المقدسة لهذه الديانة هى (الفيدا) ثم كتاب(منافا دار ماسا سترا)أى قوانين مانو.

راجع دائرة معارف القرن العشرين ٢:١٥٩

٢ ـ سورة الشعراء آية رقم ١٠٥

قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها ،وكذلك اليوم تنسى،وكذلك نجزى من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه،ولعذاب الآخرة أشد وأبقى)[1].

فأخبر أنه اذا أتاهم هدى منه، وهو ما أنزله على رسله من الذكر فمن اتبعه اهتدى وسعد فى الدنيا والآخرة،ومن أعرض عنه شقي وعمي ولهذا قال فى أوائل البقرة فى نعت المؤمنين:(أولئك على هدي من ربهم، وأولئك هم المفلحون)[2]كما قال هنا:(فلا يضل ولا يشقى)؛[3]فان الهدى ضد الضلال،والفلاح ضد الشقاء،وقال تعالى:(يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي،فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون).[4]

ومن الناس من آمن ببعض ما جاءت به الرسل وكفر ببعض،كمن آمن ببعض المرسلين دون بعض،واليهود والنصارى حيث آمنوا بموسى،أو موسى والمسيح معه دون محمد صلى الله عليه وسلم؛ولهذا يخاطب الله فى القرآن الأميين الذين لم يتبعوا رسولا وأهل الكتاب المصدقين ببعض الرسل،كما فى قوله:(وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين:أأسلمتم؟)[5]وفي قوله:(لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين).[6]

---

١ ـ سورة طه الآيات من ١٢٣ ـ ١٢٧

٢ ـ سورة البقرة آية رقم

٣ ـ سورة طه آية رقم ١٢٣

٤ ـ سورة الأعراف الآيات من ٣٥ ـ ٣٦

٥ ـ سورة آل عمران رقم ٢٠

٦ ـ سورة البينة آية رقم ١

وكمن آمن ببعض صفات الرسالة وكفر ببعض:من الصابئين الفلاسفة ونحوهم:الذين قد يقرون بأصل الرسالة؛لكن يجعلون الرسول بمنزلة الملك العادل:الذي قد وضع قانوناً لقومه،أو يقولون:ان الرسالة للعامة دون الخاصة، أو في الامور العملية دون العلمية،أو في الامور التى يشترك فيها الناس دون الخصائص التى يمتاز بها الكمل،

ويقرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم من حيث الجملة،ويعظمونه، ويقولون:اتفق فلاسفة العالم على انه لم يرد إلى الارض ناموس أعظم من ناموسه؛لكنهم مع هذا يكفرون ببعض ما جاء به:مثل ان يسوغوا اتباع غير دينه من اليهودية والنصرانية،وقد يسوغون الشرك ايضاً للعامة أو للخاصة: مثل أن يسوغوا دعوة الكواكب وعبادتها والسجود لها،وقد يكذبون فى الباطن باشياء مما أخبر بها،ويزعمون أن ما أخبر به من أمور الايمان بالله واليوم الآخر إنما هي أمثال مضروبة لتفهيم العامة ما لا يجوز إظهاره وإبانة حقيقته؛وذلك انهم يجوزون كذبه لمصلحة العامة بزعمهم.

وقد يزعمون أن حقيقة العلم بالله تؤخذ من غير ما جاء به الرسول،وان من الناس من يكون أعلم با الله منه أو أفضل منه، ونحو ذلك من المقالات، وهذا الضرب ما زال موجوداً لاسيما مع القرامطة[1] الباطنية:من

---

١ ـ أقدم مصدر ميز القرامطة فرقة برأسها هو سعد بن عبد الله القمى فى كتابه المقالات والفرق فقال عنها : القرامطة:سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهل السواد من الانباط كان يلقب بقرمطويه،وكانوا فى الأصل على مقالة المباركية ثم خالفوهم وقالوا لا يكون بعد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا سبعه أئمة.

راجع مقالات الاسلامين ٢:٩٢ ـ ٩٣

الاسماعيلية والنصيرية[1] والملوك العبيدية: الذين كانوا يدعون الخلافة، ومع الخرمية،[2] والمزدكية،[3] وأمثالهم من الطوائف،وهؤلاء خواصهم اكفر من اليهود والنصارى ومن الغالية الذين يقولون بالهية علي ونحوه من البشر أو نبوته،وهم منافقون زنادقة؛لكن فى كثير من اتباعهم من يظن أنه مؤمن بالكتب والرسل لما لبسوا عليه أصل قولهم،أو وافقهم فى قول بعضهم دون بعض،واكثر هؤلاء يميلون إلى الرافضة، ومنهم من ينتسب إلى

---

١ ـ النصيرية من أقدم الشيعة الغلاة إذا صح أنهم ينتسبون الى نصير غلام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ويمثلون على حد تعبير ساسينيون من الناحية الكلامية بالمعنى الأوسع الجناح المحافظ والحشوى للحركة الشيعية السلمانية التى يتألف جناحها التقدمى والعقلى من الاسماعيلية والدرور.

ومن عقائدهم الباطلة:على بن أبى طالب إله ادخلت فيه الألوهيه وهو يسكن السحاب والرعد صوته والبرق ضحكه: قاتلهم الله

راجع مذاهب الاسلاميين ٢:٤٤١ وما بعدها

٢ ـ الخرمية:لفظ خرم:أعجمى ينبىء عن الشىء المستلز المستطاب الذى يرتاح اليه بمشاهدته ويهتز لرؤيته.

وتطلق كلمة(خرم دين)على أولئك الذين لا يعرفون غير اللذه والاستمتاع بها الى ما لا حدود لها وكان بابك الخرمى يسمى بابك خرم دين وإطلق على زوجته لقب(خرمة)اشارة الى عمق ايمانه بالخرمية والمذهب الخرمى وهم صنفان:صنف قبل الاسلام اباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء فى النساء والأموال

وصنف هم الخرم دينيه ظهروا فى دولة الاسلام واباحوا أيضاً المحرمات.كالأمانات والبنات

راجع مجلة الرسالة الاسلامية ١٠٠:٤٢

٣ ـ المزدكية:مؤسسها مزدك أيام الملك (قباذين فيروز) فى أواخر القرن الخامس للميلاد ومن أراء مزدك.

١ ـ نهى عن المخالفة والمباغضة والقتال. واحل للناس المال والنساء

٢ ـ النهى عن ذبح الحيوان،والزهد،وأمر بقتل الأنفس لتخليصها من الشر.

راجع الملل والنحل ٢:٨٧

التصوف،ومنهم من ينتسب إلى الكلام،ومنهم من يدخل مع الفقهاء فى مذاهبهم.وهذا الضرب يكثر فى الدول الجاهلية البعيدين عن معرفة الاسلام والتزامه،كما كانوا كثيرين في دولة الديلم والعبيديين ونحوهم،وكما يكثرون فى دولة الجهال من الترك ونحوهم من الجهال الذين آمنوا بالرسالة من حيث الجملة من غير علم بتفاصيل ما جاء به الرسول،لأن الجهال من الترك وغيرهم بهذا الضرب أشبه منهم بغيرهم؛فان هؤلاء لا يوجبون اتباع الرسول على جميع أهل الأرض؛لكنهم قد يرون اتباعه أحسن من اتباع غيره فيتبعونه على سبيل الاستحباب أو يتبعون بعض ما جاء به،أو لا يتبعونه بحال.وهم في ذلك مقرون له ولأتباعه.

والمؤمن ببعض الرسالة دون بعض كافر أيضاً،كما قال تعالى:

(ان الذين يكفرون بالله ورسله،ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون:نؤمن ببعض ونكفر ببعض،ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا،أولئك هم الكافرون حقاً،وأعتدنا للكافرين عذابا مهيناً،والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم،وكان الله غفوراً رحيما)[1]وقال تعالى ـ يخاطب أهل الكتاب ـ:(ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم،وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم،تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان،وإن يأتوكم أسارى تفادوهم،وهو محرم عليكم إخراجهم، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا،ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب،وما الله

---

١ ـ سورة النساء آية رقم ١٥٠ ـ ١٥٢

بغافل عما تعملون)[1]وقال تعالى:(ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به؟ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً، وإذا قيل لهم:تعالوا إلى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً)[2]وقال تعالى:(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت،ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا،أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً).[3]

فذم الين أوتوا قسطاً من الكتاب لما آمنوا بما خرج عن الرسالة وفضلوا الخارجين عن الرسالة على المؤمنين بها،كما يفضل ذلك بعض من يفضل الصابئة من الفلاسفة والدول الجاهلية ـ جاهلية الترك والديلم والعرب والفرس وغيرهم ـ على المؤمنين بالله وكتابه ورسوله،وكما ذم المدعين الايمان بالكتب كلها وهم يتركون التحاكم إلى الكتاب والسنة،ويتحاكمون إلى بعض الطواغيت المعظمة من دون الله كما يصيب ذلك كثيراً ممن يدعي الاسلام وينتحله في تحاكمهم إلى مقالات الصابئة الفلاسفة أو غيرهم،أو إلى سياسة بعض الملوك الخارجين عن شريعة الاسلام من ملوك الترك وغيرهم،وإذا قيل لهم:تعالوا إلى كتاب الله وسنة رسوله أعرضوا عن ذلك إعراضاً، وإذا أصابتهم مصيبة فى عقولهم ودينهم ودنياهم بالشبهات والشهوات أو في نفوسهم وأموالهم عقوبة على نفاقهم قالوا إنما أردنا أن

١ ـ سورة البقرة آية رقم ٨٥

٢ ـ سورة النساء آية رقم ٦٠

٣ ـ سورة النساء آية رقم ٥١

نحسن بتحقيق العلم بالذوق ونوفق بين «الدلائل الشرعية» و «القواطع العقلية» التى هي في الحقيقة ظنون وشبهات،أو «الذوقية» التى هي في الحقيقة أوهام وخيالات(أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم،فأعرض عنهم، وعظهم،وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغاً)[1]إلى قوله:(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم،ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت، ويسلموا تسليما)[2]وقال تعالى:(ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا،ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك،وما أولئك بالمؤمنين،وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون)إلى قوله:(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا:سمعنا وأطعنا)[3]الآية،وقال تعالى:(وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا،ويكفرون بما وراءه، وهو الحق مصدقا لما معهم).[4]

وقد ذم الله سبحانه أهل التفرق والاختلاف فى الكتاب الذين يؤمن كل منهم ببعضه دون بعض كما قال تعالى:(كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين،وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه،وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم، فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)[5]وقال تعالى:(ان الذين فرقوا دينهم

---

١ ـ سورة النساء آية رقم ٦٣

٢ ـ سورة النساء آية رقم ٦٥

٣ ـ سورة النور آية رقم ٥١

٤ ـ سورة البقرة آية رقم ٩١

٥ ـ سورة البقرة آية رقم ٢١٣

وكانوا شيعا لست منهم فى شيء)[1]وقال تعالى:(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)[2]وقال تعالى:(ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات،وأولئك لهم عذاب عظيم،يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)[3]قال ابن عباس:تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة.وقال تعالى:(فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله،ذلك الدين القيم،ولكن أكثر الناس لا يعلمون،منيبين اليه،واتقوه،واقيموا الصلاة،ولا تكونوا من المشركين،من الذين فرقوا دينهم وكانوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون)[4] وقال تعالى:(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك،وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، كبر على المشركين ما تدعوهم اليه،الله يجتبى اليه من يشاء،ويهدي اليه من ينيب.وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم،ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضي بينهم،وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب،فلذلك فادع واستقم كما أمرت،ولا تتبع اهواءهم،وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب،وأمرت لأعدل بينكم،الله ربنا وربكم).[5]

---

١ ـ سورة الأنعام آية رقم ١٥٩

٢ ـ سورة آل عمران آية رقم ١٠٣

٣ ـ سورة آل عمران آية رقم ١٠٥

٤ ـ سورة الروم آية رقم ٣٢

٥ ـ سورة الشورى الآيات من ١٣ ـ ١٥

فأمر الله نبيه أن يؤمن بجميع الكتب المنزلة،وان يعدل بين الناس كلهم فيعطي كل ذي حق حقه،ويمنع كل مبطل عن باطله؛فان القسط والعدل فى جميع أمور الدين والدنيا فيما جاء به،وهو المقصود بارسال الرسل،وإنزال الكتب،كما قال تعالى:(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات،وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط)[1]وقال تعالى:(آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون،كل آمن بالله،وملائكته،وكتبه ورسله،لا نفرق بين احد من رسله،وقالوا:سمعنا وأطعنا،غفرانك ربنا واليك المصير)الخ السورة.[2]

وهاتان الآيتان قد ثبت في الصحيح «أن النبى صلى الله عليه وسلم أعطيهما من كنز تحت العرش،وانه لم يقرأ بشيء منهما إلا أعطيه»[3]وقد ثبت فى الصحيح «أنه من قرأهما في ليلة كفتاة» وقال تعالى:(قولوا آمنا بالله،وما أنزل الينا،وما انزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط،وما أوتى موسى وعيسى،وما أوتي النبيون من ربهم،لا نفرق بين أحد منهم،ونحن له مسلمون،فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا، وان تولوا فإنما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم).[4]

---

١ ـ سورة الحديدآية رقم ٢٥

٢ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٨٤ ـ ٢٨٦ .

٣ ـ الحديث أخرجه الامام أحمد فى المسند ٥:١٥١ عن منصور عن ربعى بن حراش قال منصور عن زيد بن ظبيان أو عن رجل أو عن أبى ذر ـ رضى الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكره.

٤ ـ سورة البقرة آية رقم ١٣٦ ـ ١٣٧

فصــــل

فى طرف القضية والقيـاس

فلما كـان فى الأمم كفـار ومنافقون يكفرون ببعض الرسالة دون بعض إما فى القدر وإما فى الوصف،كما أن فيهم كـفار ومنافقـون يكـفرون بأصل الرسالة،وكان فى الكفار بأصل الرسالة من قال:ان الرسول شاعر،وساحر وكاهن،ومعلم،ومجنون،ومفترى،كما كان رئيس قريش وفيلسوفها وحكيمها الوليد بن المغيرة الوحيد المذكور فى قوله تعالى:(ذرنى ومن خلقت وحيداً، وجعلت له مالا ممدوداً،وبنين شهوداً،ومهدت له تمهيداً،ثم يطمع أن أزيد،كلا إنه كان لآياتنا عنيداً،سأرهقه صعودا؛إنه فكر وقدر،فقتل كيف قدر،ثم قتل كيف قدر،ثم نظر،ثم عبس وبسر،ثم أدبر واستكبر،فقال:ان هذا إلا سحر يؤثر،إن هذا إلا قول البشر)[1].

فإنه صَنَع صُنْع الفيلسوف المخالف للرسل فى تفكيره أولاً:الذي هو طلب الانتقال من تصور طرفى القضية إلى المبادىء الموجبة للتصديق ليظفر بالحد الأوسط،ثم قدر ثانياً،والتقدير هو «القياس» وهو الانتقال من المبادىء إلى المطلوب بالقياس المنطقي الشمولي؛ولعمري إنه لصواب إذا صحت مقدماته، وإن كانت النتيجة فى الأغلب أموراً كلية ذهنية،ثبوتها فى الأذهان لا فى الأعيان،كالعلوم الرياضية من الأعداد والمقادير؛فان العدد المجرد عن المعدود والمقدار المجرد عن الأجسام إنما يوجد فى الذهن،لكن أنَّى وأكثر مقدماته فى الالهيات دعاوي يدعى فيها بعموم؟وأن القضية من

---

١ ـ سورة المدثر الآيات من ١١ ـ ٢٥

المسلمات بلا حجة،ومتى لم يكن فى القياس قضية كلية معلومة لم تفد المطلوب وهم يلبسون المهملات التى هي فى معنى الجزئيات بالكليات العامة المسلمات أو يدعى فيها العموم بنوع من قياس التمثيل.

ومعلوم أنه لابد فى كل قياس من «قضية كلية» وعامة «القضايا الكلية» التى لهم فيها المطالب الالهية لا يعلم كونها كلية عامة؛إذ عمومها لا يعلم إلا بمجرد قياس التمثيل الذي قد يكون من أفسد القياس المقتضى لتشبيه الله بخلقه،كما يقولون:الواحد لا يصدر عنه إلا واحد،وليس معهم إلا تشبيه خالق السموات والأرض ورب العالمين بالطبائع،كطبيعة الماء والنار،مع أن الواحد الذي يثبتونه فى الالهيات،وفى المنطق أيضاً الذين يجعلون قضية الأنواع مركبة منه وهو «الجنس»[1]و «الفصل»[2]لا حقيقة لها ولا توجد إلا فى الأذهان لا فى الأعيان،وقد بسطنا الكلام على ذلك فى مواضع.

وبينا أن ما يثبتونه من العقليات التى هي «الجواهر العقلية» المجردة

---

١ ـ الجنس فى اللغة:الضرب من كل شىء وهو أعم من النوع قال ابن سينا:الجنس هو المعقول على كثيرين مختلفين بالأنواع أى بالصور والحقائق الذاتية وهذا يخرج النوع والخاصة والفصل القريب وقوله:فى جواب ما هو:يخرج الفصل البعيد والعرض العام.

٢ ـ الفصل له عند المنطقيين معنيان أحدهما ما يتميز به شىء عن شىء ذاتياً كان أو عرضياً لازماً أو مفارقاً شخصياً أو كلياً وهو مرادف للفرق، وثانيهما:وهو الجزء الداخل فى الماهية كالناطق مثلاً فهو داخل ماهية فى الانسان ومقوم لها ويسمى بالفصل المقوم وهذا المعنى أشار اليه ابن سينا بقوله:وأما الفصل فهو الكلى الذاتى الذى يقال على نوع تحت جنس فى جواب أى شىء هو منه كالناطق للانسان.

راجع النجاة ص ١٤

عن المادة،وهي العقل والنفس،والمادة والصورة التى ليست بجسم ولا عرض لا حقيقة لها فى الخارج،وإنما تقدر في الأذهان،لا فى الأعيان،وكذلك ما يثبتونه من الواحد الذي يصفون به واجب الوجود ومن الواحد الذي يجعلون الأنواع تتركب منه إنما يوجد فى الأذهان لا فى الأعيان «والقياس العقلي» الذي يحتجون به لابد فيه من قضية كلية.

والقياس نوعان «قياس الشمول» و «قياس التمثيل».

والناس متنازعون فى مسمى «القياس» فقيل هو حقيقة فى التمثيل مجاز فى الشمول،كما ذكر ذلك أبو حامد،وأبو محمد المقدسي وغيرهما وقيل:هو حقيقة فى عكس ذلك،كما قاله ابن حزم[1]وغيره من نفاة قياس التمثيل،وقيل:بل اسم القياس يتناولهما وهذا قول جمهور الناس.

واسم «القياس العقلي» يدخل فيه هذا وهذا؛لكن من الناس من ظن ان «قياس التمثيل» لا يفيد اليقين،ولا يستعمل في العقليات كما ذهب إليه أبو المعالي،وأبو حامد،والرازي،وأبو محمد،والآمدي وآخرون من أهل المنطق.وأما الجمهور فعندهم كلا القياسين سواء،وهذا هو الصواب؛فان مآل القياسين إلى شيء واحد وإنما يختلف بترتيب الدليل؛فان القائل إذا قال: النبيذ المتنازع فيه حرام؛لأنه مسكر،فكان حراما قياسياً على خمر العنب، فلا بد له أن يثبت أن السكر هو مناط التحريم،وهو الذي يسمى في قياس

---

١ ـ هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى أبو محمد عالم الأندلس فى عصره وأحد أئمة الاسلام كان فى الأندلس خلق كثير ينتسبون الى مذهبه يقال لهم الحزمية ولد بقرطبة عام ٣٨٤ هـ وتوفى عام ٤٥٦ هـ من مصنفاته:الفصل فى الملل والنحل. والمحلى،وجمهرة الانساب وغير ذلك

راجع نفح الطيب ١:٣٦٤ وآداب اللغة ٣:٩٦

التمثيل «مناطا» و «علة» و «أمارة» و «مشتركا» و «وضعا» ونحو ذلك.

ولابد فى القياس الصحيح من أن يقيم دليلا على أن السكر مناط التحريم بحيث إذا وجد السكر وجد التحريم،فاذا صاغ الدليل بقياس الشمول،فان النبيذ مسكر وكل مسكر حرام، فالسكر فى هذا النظم هو الحد الأوسط المكرر،وهو العلة فى قياس التمثيل، ولابد له فى هذا القياس من أن يثبت هذه القضية الكلية الكبرى،وهي قوله:كل مسكر حرام،فما به ثبتت هذه القضية في هذا النظم يثبت به أنه مناط التحريم في ذلك النظم لا فرق بينهما.

وإذا قال القائل:إثبات تأثير الوصف وكونه مناط الحكم هو عمدة القياس،وهو جواب «سؤال المطالبة» وبيان كون الوصف بالشمول هو مناط الحكم وهذا لا يثبت إلا بأدلة ظنية.

قيل له:وإثبات عموم القضية الكبرى فى قياس الشمول هو عمدة القياس؛فان الصغرى في الغالب تكون معلومة، كما يكون ثبوت الوصف في الفرع معلوما،وإذا كان ثبوت الوصف فى الفرع قد يحتاج الى دليل، كما قيل تحتاج المقدمة الصغرى الى دليل،وإثبات المقدمة الكبرى لا يتأتى إلا بأدلة ظنية،ونفس ما به يثبت عموم القضية يثبت تأثير الوصف المشترك لا فرق بينهما أصلا،واستعمال كلا القياسين فى الأمور الالهية لا يكون إلا على وجه الأولى والأحرى.

وبهذه «الطريقة» جاء القرآن،وهي طريقة سلف الأمة وأئمتها،فان الله سبحانه لا يماثله شيء من الموجودات في «قياس التمثيل» ولا أن يدخل فى «قياس شمول» تتماثل أفراده،بل ما ثبت لغيره من الكمال الذي لا نقص فيه

بوجه من الوجوه فهو أحق به،وما نزه عنه غيره من النقائص فهو أحق بالتنزيه منه،كما قال تعالى:(للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء،ولله المثل الأعلى)[1]وقال تعالى:(ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم؟).[2]

وقد بسطنا الكلام على هذا في غير هذا الموضع،وبينا أن ما يستفاد بـ «القياس الشمولي» في عامة الأمور قد يستفاد بدون ذلك فتعلم أحكام الجزئيات الداخلة في القياس بدون معرفة حكم القضية الكلية،كما إذا قيل: الكل أعظم من الجزء،والضدان لا يجتمعان فما من كل معين وضدين معنيين إلا وإذا علم أن هذا جزء هذا وان هذا ضد هذا علم أن هذا أعظم من هذا وان هذا لا يجامع هذا بدون أن يخطر بالبال قضية كلية ان كل ضدين لا يجتمعان وان كلٌ فهو أعظم من جزء.وكذلك إذا قيل النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان،فما من نقيضين يعرف أنهما نقيضان إلا ويعرف أنهما لا يجتمعان ولا يرتفعان بدون أن يستحظر أن كل نقيضين لا يجتمعان،[ولا يرتفعان].

فعامة المطالب يستغنى فيها عن القياس المنطقي المتضمن للكبرى الذي لابد فيه من قضية كلية،[و] الأمور المعينات لا تعلم بمجرد القياس العقلي،وإنما يعلم بالقياس القدر المشترك بينهما وبين غيرها وهم يسلمون ذلك،وبينا أن الأدلة الدالة على الصانع هي آيات تدل بنفسها على نفسه

١ ـ سورة النحل آية رقم ٦٠

٢ ـ سورة الروم آية رقم ٢٨

المقدسة،وبينا الفرق بين دلالة الآيات ودلالة القياس،وان الأدلة أكمل وأنفع،وطريقة القياس تابعة لها ودونها في المنفعة والكمال،والقرآن جاء بهذه وهذه،ومعرفة الالهيات،والنبوات وغيرها ،فتلك الطريقة أكمل وأتم.

وهؤلاء يزعمون أنه لا ينال مطلوب فطري إلا بطريقة القياس الذي لابد فيه من قضية كلية،والقضية الكلية لا تفيد إلا أمراً كلياً عقلياً،لا تفيد معرفة شيء معين،وكل موجود فهو معين،فكيف يقول عاقل مع هذا أنه لا ينال علم إلا بهذه الطريق؟!ثم انهم في ضلالهم يظنون ان علم الأنبياء،بل وعلم الرب سبحانه إنما حصل بواسطة القياس المنطقي،وان النبي له قوة حدسية يظفر بالحد الأوسط في القياس المنطقي بدون معلم فيكون أكمل من غيره فيجعلون علمه بالغيب من هذا الباب ولم يدرك بمثل هذا القياس علوم طبيعية أو حسابيه ونحو ذلك،فمن أين أنه لا ينال علم إلا به؟ومن أين أنه لا مواد يقينة إلا ما يدعيه المدعي مما عنده من الحدسيات المعتادة الظاهرة والباطنة،والبديهيات المعتادة،والمتواترات،والمجربات المعتادة.والحدسيات المعتادة،والحس الباطن،والظاهر،والتجربة،ونحو ذلك لا يعلم بمجرده إلا أمر معين جزئي،وذلك لا يصلح أن يكون مقدمة في القياس،ولكن يعلم في العموم إما بواسطة قياس تمثيل،وإما بعلم ضروري يحدثه الله فى القلب ابتداء،وإذا أحدث علماً ضرورياً عاماً لأفراد فاحداث العلم ببعض تلك الأفراد سهل فقل أن يستفاد بطريقهم علم بنتيجة إلا والعلم بالنتيجة فيه ممكن بالطريق الذي به عرفت المقدمات أو أسهل فلا يكون في قياسهم الا زيادة تطويل وتهويل وتضليل.

وقد بسطنا الكلام على «المنطق اليونانى»[1] بما فيه من حق وباطل ونافع وضار في غير هذا الموضع. ونفي العلم إلا بهذا القياس، ونفي كون القياس يقينياً إلا بهذه المقدمات قول بلا علم، وتكذيب بما لم يحط المكذب بعلمه؛ ولهذا كانت الطريقة النبوية السلفية أن يستعمل فى العلوم الالهية «قياس الأولى» كما قال الله تعالى: (ولله المثل الأعلى)[2] إذ لا يدخل الخالق والمخلوق تحت قضية كلية تستوي أفرادها، ولا يتماثلان فى شيء من الأشياء بل يعلم ان كل كمال ـ لا نقص فيه بوجه ـ ثبت للمخلوق فالخالق أولى به، وكل نقص وجب نفيه عن المخلوق فالخالق أولى بنفيه عنه، وأمثال هذه «الأقيسة العقلية» التى من نوع الأمثال المضروبة في القرآن، ولله المثل الأعلى، وقد بسطنا هذا فى غير هذا الموضع.

فلما كان الكفار بالرسالة على ما ذكر جاء في الكفاربعضها من شاركهم فى بعض ذلك: فأنكرت الجهمية أن يكون الله يتكلم أو يقول أو يحب أو يبغض، وأنكروا سائر صفاته التى جاءت بها الرسل، فأنكروا بعض حقيقة الرسالة التى هي كلام الله، وأنكروا بعض ما فى الرسالة من صفات الله.

وأول من أظهر ذلك في الاسلام ـ وإن كان ذلك موجوداً قبل الاسلام في أمم أخرى ـ الجعد بن درهم شيخ الجهم بن صفوان، وكان على ما قيل من أهل حران، وكان فيهم أئمة الفلاسفة، ومنهم تعلم أبو نصر الفارابى كثيراً مما تعلم من الفلسفة على ما ذكره عبد اللطيف بن يوسف البغدادي،

---

١ ـ راجع نقض المنطق لابن تيمية، وأيضاً كتاب الرد على المنطقيين ط : ادراة ترجمان السنة: لاهور باكستان ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٩م

١ ـ سورة النحل آية رقم ٦٠

فضحى بالجعد خالد بن عبد الله القسري بواسط على عهد علماء التابعين وغيرهم من علماء المسلمين،وهم بقايا التابعين في وقته:مثل الحسن البصري وغيره الذين حمدوه على ما فعل،وشكروا ذلك فقال:أيها الناس ضحوا تقبل ضحاياكم؛ فانى مضح بالجعد ابن درهم؛انه زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلا،ولم يكلم موسى تكليماً ـ تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً ـ ثم نزل فذبحه.

وبنوا ذلك على قاعدة مبتدعة الصابئين المكذبين ببعض ما جاءت به الرسل الذين لا يصفون الرب إلا بالصفات السلبية أو الاضافية أو المركبة منهما،وهم فى هذا التعطيل موافقون فى الحقيقة لفرعون رئيس الكفار الذي جحد الصانع بالكلية؛فان جحود صفاته مستلزم لجحود ذاته؛ولهذا وافقوا فرعون فى تكذيبه لموسى بأن ربه فوق السموات حيث قال:(يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الاسباب:اسباب السموات فأطلع إلى إله موسى، وإني لأظنه كاذبا)[1]بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم الذي صدق موسى لما عرج به إلى ربه،وأخبر أنه وجد موسى هناك،وأنه جعل يختلف بين ربه وبين موسى،فمحمد صلى الله عليه وسلم صدق موسى في أن ربه فوق السموات،وفرعون كذبه فى ذلك. والناس إما محمدي موسوي،واما فرعونى؛ إذ فرعون كذب موسى فى أن الله فوق،وكذبه فى أن الله كلمه،كما أنكر وجود الصانع،ومحمد صدق موسى فى هذا كله.

وهؤلاء الصابئة المحضة من المتفلسفة يقولون:ان الله ليس له كلام فى الحقيقة؛لكن كلامه ـ عند من أظهر الاقرار بالرسل منهم ـ ما يفيض على

---

١ ـ سورة غافر آية رقم ٣١

نفوس الأنبياء،وهو أنه محدث فى نفوسهم من غير أن يكون في الخارج عن نفوسهم لله عندهم كلام،وهكذا كان الجهم يقول أولا:ان الله لا كلام له،ثم احتاج أن يطلق أن له كلاماً لأجل المسلمين فيقول:هو مجاز؛ولهذا كان الامام أحمد وغيره من الأئمة يعلمون مقصودهم،وأن غرضهم التعطيل،وأنهم زنادقة و «الزنديق» المنافق.

ولهذا تجد مصنفات الأئمة يصفونهم فيها بالزندقة،كما صنف الامام أحمد «الرد على الزنادقة والجهمية»[1]وكما ترجم البخاري آخر كتاب الصحيح بـ «كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية» وكان عبد الله ابن المبارك يقول:انا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

وتقول الصابئة المحضة ـ الذين آمنوا فى الظاهر وآمنوا فى الباطن ببعض الكتاب ـ كلام الله اسم لما يفيض على قلب النبى من «العقل الفعال» أو غيره و «ملائكة الله» اسم لما يتشكل فى نفسه من الصور النورانية وقد يقولون:إن جبريل هو «العقل الفعال» أو هو ما يتمثل فى نفسه من الصور الخيالية كما يراه النائم؛ولهذا يقول هؤلاء:ان خاصة النبى التخييل،وأن الأنبياء أظهروا خلاف ما أبطنوه لمصلحة العامة،ولم يفيدوا بكلامهم علماً؛ لكن تخييلا ينتفع به العامة،ويجعلون هذا من أفضل الأمور،ويمدحون الأنبياء بذلك،ويعظمونهم وقد بسطنا الكلام على هذا فى مواضع أخر.

---

١ ـ هم أتباع جهم بن صفوان الذى قال بالاجبار والاضطرار الى الأعمال وانكر الاستطاعات كلها. وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان. أنظر فى شأن هذه الفرقة: التبصير:٦٢ والملل والنحل ١:٨٦ والفرق بين الفرق ٢١١

وعندهم ليس خارجاً عن نفس النبي كلام ولا ملك كما يزعمه من يزعمه من المتفلسفة والصابئة المشركين،وزعموا أنهم مؤمنون وقالوا انهم يجمعون بين النبوة والفلسفة كما يفعل الفارابي وابن سينا وغيرهما من المتفلسفة والقرامطة الباطنية من الاسماعيلية ونحوهم الذين اخذوا معاني المتفلسفة الروم والفرس فأخرجوها فى قالب التشيع والرفض.والامامية والزيدية وغيرهم من الشيعة يعلمون أنهم كفار.

ومثل ابن سبعين وأمثاله ممن أظهر التصوف على طريقة هؤلاء فهو يأخذ معانيهم يكسوها عبارات الصوفية،والصوفية العارفون يعلمون أنهم كفار، وان شيوخ الصوفية الكبار كالفضيل بن عياض،[1]وابراهيم ابن أدهم،[2] وأبى سليمان الدارانى،[3]وعمرو بن عثمان الشبلي،والجنيد[4] بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري،[5]وأبى عبد الله محمد بن حفيف الشيرازي

١ ـ هو الفضيل بن عياض أبو على، أحد الأقطاب ولد بخراسان وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبد وانتقل الى مكة وجاور بها الى أن مات سنة ١٨٧ هـ

راجع طبقات الصوفية ٦ ـ ١٤ وحلية الأولياء ٨:٨٤ ـ ٤٠ وطبقات الشعرانى ١:٧٩ ـ ٨٠

راجع طبقات الصوفيه للشعرانى ١:٦٨

٢ ـ هو ابراهيم بن ادهم أو اسحاق البلخى، ولد بمكة، وطافت به أمه على الخلق وسألت الدعاء له أن يكون صالحاً فاستجيب لها وترك الامارة وما كان فيه.

دخل مكة ثم الشام لطلب الحلال، وكان يأكل من عمل يده، وصحب بمكة سفيان الثورى، والفضل إبن عياض وتوفى بالجزيرة فى الغزو وحمل الى صور مدينة بساحل الشام فدفن بها عام١٦١ هـ

راجع طبقات السلمى ٢٧ ـ ٣٨ وحلية الأولياء ٧:٢٦٧ ـ ٣٩٥ وطبقات الشعرانى ١:٨

٣ ـ أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الدارانى.و"داريا" قرية من قرى دمشق.من بنى عبس.وكان كبير الشأن فى علوم الحقائق والورع.مات سنة ٢١٥، راجع طبقات الصوفية للشعرانى ١:٦٨ .

٤ ـ سبقت الترجمة له فى كلمة وافية.

٥ ـ سهل بن عبد الله التسترى أبو محمد: صاحب كرامات لقى ذا النون وكان له اجتهاد ورياضات

ونحوهم ـ رضي الله عنهم ـ كانوا من أعظم الناس تكفيراً لهؤلاء؛فان قول هؤلاء الزنادقة ـ وإن كان فيه إيمان من وجه آخر ـ فهؤلاء موافقون فى الحقيقة لمقدمهم الوحيد الذي قال: (إن هذا إلا قول البشر)[1] لكن ذاك كفر به كله ظاهراً وباطناً،وهؤلاء قد يؤمنون به ظاهراً،وقد يؤمنون باطناً ببعض صفاته:من أنه مطاع عظيم،وانه رئيس النوع الانسانى،وأن هذا الكلام الذي جاء به كلام عظيم القدر،صادر عن نفس صافية كاملة العلم والعمل،بها ثلاث خصائص تنفرد بها عن غيرها.

خصيصه قوة الحدس[2] والعلم،وخصيصة قوة التأثير في العالم السفلي بنفسه،وخصيصة قوة التخيل المطابق للحقائق بحيث يسمع فى نفسه الأصوات،ويرى من الصور ما يكون خيالا للحقائق،وانه يجوز إضافة كلامه إلى الله،وتسميته كلام الله حيث هو أمر به أمراً خيالياً.وفي الحقيقة عندهم ما يفيض على سائر النفوس الصافية من العلوم والتكلمات هي أيضاً كلام الله مثلما أنه كلام الله؛لكن هو أشرف وخطابه دل على أنه رسول الخلق تجب عليهم طاعته،التى أخبرت بها الرسل لكن يطلقون عليه انه متكلم؛ولهذا يقولون:ان «النبوة» مكتسبة فطمع غير واحد منهم أن

--- سكن البصرة زمانا وعبدان مدة، وكان كثير التعبد كثير الورع مات سنة ٢٧٣ بتستر.

راجع طبقات الصوفية:٢٠٦ ـ ٢١١ وحلية الأولياء١٠:١٨٩ ـ ٢١٢ وصفة الصفوة٤:٤٦ ـ ٤٩

١ ـ سورة المدثر آية رقم ٢٥

٢ ـ الحدس فى اللغة:الظن والتخمين والتوهم فى معانى الكلام،والحدس الذى اصطلح عليه الفلاسفة القدماء مأخوذ من معنى السرعة فى السير قال ابن سينا:الحدس حركة الى اصابة الحد الأوسط إذا وضع المطلوب أو إصابة الحد الاكبر إذا اصيب الأوسط وبالجملة سرعة الانتقال من معلوم الى مجهول.

راجع النجاة:١٣٧

يصير نبياً كما طمع السهروردي وابن سبعين وغيرهما من الملحدين.

وقد بينا أصول أقوالهم وفسادها في غير هذا الموضع مثل كلامنا على إبطال قولهم:ان معجزات الأنبياء قوى نفسانية.

وأما «المعتزلة» ونحوهم فيوافقونهم في أن الله لا يتكلم فى الحقيقة التى يعلم الناس أن صاحبها يتكلم [بل كلامه] منفصل عنه،ويزعمون ان ذلك حقيقة،وليس كلامه عندهم إلا أنه خلق في الهواء أو غيره أصواتاً يسمعها من يشاء من ملائكته وأنبيائه من غير أن يقوم بنفسه كلام لا معنى ولا حروف،وهم يتنازعون فى ذلك المخلوق هل هو جسم أو عرض أو لا يوصف بواحد منهما.

ولما ظهر هؤلاء تكلم السلف من التابعين وتابعيهم فى تكفيرهم والرد عليهم بما هو مشهور عند السلف،واطلع الأئمة الحذاق من العلماء على أن حقيقة قول هؤلاء هو التعطيل والزندقة،وان كان عوامهم لا يفهمون ذلك، كما اطلعوا على أن حقيقة قول القرامطة والاسماعيلية هو التعطيل والزندقة،وإن كان عوامهم إنما يدينون بالرفض،وجرت فتنة الجهمية،كما امتحنت الأئمة،وأقام «الامام أحمد» إمام السنة،وصديق الأمة فى وقته، وخليفة المرسلين،ووارث النبيين،فثبت الله به الاسلام والقرآن،وحفظ به على الأمة العلم والايمان،ودفع به أهل الكفر والنفاق والطغيان الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض.

فاستقر أهل السنة وجماهير الأمة الجماعة واعلام الملة فى شرقها وغربها على الايمان الذي جاءت به الرسل عن الله وجاء به خاتم النبيين مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه،وهو ان القرآن والتوراة والانجيل كلام الله،

وان كلام الله لا يكون مخلوقا منفصلا عنه،كما لا يكون كلام المتكلم منفصلا عنه؛ فان هذا جحود لكلامه الذي هو رسالته،ودفع لحقيقة ما أنبأت به الرسل وعلمته أممهم،والحاد في أسماء الله وآياته وتمثيل له بالعدوم والموات؛ فان الحياة والعلم والقدرة والكلام ونحو ذلك صفات الكمال،والرب تعالى أحق بكل كمال،فيمتنع أن يثبت للمخلوق كمال إلا والخالق أحق به،كما يمتنع أن يتنزه المخلوق عن نقص إلا والخالق أحق بتنزهه منه،كيف وهو خالق الكمال للكاملين.

و «أيضا» فمن لم يتصف بصفات الكمال من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والكلام وغير ذلك فاما أن يكون قابلا للاتصاف بذلك ولم يتصف به،أو غير قابل للاتصاف به. فان قبله ولم يتصف به كان موصوفا بصفات النقص:كالموت والجهل والعمى والصمم والعجز والبكم باتفاق العقلاء؛فانهم متفقون على ان القابل لهذا ولهذا متى لم يتصف بأحدهما اتصف بالآخر، وان قيل:إنه لا تقبل الاتصاف بهذه الصفات كان أنقص من القابل الذي لم يتصف بها.فالحيوان الذي يكون تارة سميعاً وتارة أصم، وتارة بصيراً وتارة أعمى،وتارة متكلما وتارة أخرس،أكمل من الجماد الذي لا يقبل أن يكون لا هذا ولا هذا.

فمن لم يصفه بصفات الكمال لزمه إما أن يصفه بهذه النقائص،أو يكون أنقص ممن وصف بهذه النقائص.وذلك أن «المتفلسفة»اصطلحوا على تقسيم «المتقابلين بالنفي والاثبات» إلى النقيضين،وإلى ما يسمونه «العدم والملكة» فـ «العدم» عندهم سلب الشيء عما من شأنه أن يكون متصفاً به كالعمى والخرس:فانه عدم البصر والكلام عما من شأنه أن يكون بصيراً

متكلماً. فأما الجماد فلا يسمونه لا بهذا ولا بهذا.

«وشبهتهم» لبست على طائفة من أهل النظر، فظنوا أنه إذا لم يوصف بصفات الكمال من الحياة والعلم والسمع والبصر والكلام لم يلزم أن يتصف بصفات النقص لأنهما متقابلان تقابل «العدم والملكة»، لا تقابل النقيضين.

فيقال لهم: هذا أولاً اصطلاح لكم، وإلا فغيركم يسمى الجماد ميتاً ومواتاً ونحو ذلك، كما فى مثل قوله: (والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون، أموات غير أحياء). [1]

ويقال لهم: «ثانياً» النظر فى المعاني العقلية، ومعلوم أن عدم هذه الصفات يستلزم النقص الثابت بعدمها.

ويقال لهم «ثالثاً»: إذا قلتم لا يتصف بواحد منهما لكونه لا يقبل ذلك، فهذا النقص أعظم من نقص العمى والصمم والبكم؛ فإن[2] ما لا يقبل الاتصاف بصفات الكمال أنقص ممن هو قابل لها يمكن اتصافه بها؛ فانه منه بدأ؛ لا كما يقوله الصابئة ومن وافقهم من الجهمية: انه ابتدأ من نفس النبى أو من «العقل الفعال» أو من «الهواء» بل هو تنزيل من حكيم حميد، وانه إليه يعود إذا أسري به من المصاحف والصدور.

وصار «الامام أحمد» علماً لأهل السنة الجائين بعده من جميع الطوائف: كلهم يوافقه فى جمل أقواله، وأصول مذاهبه؛ لأنه حفظ على الأمة الايمان الموروث، والأصول النبوية ـ ممن أراد أن يحرفها ويبدلها ـ ولم يشرع ديناً لم يأذن الله به، والذي قاله هو الذي يقوله سائر الأئمة الأعيان، حتى إن أعيان

---

١ ـ سورة النحل آية رقم ٢٠

٢ ـ فى المطبوعة "فأيما"

أقواله منصوصة عن أعيانهم؛لكن جمع متفرقها ،وجاهد مخالفها ،وأظهر دلالة الكتاب والسنة عليها ،ومقالاته ومقالات الأئمة قبله وبعده فى الجهمية كثيرة مشهورة.

و «الجهمية» هم نفاة صفات الله،المتبعون للصابئة الضالة.وصارت فروع التجهم تجول في نفوس كثير من الناس.فقال بعض من كان معروفاً بالسنة والحديث ولا نقول مخلوق،ولا غير مخلوق بل نقف،وباطن أكثرهم موافق للمخلوقية ولكن كان المؤمنون أشد رهبة فى صدورهم من الله.

و «طائفة أخرى» قالت:نقول كلام الله الذي لم ينزله غير مخلوق،وأما القرآن الذي أنزله على رسوله وتلاه جبريل ومحمد والمؤمنون فهو مخلوق، وهؤلاء هم «اللفظية».فصارت الأمة تفزع إلى إمامها إذا ذاك،فيقول لهم أحمد:افترقت الجهمية على «ثلاث فرق» فرقة تقول:القرآن مخلوق،وفرقة تقول كلام الله وتسكت،وفرقة تقول:ألفاظنا وتلاوتنا للقرآن مخلوقة.فان حقيقة قول هؤلاء ان القرآن الذي نزل به جبريل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم هو قرآن مخلوق لم يتكلم الله به،وكان لهؤلاء شبهة كون أفعالنا وأصواتنا مخلوقة ونحن إنما نقرأه بحركاتنا وأصواتنا ،وربما قال بعضهم ما عندنا إلا ألفاظنا وتلاوتنا ،وما فى الأرض قرآن إلا هذا، وهذا مخلوق.

فقابلهم قوم أرادوا تقويم السنة فوقعوا فى البدعة،وردوا باطلا بباطل، وقابلوا الفاسد بالفاسد،فقالوا:تلاوتنا للقرآن غير مخلوقة،وألفاظنا به غير مخلوقة؛لأن هذا هو القرآن،والقرآن غير مخلوق،ولم يفرقوا بين الاسم المطلق والاسم المقيد فى الدلالة،وبين حال المسمى إذا كان مجرداً وحاله إذا كان

مقروناً مقيداً.فأنكر الامام أحمد أيضاً على من قال:ان تلاوة العباد وقراءتهم وألفاظهم وأصواتهم غير مخلوقة،وأمر بهجران هؤلاء،كما جهم الأولين وبدعهم.والنقل عنه بذلك من رواية ابنه عبد الله وصالح والمروذي وفوران وأبي طالب وأبى بكر بن صدقة وخلق كثير من أصحابه وأتباعه.

وقد قام أخص أتباعه «أبو بكر المروذي» بعد مماته فى ذلك،وجمع كلامه الأئمة من أصحابه وغيرهم:مثل عبد الوهاب الوراق،والأثرم،وأبى داود السجستانى،والفضل بن زياد ،ومثنى بن جامع الأنباري،ومحمد بن اسحاق الصنعانى ومحمد بن سهل بن عسكر،وغير هؤلاء من علماء الاسلام.وبين بدعة هؤلاء الذين يقولون إن تلاوة العباد وألفاظهم بالقرآن غير مخلوقة.

وقد ذكر ذلك الخلال في «كتاب السنة» وبسط القول فى ذلك.قال الخلال: أخبرنى أبو بكر المروذي،قال:بلغ أبا عبد الله عن أبى طالب أنه كتب الى اهل نصيبين:ان لفظي بالقرآن غير مخلوق،قال أبو بكر فجاءنا صالح بن أحمد، فقال:قوموا الى أبى،فجئنا فدخلنا على أبى عبد الله،فاذا هو غضبان شديد الغضب،قد تبين الغضب فى وجهه،فقال:اذهب فجئني بأبى طالب،فجئت به، فقعد بين يدي أبى عبد الله،وهو يرعد،فقال:كتبت إلى أهل نصيبين تخبرهم عني أني قلت:لفظي بالقرآن غير مخلوق؟!فقال:إنما حكيت عن نفسي، قال:فلا يحل هذا عنك ولا عن نفسي،فما سمعت عالماً قال هذا.قال أبو عبد الله:القرآن كلام الله غير مخلوق كيف تصرف،فقيل لأبى طالب:اخرج وأخبر أن أبا عبد الله قد نهى أن يقال لفظي بالقرآن غير مخلوق.فخرج أبو طالب فلقي جماعة من المحدثين فأخبرهم: أن ابا عبد الله نهاه أن يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق.

ومع هذا فكل واحدة من «الطائفتين» الذين يقولون لفظنا بالقرآن غير مخلوق والذين يقولون لفظنا وتلاوتنا مخلوقة ينتحل أبا عبد الله وتحكى قولها عنه وتزعم أنه كان على مقالتها،لأنه إمام مقبول عند الجميع؛ولأن الحق الذي مع كل طائفة يقوله أحمد،والباطل الذي تنكره كل طائفة على الأخرى يرده أحمد،فمحمد بن داود المصيصي أحد علماء الحديث وأحد شيوخ أبي داود،وجماعة فى زمانه كأبى حاتم الرازي وغيره يقولون:لفظنا بالقرآن غير مخلوق،وتبعهم طائفة على ذلك:كأبى عبد الله بن حامد،وأبي نصر السجزي،وأبي عبد الله بن منده،وشيخ الاسلام أبي اسماعيل الانصاري، وأبى العلاء الهمدانى،وأبي الفرج المقدسي،وغير هؤلاء يقولون:ان ألفاظنا بالقرآن غير مخلوقة،ويروون ذلك عن أحمد،وأنه رجع إلى ذلك،كما ذكره أبو نصر في كتابه «الابانة» وهي روايات ضعيفة بأسانيد مجهولة لا تعارض ما تواتر عنه عند خواص أصحابه،وأهل بيته،والعلماء الثقات لاسيما وقد علم أنه فى حياته خطأ أبا طالب في النقل عنه حتى رده أحمد عن ذلك وغضب عليه غضباً شديداً.

وقد رأيت بعض هؤلاء طعن فى تلك النقول الثابتة عنه،ومنهم من حرفها لفظاً،وأما تحريف معانيها فذهب إليه طوائف فأما الذين ثبتوا النقل عنه ووافقوه على إنكاره الأمرين وهم جمهور أهل السنة ومن انتسب إليهم من أهل الكلام كأبى الحسن الأشعري وأمثاله فانه ذكر في «مقالات أهل السنة والحديث» انهم ينكرون على من قال:لفظي بالقرآن مخلوق،ومن قال:لفظي به غير مخلوق،وأنه يقول ذلك.

لكن من هؤلاء من تأول كلام أحمد وغيره فى ذلك بأنه منع أن يقال:ان

القرآن يلفظ به،وهذا قاله الأشعري وابن الباقلاني والقاضي[1]أبو يعلى وأتباعه، كأبي الحسن بن الزاغوني وأمثاله.

ثم هؤلاء الذين تأولوا كلامه على ذلك منهم من قال:المعنى الذي أنكره أحمد على من قال لفظي بالقرآن مخلوق كما فعل ذلك الاشعري وأتباعه. ومنهم من قال:بل المعني الذي أنكره أحمد على من قال لفظي به غير مخلوق كما فعل ذلك القاضي وابن الزاغوني وأمثالهما؛فان أحمد وسائر الأئمة ينكرون أن يكون شيء من كلام الله مخلوقا حروفه أو معانيه،أو أن يكون معنى التوراة هو معنى القرآن،وأن كلام الله إذا عبر عنه بالعربية يكون قرآناً،وإذا عبر عنه بالعبرانية يكون هو التوراة،وينكرون أن يكون القرآن المنزل ليس هو كلام الله،أو ان يطلق القول على ما هو كلام الله بأنه مخلوق،وأحمد والأئمة ينكرون على من يجعل شيئاً من أفعال العباد أو اصواتهم غير مخلوق؛فضلا عن أن يكون قديماًوكلام أحمد في «مسألة التلاوة والايمان والقرآن» من نمط واحد منه إطلاق القول بأن ذلك مخلوق؛ لأنه يتضمن القول بأن من صفات الله ما هو مخلوق ولما فيه من الذريعة، ومنع أيضاً إطلاق القول بأنه غير مخلوق لما في ذلك من البدعة والضلال.

ولما كان أحمد قد صار هو إمام السنة كان من جاء بعده ممن ينتسب إلى السنة ينتحله إماماً كما ذكر ذلك الأشعري في «كتاب الابانة» وغيره فقال

---

١ ـ هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر:قاضي من كبار علماء الكلام انتهت اليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ولد في البصرة عام ٣٣٨ هـ وسكن بغداد فتوفي فيها عام ٤٠٣ وكان جيد الاستنباط،سريع الجواب له الجديد من المؤلفات منها:مناقب الأئمة،ودقائق الكلام،والملل والنحل، والبيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة.

راجع وفيات الأعيان ٤٨١:١ وتاريخ بغداد ٣٧٩:٥ ودائرة المعارف الاسلامية ٢٩٤:٣

إن قال قائل:قد انكرتم قول «الجهمية» و «المعتزلة» و «الخوارج» و «الروافض» و «المرجئة»[1]فعرفونا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التى بها تدينون.

قيل له:قولنا الذي نقول به وديانتنا التى ندين بها التمسك بكتاب ربنا وسنة نبينا ،وما روي عن الصحابة والتابعين،وبما كان يقول به أبو عبد الله «احمد بن حنبل» قائلون،ولما خالفه مجانبون؛فانه الامام الكامل،والرئيس الفاضل الذي أبان الله به الحق،وأوضح به المنهاج،وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين،وشك الشاكين،وذكر جملا من المقالات.

فلهذا صار من بعده متنازعين فى هذا الباب.«فالطائفة» الذين يقولون لفظنا وتلاوتنا غير مخلوقة ينتسبون إليه،ويزعمون ان هذا آخر قوليه،أو يطعنون فيما يناقض ذلك عنه، أو يتأولون كلامه بما لم يرده.

و «الطائفة» الذين يقولون ان التلاوة مخلوقة،والقرآن المنزل الذي نزل به جبريل مخلوق،وان الله لم يتكلم بحروف القرآن:يقولون:ان هذا قول أحمد، وأنهم موافقوه،كما فعل ذلك أبو الحسن الأشعري.فيما ذكره عن أحمد، وفسر به كلامه،وذكر انه موافقه،وكما ذكر القاضي أبو بكر الباقلانى فى تنزيه أصحابه من مخالفة السنة وأئمتها كالامام أحمد، وكما فعله أبو نعيم الاصبهانى فى كتابه المعروف فى ذلك،وكما فعله أبو ذر

---

١ ـ المرجئة ثلاثة أصناف: صنف منهم قالوا بالإرجاء فى الايمان وبالقدر وصنف منهم قالوا بالإرجاء فى الايمان وبالجبر فى الأعمال، والصنف الثالث خارجون عن الجبرية والقدرية.

راجع التبصير:٥٩ والملل والنحل ١:١٣٩ ومقالات الاسلاميين ١:١٩٧ والفرق بين الفرق:٢٠٢

الهروي،[1] والقاضي عبد الوهاب المالكي،وكما فعله أبو بكر البيهقي فى الاعتقاد فى مناقب الامام أحمد،وروى عنه أنه قال لفظي بالقرآن مخلوق وتأول ما استفاض عنه من الانكار على من قال لفظي بالقرآن [غير] مخلوق على أنه أراد الجهمي المحض الذي يزعم أن القرآن الذي لم ينزل مخلوق.

وكذلك أيضا افترى بعض الناس على البخاري الامام صاحب «الصحيح» أنه كان يقول:لفظي بالقرآن مخلوق، وجعلوه من «اللفظية» حتى وقع بينه وبين أصحابه:مثل محمد بن يحيى الذهلي،وأبي زرعة، وأبى حاتم،وغيرهم بسبب ذلك،وكان فى القضية أهواء وظنون،حتى صنف «كتاب خلق الأفعال» وذكر فيه ما رواه عن أبي قدامة،عن يحيى بن سعيد القطان أنه قال:ما زلت أسمع أصحابنا يقولون:أفعال العباد مخلوقة.وذكر فيه ما يوافق ما ذكره في آخر كتابه «الصحيح» من أن القرآن كلام الله غير مخلوق،وان الله يتكلم بصوت،وينادي بصوت.وساق فى ذلك من الأحاديث الصحيحة والآثار ما ليس هذا موضع بسطه،وبين الفرق بين الصوت الذي ينادي الله به وبين الصوت الذي يسمع من العباد ،وان الصوت الذي تكلم الله به ليس هو الصوت المسموع من القارىء،وبين دلائل ذلك،وأن أفعال العباد وأصواتهم مخلوقة،والله تعالى بفعله وكلامه غير مخلوق.

---

١ ـ هو عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير ، أبو ذر الانصارى الهروى عالم بالحديث، من الحفاظ من فقهاء المالكية،يقال له ابن السماك أصله من هراة نزل بمكة ومات بها عام ٤٣٤ هـ له تصانيف منها تفسير القرآن الكريم والمستدرك على الصحيحين، والسنة والصفات وغير ذلك.

وقال فى قوله: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)[1] إن حدثه ليس كحدث المخلوقين. وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم: «ان الله يحدث من أمره ما شاء، وإن مما أحدث أن لا تكلموا فى الصلاة»[2] وذكر عن علماء السلف: ان خلق الرب للعالم ليس هو المخلوق: بل فعله القائم به غير مخلوق، وذكر عن نعيم بن حماد الخزاعى: ان الفعل من لوازم الحياة، وان الحي لا يكون إلا فعالا. إلى غير ذلك من المعاني التى تدل على علمه وعلم السلف بالحق الموافق لصحيح المنقول وصريح المعقول.

وذكر أن كل واحدة من طائفتى «اللفظية المثبتة والنافية» تنتحل أبا عبد الله، وأن أحمد بن حنبل كثير مما ينقل عنه كذب، وأنهم لم يفهموا بعض كلامه لدقته وغموضه، وأن الذي قاله الامام أحمد هو قول الأئمة والعلماء، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة.

ورأيت بخط القاضي أبى يعلى ـ رحمه الله ـ على ظهر «كتاب العدة» بخطه، قال: نقلت من آخر «كتاب الرسالة» للبخاري فى ان القراءة غير المقروء. وقال: وقع عندي عن أحمد بن حنبل على اثنين وعشرين وجها كلها يخالف بعضها بعضا، والصحيح عندي أنه قال ما سمعت عالما يقول: لفظي بالقرآن غير مخلوق قال وافترق اصحاب أحمد ابن حنبل على نحو من خمسين قال أبو عبد الله البخاري قال ابن حنبل «اللفظي» الذي يقول: القرآن بألفاظنا مخلوق.

---

١ ـ سورة الأنبياء آية رقم ٢

٢ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ٤٢ باب قول الله تعالى (كل يوم هو فى شأن وما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) وقوله تعالى: (لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) وأن ===

وكان «ايضاً»قد نبغ فى أواخر عصر أبي عبد الله من الكلابية ونحوهم - أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري:الذي صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة وغيرهم،وهو من متكلمة الصفاتية،وطريقته يميل فيها الى مذهب أهل الحديث والسنة؛لكن فيها نوع من البدعة؛لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله ولم يثبت قيام الامور الاختيارية بذاته؛ولكن له في الرد على الجهمية - نفاة الصفات والغلو - من الدلائل والحجج وبسط القول ما بين به فضله في هذا الباب، وافساده لمذاهب نفاة الصفات بأنواع من الأدلة والخطاب،وصار ما ذكره معونة ونصيراً وتخليصاً من شبههم لكثير من أولى الألباب،حتى صار قدوة وإماما لمن جاء بعده من هذا الصنف الذين أثبتوا الصفات،وناقضوا نفاتها؛وإن كانوا قد شركوهم في بعض أصولهم الفاسدة: التى أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول، ومخالفته لسنة الرسول.

وكان ممن اتبعه الحارث المحاسبى،وابو العباس القلانسي،ثم أبو الحسن الاشعري،وأبو الحسن بن مهدي الطبري،وأبو العباس الضبعي،وأبو سليمان الدمشقي،وأبو حاتم البستى،وغير هؤلاء:المثبتين للصفات،المنتسبين إلى السنة والحديث،المتلقبين بنظار أهل الحديث.

وسلك طريقة ابن كلاب - في الفرق بين «الصفات اللازمة» كالحياة و «الصفات الاختيارية» وان الرب يقوم به الأول دون الثانى - كثير من

=== حدثه لايسنة حدث المخلوقين لقوله تعالى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وقال ابن مسعود عن النبى - صلى الله عليه وسلم - وذكره.وأخرجه أبو داود فى الصلاة ١٦٦ والنسائى فى السهو ٢٠ واحمد بن حنبل فى المسند ١:٣٧٧ (حلبى)

المتأخرين:من أصحاب مالك،والشافعي،وأحمد:كالتميميين أبى الحسن التميمى،وابنه أبى الفضل التميمى،وابن ابنه رزق الله التميمي،وعلى عقيدة الفضل التى ذكر أنها عقيدة أحمد اعتمدأبو بكر البيهقي فيما ذكره من مناقب أحمد من الاعتقاد.

وكذلك سلك طريقة ابن كلاب هذه أبو الحسن بن سالم واتباعه «السالمية» والقاضي أبو يعلى وأتباعه:كابن عقيل،[1]وأبى الحسن بن الزاغونى،وهي طريقة ابي المعالي الجويني،[2]وأبي الوليد الباجي،والقاضي أبي بكر بن العربى وغيرهم؛لكنهم افترقوا في القرآن،وفى بعض المسائل على قولين ـ بعد إشتراكهم فى الفرق الذي قرره ابن كلاب ـ كما قد بسط كلام هؤلاء فى مواضع آخر.

والامام أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة كانوا يحذرون عن هذا الأصل الذى احدثه ابن كلاب،ويحذرون عن أصحابه، وهذا هو سبب تحذير الامام أحمد عن الحارث المحاسبى ونحوه من الكلابية.

ولما ظهر هؤلاء ظهرحينئذ من المنتسبين إلى إثبات الصفات من يقول:إن الله لم يتكلم بصوت،فانكر أحمد ذلك،وجهم من يقوله،وقال:هؤلاء الزنادقة إنما يدورون على التعطيل، وروى الآثار في أن الله يتكلم بصوت،

---

١ ـ هو على بن عقيل بن محمد البغدادى أبو الوفاء ويعرف بابن عقيل عالم العراق، وشيخ الحنابلة ببغداد فى وقته كان قوى الحجة أشتغل بمذهب المعتزلة فى حداثته وكان يعظم الملاح فأراد الحنابلة قتله فأستجار بباب المراتب عدة سنين ثم أظهر التوبة حتى تمكن من الظهور له تصانيف أعظمها كتاب الفنون توفى عام ٥١٣ هـ

راجع جلاء العينين ٩٩ وشذرات الذهب ٤:٣٥ ولسان الميزان ٤:٣٤٣

٢ ـ سبقت الترجمة له فى كلمة وافية فى الجزء الأول

وكذلك انكر على من يقول إن الحروف مخلوقة،قال عبد الله بن احمد بن حنبل فى «كتاب السنة»:قلت لأبى:إن ههنا من يقول إن الله لا يتكلم بصوت، فقال:يابني هؤلاء جهمية زنادقة، إنما يدورون على التعطيل،وذكر الآثار فى خلاف قولهم.

وكذلك البخاري صاحب «الصحيح» وسائر الأئمة أنكروا ذلك أيضاً، وروى البخاري في آخر «الصحيح» وفي «كتاب خلق الأفعال» ما جاء فى ذلك من الآثار،وبين الفرق بين صوت الله الذي يتكلم به وبين أصوات العباد بالقرآن،موافقة منه للامام أحمد وغيره من الأئمة،حيث بين ان الله يتكلم بصوت كما جاءت به الآثار،وان ذلك ليس صوت العبد بالقراءة؛بل ذلك هو صوت العبد،كما قد نص على ذلك كله في مواضع،وعامة أئمة السنة والحديث على هذا الاثبات والتفريق:لا يوافقون قول من يزعم ان الكلام ليس فيه حرف ولا صوت،ولا يوافقون قول من يزعم ان الصوت المسموع من القراء وألفاظهم قديمة،ولا يقولون:ان القرآن ليس إلا الحروف والأصوات.

وقد كتبت كلام «الامام أحمد» ونصوصه، وكلام الأئمة قبله وبعده فى غير هذا الموضع؛فان جواب هذه «المسألة» لا يحتمل البسط الكثير؛ولم يكن فى كلام الامام أحمد ولا الأئمة ان الصوت الذي تكلم الله به قديم؛بل يقولون لم يزل الله متكلما،وقد يقولون لم يزل الله متكلما إذا شاء بما شاء، كما يقول ذلك الامام أحمد،وابن المبارك،وغيرهما.

وكذلك قد تنازع الناس في زمنهم وبعده - من أصحابهم وغيرهم - فى معنى كون القرآن غير مخلوق هل المراد به ان نفس الكلام قديم أزلي

كالعلم؟أو أن الله لم يزل موصوفا بانه متكلم يتكلم إذا شاء؟على قولين. ذكرهما الحارث المحاسبى عن أهل السنة،وأبو بكر عبد العزيز فى «كتاب الشافى» عن أصحاب الامام أحمد،وذكرهما أبو عبد اللهبن حامد فى كتابه «أصول الدين».والنزاع فى ذلك بين سائر طوائف السنة والحديث،وهذا مبنى على أطل «الصفات الفعلية الاختيارية» والنزاع فيه بين جميع الطوائف من أهل الحديث والسنة والفقه والتصوف ومن دخل معهم من أهل المذاهب الأربعة وبين سائر الفرق،حتى بين الفلاسفة أيضاً، وقد حققت ذلك في غير هذا الموضع.

وهذا منشأ نزاع الذين وافقوا السلف على ان القرآن كلام الله غير مخلوق؛فان هؤلاء تنازعوا فى أن الرب هل يتكلم بمشيئته وقدرته؟على قولين.فالذين وافقوا ابن كلاب قالوا:انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته؛بل كلامه لازم لذاته كحياته،ثم من هؤلاء من عرف ان الحروف والأصوات لا تكون قديمة العين فلم يمكنه أن يقول:القديم هو الحروف والأصوات؛لأنها لا تكون إلا متعاقبة،والصوت لا يبقى زمانين، فضلا عن أن يكون قديماً.فقال:القديم هو معنى واحد،لامتناع معانى لا نهاية لها،وامتناع التخصيص بعدد دون عدد.فقالوا:هو معنى واحد،ان الله لا يتكلم بالكلام العربى والعبري، وقالوا:ان معنى التوراة والانجيل والقرآن وسائر كلام الله معنى واحد، ومعنى آية الكرسي وآية الدين معنى واحد إلى غير ذلك من اللوازم التى يقول جمهور العقلاء إنها معلومة الفساد بضرورة العقل،[1]ومن هؤلاء من عرف ان الله تكلم بالقرآن العربى والتوراة

---

١ ـ العقل فى اللغة: هو الحجر والنهى، وقد سمى بذلك تشبيهاً بعقل الناقة، لأنه يمنع ===

العبرية،وانه نادى موسى بصوت وينادي عباده بصوت،وان القرآن كلام الله حروفه ومعانيه؛لكن اعتقدوا مع ذلك انه قديم العين،وان الله لم يتكلم بمشيئته وقدرته.فالتزموا انه حروف واصوات قديمة الأعيان لم تزل ولا تزال، وقالوا:إن الباء لم تسبق السين، والسين لم تسبق الميم،وان جميع الحروف مقترنة بعضها ببعض اقتراناً قديماً أزلياً لم يزل ولا يزال، وقالوا:هي مترتبة فى حقيقتها وماهيتها غير مترتبة في وجودها.وقال كثير منهم:انها مع ذلك شيء واحد،الى غير ذلك من «اللوازم» التى يقول جمهور العقلاء انها معلومة الفساد بضرورة العقل.

ومن هؤلاء من يقول:هو قديم،ولا يفهم معنى القديم.فاذا سئل عن ذلك قال:هي قديمة فى العلم،ولا يعلم ان المخلوقات كالسماء والأرض بهذه المثابة مع أنها مخلوقة، ومنهم من يقول:قديم بمعنى أنه متقدم على غيره،ولا يعرف ان الذين قالوا:انه مخلوق لا يتنازعون فى أنه قديم بهذا المعنى. ومنهم من يقول:ان مرادنا بأنه قديم أنه غير مخلوق،ولا يفهم انه مع ذلك يكون أزليا لم يزل،وهؤلاء سمعوا ممن يوافقهم على أنه غير مخلوق:قالوا هو قديم،فوافقوا على أنه قديم،ولم يتصوروا ما يقولونه.

كما أن من الناس من قال: هو غير مخلوق،وأراد بذلك أنه غير

=== صاحبه من العدول عن سواء السبيل كما يمنع العقال الناقة عن الشرود.

والعقل: قوة النفس التى بها يحصل تصور المعانى و تأليف القضايا والأقيسة، والفرق بينه وبين الحس أن العقل يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة، وعن لواحق المادة، أما الحس فأنه لا يستطيع ذلك، فالعقل اذن قوة تجريد تنتزع الصور من المادة، وتدرك المعانى الكلية: كالجوهر والعرض. والعلة والمعلول، والغاية والوسيلة، والخير والشر.

مكذوب،وهذا مما لم يتنازع فيه الناس،كما لم يتنازعوا فى أنه قديم بمعنى أنه متقدم على غيره.

و «القول الثانى» قول من يقول إن الله يتكلم بمشيئته وقدرته مع أن كلامه غير مخلوق.وهذا قول جماهير أهل السنة والنظر،وأئمة السنة والحديث،لكن من هؤلاء من اعتقد أن الله لم يكن يمكنه أن يتكلم فى الأزل بمشيئته،كما لم يكن يمكنه عندهم ان يفعل فى الأزل شيئاً،فالتزموا أنه تكلم بمشيئته بعد أن لم يكن متكلما،كما أنه فعل بعد أن لم يكن فاعلا،وهذا قول كثير من أهل الكلام والحديث والسنة.

وأما السلف والأئمة فقالوا:ان الله يتكلم بمشيئته وقدرته،وإن كان مع ذلك قديم النوع - بمعنى أنه لم يزل متكلما إذا شاء؛فالكلام صفة كمال،ومن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم،بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يكون متكلما بمشيئته وقدرته،ومن لا يزال متكلما بمشيئته وقدرته أكمل ممن يكون الكلام ممكنا له بعد ان يكون ممتنعاً منه،او قدر أن ذلك ممكن،فكيف إذاكان ممتنعاً؟ لامتناع ان يصير الرب قادراً بعد ان لم يكن،وأن يكون التكلم والفعل ممكنا بعد أن كان غير ممكن؟كما قد بسط هذا فى مواضع آخر.

وكانت «اللفظية الخلقية» من أهل الحديث يقولون:نقول:ان ألفاظنا بالقرآن مخلوقه،وان التلاوة غير المتلو.والقراءة غير المقروء.و «اللفظية المثبتة» يقولون:نقول:ان الفاظنا بالقرآن غير مخلوقة،والتلاوة هي المتلو، والقراءة هي المقروء.

وأما المنصوص الصريح عن الامام أحمد،وأعيان أصحابه، وسائر أئمة

السنة والحديث فلا يقولون مخلوقة ولا غير مخلوقة،ولا يقولون التلاوة هي المتلو مطلقا ،ولا غير المتلو مطلقاً كما لا يقولون:الاسم هو المسمى، ولا غير المسمى.

وذلك أن «التلاوة،والقراءة» كاللفظ قد يراد به مصدر تلى يتلو تلاوة، وقرأ يقرأ قراءة،ولفظ يلفظ لفظا ،ومسمى المصدر هو فعل العبد وحركاته، وهذا المراد باسم التلاوة والقراءة،واللفظ مخلوق،وليس ذلك هو القول المسموع:الذي هو المتلو.وقد يراد باللفظ الملفوظ،وبالتلاوة المتلو،وبالقراءة المقروء،وهو القول المسموع،وذلك هو المتلو،ومعلوم ان القرآن المتلو:الذي يتلوه العبد،ويلفظ به غير مخلوق،وقد يراد بذلك مجموع الأمرين،فلا يجوز إطلاق الخلق على الجميع ولا نفي الخلق عن الجميع.

وصار «ابن كلاب» يريد بالتلاوة القرآن العربى،وبالمتلو المعنى القائم بالذات،وهؤلاء إذا قالوا :التلاوة غير المتلو،وهي مخلوقة:كان مرادهم ان الله لم يتكلم بالقرآن العربى،بل عندهم أن القرآن العربى مخلوق.وهذا لم يقله أحد من أئمة السنة والحديث،ويظن هؤلاء أنهم يوافقون البخاري او غيره ممن قد يفرق بين التلاوة والمتلو، وليس الأمر كذلك.

ومن الآخرين من يقول:«التلاوة» هي المتلو،ويريد بذلك ان نفس ما تكلم الله به من الحروف والأصوات هو الأصوات المسموعة من القراء،حتى يجعل الصوت المسموع من العبد هو صوت الرب، وهؤلاء يقولون:نفس صوت المخلوق وصفته هي عين صفة الخالق،وهؤلاء «اتحادية،حلولية فى الصفات» يشبهون النصارى من بعض الوجوه،وهذا لم يقله أحد من أئمة السنة.

ويظن هؤلاء أنهم يوافقون أحمد واسحق وغيرهما ممن ينكر على «اللفظية» وليس الأمر كذلك؛ فلهذا كان المنصوص عن الامام احمد وأئمة السنة والحديث انه لا يقال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة، ولا غير مخلوقة. ولا ان التلاوة هي المتلو مطلقاً، ولا غير المتلو مطلقاً؛ فان اسم القول والكلام قد يتناول هذا وهذا؛ ولهذا يجعل الكلام قسيما للعمل ليس قسماً منه فى مثل وقوله تعالى: (اليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه).[1] وقد يجعل قسما منه كما فى قوله: (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون).[2] قال طائفة من السلف عن قول لا إله إلا الله، ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث الصحيح: «لا حسد إلا فى اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فقال رجل لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل»[3] ولهذا تنازع أصحاب أحمد فيمن حلف لا يعمل اليوم عملا هل يحنث بالكلام؟ علىّ قولين. ذكرهما القاضى أبو يعلى وغيره.

ولم تكن «اللفظية الخلقية» ينكرون كون القرآن كلام الله حروفه ومعانيه وان الله يتكلم بصوت؛ بل قد يقولون: القرآن كله كلام الله حروفه ومعانيه؛ فان الله يتكلم بصوت، كما نص عليه أحمد والبخاري وغيرهما من الأئمة، وكما جاءت به الآثار؛ ولكن يقولون المنزل إلى الأرض من الحروف

---

١ ـ سورة فاطر آية رقم ١٠ ٢ ـ سورة الحجر آية رقم ٩٢

٣ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ٧٥٢٨ عن الأعمش عن أبى صالح، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وذكره. وتمام الحديث: لا حسد إلافى إثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار، فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت ماأوتى فلان فعملت مثل ما يعمل. ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه فى الحق. فقال رجل: ليتنى أوتيت ـ مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل

والمعانى ليس هو نفس كلام الله الذي ليس بمخلوق؛بل وربما سموها حكاية عن كلام الله،كما يقوله ابن كلاب،أو عبارة عن كلام الله كما يقوله الأشعري،وربما سموها كلام الله؛لأن المعنى مفهوم عندهم.

ولكن لما حدث أبو محمد بن كلاب وناظر المعتزلة بطريق قياسية سلم لهم فيها أصولا ـ هم واضعوها ـ من إمتناع تكلمه تعالى بالحروف،وامتناع قيام «الصفات الاختيارية» بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك؛لأن ذلك يستلزم أنه لم يخل من الحوادث،وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ـ اضطره ذلك إلى ان يقول:ليس كلام الله إلا مجرد المعنى،وإن الحروف ليست من كلام الله،وتابعه على ذلك أبو الحسن الأشعري؛وإن تنازعا فى ان الرب كان في الأزل آمراً ناهياً،أو صار آمراً ناهياً بعد أن لم يكن.وفى ان «الكلام» هل هو صفة واحدة كما يقوله الأشعري، أو خمس صفات كما يقوله ابن كلاب.

وصار هؤلاء مخالفين لأئمة السنة والحديث في شيئين.

(أحدهما) ان نصف القرآن من كلام الله،والنصف الآخر ليس كلام الله عندهم؛بل خلقه الله فى الهواء،أو في اللوح المحفوظ،أو أحدثه جبريل،أو محمد صلى الله عليه وسلم.وهؤلاء فى كونهم جعلوا نصف القرآن مخلوقاً موافقين لمن قال بخلقه؛لكن هؤلاء يقولون:ان هذا النصف المخلوق كلام الله، وأولئك يقولون:هو مخلوق منفصل عن الله،وهو كلامه؛لكن أولئك لا يجعلون لله كلاماً متصلا به قائماً بنفسه، ولا معانى ولا حروفا.وهؤلاء يقولون:لله كلام قائم به متصل به هو معنى.فصار أولئك أشد بدعة في

نفيهم حقيقة الكلام عن الله، وفى جعلهم كلام الله مخلوقاً.وهؤلاء أشد بدعة في إخراجهم ما هو من كلام الله عن أن يكون من كلام الله،وصاروا فى هذا موافقين الوحيد في بعض قوله لا فى كله،وهو قولهم:ان نصف القرآن ليس قول الله؛ بل قول البشر.

وربما استدل بعضهم بأنه مضاف إلى الرسول فيكون هو أحدث حروفه ولم يتأمل هذا القائل فيرى أنه أضافه تارة إلى رسول هو جبريل،وتارة إلى رسول هو محمد بقوله في الآية الأولى:(انه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين،مطاع ثم أمين)[1]فهذا جبريل [وقال فى الآية الأخرى]: (انه لقول رسول كريم،وما هو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون،ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون)[2]وهذا محمد،فلو كانت إضافته إليه لأنه ابتدأ حروفه وأحدثها لم يصلح أن يضاف إلى كل منهما؛لامتناع أن يكون كل منهما هو أحدث حروفه؛ولأنه قال:(انه لقول رسول)وهذا إخبار عن القرآن الذي هو بالمعنى أحق عندهم وعند أهل السنة أيضاً،فلو كان الرسول ابتدأه لكان القرآن من عنده لا من عند الله،وإنما أضافه الله إلى الرسول لأنه بلغه وأداه وجاء به من عند الله؛ولهذا قال:(لقول رسول)ولم يقل لقول ملك ولا نبى؛ بل جاء باسم الرسول ليتبين أنه واسطة فيه وسفير،والكلام كلام لمن اتصف به مبتدئا منشئاً؛لا لمن تكلم به مبلغاً مؤدياً،كما يقال مثل ذلك فى جميع كلام الناس فكيف بكلام الله؟وهذا على القول المشهور فى التفسير المطابق

١ ـ سورة التكوير آية رقم ١٨ ـ ٢٠

٢ ـ سورة الحاقة آية رقم ٤٠

لظاهر القرآن:ان الرسول في أحد الموضعين محمد صلى الله عليه وسلم،وفى الآخر جبريل عليه السلام.

وأما على قول طائفة جعلته في الموضعين جبريل فيكون الجواب هو الثاني،والاثبات في الحقيقة حجة لمن يقول إنما يتكلم بكلام الله ويقول قوله؛ لأنه جعل الرسول يقول قول الله الذي أرسله به،والمعنى يراد من هذا قطعاً كما أريد منه اللفظ أيضا.

وأيضا فان هؤلاء جعلوا الكلام الذي يتصف الله به معنى واحداً وهو الأمر والنهي والخبر والاستخبار،وانه إن عبر بالعربية كان هو القرآن،وان عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة،وإن عبر عنه بالسريانية كان هو الانجيل،وهذا مما أجمع جمهور العقلاء على ان فساده معلوم بالضرورة.

و «المعنى الثانى» الذي خالفوا فيه أهل السنة والجماعة قولهم إن القرآن المنزل إلى الأرض ليس هو كلام الله لا حروفه ولا معانيه بل هو مخلوق عندهم،ويقولون:هو عبارة عن المعنى القائم بالنفس؛لأن العبارة لا تشبه المعبر عنه؛بخلاف الحكاية والمحكى،وهذا فيه من زيادة البدع ما لم يكن في قول «اللفظية» من أهل الحديث الذين أنكر عليهم أئمة السنة وقالوا هم «جهمية» إذ جعلوا الحروف من إحداث الرسول، وليست مما تكلم الله به بحال،وقالوا :انه ليس لله في الأرض كلام، ولم يكن أيضاً في «اللفظية» القدماء الذين يقولون:لفظنا بالقرآن غير مخلوق من يقول إن صوت العبد غير مخلوق،أو أن الصوت القديم يسمع من العبد،أو ان هذا الصوت صوت الله،أو يسمع معه صوت الله،وإنما أحدث هذا أيضاً المتطرفون منهم،كما

أحدث المتطرفون من أولئك ان حروف القرآن ليست كلام الله؛فان هاتين «البدعتين» الشنيعتين لم تكونا بعد ظهرتا في أولئك المنحرفين الذين أنكر الامام أحمد وغيره قولهم من الطائفتين،وان القرآن ليس إلا مجرد معنى قائم بالنفس،وذلك المعنى إليه يعود كلام الله من التوراة والانجيل والقرآن.

و «الأخرى» قد رأت حروف القرآن من كلام الله، وان القرآن كلام الله حروفه ومعانيه،وان المعنى الواحد يمتنع أن يكون هو الأمر والنهي والخبر والاستخبار،وانه يمتنع أن يكون مدلول التوراة والانجيل والقرآن واحداً، وعلموا أنا إذا ترجمنا التوراة بالعربية لم يصر معناها معنى القرآن،وان هذه الأقوال معلومة الفساد بالضرورة،عارضها بعضها؛لأن القرآن حرف وصوت، واعتقد بعضهم انه ليس القرآن والكلام إلا مجرد الحروف والأصوات،وأولئك يقولون ليس الكلام إلا مجرد المعنى القائم بالنفس.

وكلا هذين السلبين الجحودين الحادثين خلاف ما كان عليه الأئمة كالامام أحمد وغيره من الأئمة،وأعيان العلماء من سائر الطوائف. ان الكلام عندهم إسم للحروف والمعاني جميعاً،كما ان «الانسان»[1]الناطق المتكلم إسم للجسد والروح جميعاً،ومن قال:ان الانسان ليس إلا هذه الجملة

---

١ ـ وهو اسم على وزن فعلان، وجمعه من حيث اللفظ أناسين كسرحان وسراحين، غير أن الجمع الأصلي غير مستعمل، وجمعه المعروف ناس وأناس، والإنس جمع جنس، وفى الأناس خلاف: فقيل: جمع إنس، ككرسى وكراسى، وقيل: الإنس جمع إنسى، كروم وروممى وقيل الأناس جمع إنسان، سمى به لأنه يأنس ويؤنس به، وقيل لأن له إنساً بالعقبى، وأنساً بالدنيا، والى هذا المعنى أشار القائل:

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى .:. وأبحت منى ظاهرى لجليسى
فالجسم منى للجليس مؤانس .:. وجيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

المشاهدة فهو بمنزلة من قال ليس الكلام إلا الأصوات المقطعة،ومن قال:ان الانسان ليس إلا لطيفة وراء هذا الجسد فهو بمنزلة من قال:ان الكلام ليس إلا معنى وراء هذه الحروف والأصوات،وكلاهما جحد لبعض حقائق مسميات الاسماء وإنكار لحدود ما أنزل الله على رسوله.

فصــــل

كلام الله واحد لا يتعدد ولا يتبعض

ثم أن فروخ «اللفظية النافية» الذين يقولون بأن حروف القرآن ليست من كلام الله تروي عن منازعتها أنهم يقولون:القرآن ليس هو إلا الأصوات المسموعة من العبد،وإلا المداد المكتوب في الورق وان هذه الأصوات وهذا المداد قديمان،وهذا القول ما قاله أحد ممن يقول ان القرآن ليس إلا الحروف والأصوات؛بل أنكروا ذلك وردوه،وكذبوا من نقل عنهم:أن المداد قديم،ولكن هذا القول قد يقوله الجهال المتطرفون،كما يحكى عن أعيانهم مثل سكان بعض الجبال:ان الورق والجلد والوتد وما أحاط به من الحائط كلام الله،أو ما يشبه هذا اللغو من القول الذي لا يقوله مسلم ولا عاقل.

وفروخ «اللفظية المثبتة» الذين يقولون ان القرآن ليس إلا الحروف والصوت:تحكى عن منازعيها:ان القرآن ليس محفوظاً فى القلوب،ولا متلوا بالألسن،ولا مكتوبا فى المصاحف،وهذا أيضاً ليس قولاً لأولئك؛بل هم متفقون على أن القرآن محفوظ فى القلوب متلو بالألسنة،مكتوب فى المصاحف،لكن جهالهم وغاليتهم إذا تدبروا حقيقة قول مقتصديهم ـ ان

القرآن العربي لم يتكلم الله بـه،وانه ليس إلا معنى واحد قائم بالذات، وأصوات العباد ومداد المصحف يدل على ذلك المعنى،وانه ليس لله فى الأرض كلام فى الحقيقة،وليس فى الأرض إلا ما هو دال على كلام الله،ولم يقل إلا ما هو دال على كلام الله،وكلام الله إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة،وإن عبر عنه بالسريانية كان إنجيلا،وهو معنى واحد لا يتعدد،ولا يتبعض،ولا يتكلم الرب بمشيئته وقدرته؛إلى أمثال ذلك من حقائق قول المقتصدين ـ أسقطوا حرمة المصحف،وربما داسوه ووطؤه، وربما كتبوه بالعذرة أو غيرها.

وهؤلاء أشد كفراً ونفاقا ممن يقول الجلد والورق كلام الله؛فان أولئك آمنوا بالحق وبزيادة من الباطل،وهؤلاء كذبوا بالكتاب وبما أرسل الله به رسله، فسوف يعلمون؛إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون.

وأما أهل العلم بالمقابلة وأهل الايمان بالشريعة فيعظمون المصحف ويعرفون حرمته ويوجبون له ما أوجبته الشريعة من الأحكام،فانه كان في قولهم نوع من الخطأ والبدعة،وفى مذهبهم من التجهم والضلال ما أنكروا به بعض صفات الله وبعض صفات كلامه ورسله، وجحدوا بعض ما أنزل الله على رسله،وصاروا مخانيثا للجهمية الذكور المنكرين لجميع الصفات،لكنهم مع ذلك متأولون قاصدون الحق.

وهم مع تجهمهم هذا يقولون:ان القرآن مكتوب فى المصحف مثل ما أن الله مكتوب فى المصحف،وانه متلو بالألسن مثل ما أن الله مذكور

بالألسن،ومحفوظ في القلوب مثل ما أن الله معلوم بالقلوب،وهذا القول فيه نوع من الضلال والنفاق والجهل بحدود ما أنزل الله على رسوله [ما فيه] ،وهو الذي أوقع الجهال في الاستخفاف بحرمة آيات الله وأسمائه حتى ألحدوا فى أسمائه وآياته.

كما ان اطلاق الأولين: أنه ليس للقرآن حقيقة إلا الحروف والأصوات،ولا يفرق بين صوت الله المسموع منه وصوت القارىء،وإن القرآن قديم أوقع الجهال منهم والكاذبين عليهم فى نقلهم عنهم: أن أصوات العباد والمداد الذي فى المصحف قديم،وان الحروف التى هي كلام الله هي المداد،وان كانوا لم يقولوا ذلك؛بل أنكروه؛كما فرق الله بين الكلمات والمداد فى قوله: (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي)[1]فان هؤلاء غلطوا «غلطين» غلطاً فى مذهبهم وغلطا في الشريعة

أما الغلط في «تصوير مذهبهم» فكان الواجب أن يقولوا: ان القرآن في المصحف مثل ما ان العلم والمعاني في الورق،فكما يقال: العلم فى هذا الكتاب يقال: الكلام فى هذا الكتاب؛لأن الكلام عندهم هو المعنى القائم بالذات فيصور له المثل بالعلم القائم بالذات لا بالذات نفسها.

وأما الغلط فى «الشريعة» فيقال لهم: ان القرآن فى المصاحف مثل ما أن اسم الله فى المصاحف؛فان القرآن كلام: فهو محفوظ بالقلوب كما يحفظ الكلام بالقلوب،وهو مذكور بالألسنة كما يذكر الكلام بالألسنة،وهو مكتوب

١ ـ سورة الكهف آية رقم ١٠٩

في المصاحف والأوراق كما ان الكلام يكتب في المصاحف والأوراق، والكلام الذي هو اللفظ يطابق المعنى ويدل عليه،والمعنى يطابق الحقائق الموجودة.فمن قال:ان القرآن محفوظ كما ان الله معلوم،وهو متلو كما ان الله مذكور،ومكتوب كما ان الرسول مكتوب،فقد أخطأ القياس والتمثيل بدرجتين:

فانه جعل وجود الموجودات القائمة بأنفسها بمنزلة وجود العبارة الدالة على المعنى المطابق لها،والمسلمون يعلمون الفرق بين قوله تعالى:(انه لقرآن كريم،في كتاب مكنون)[1]وبين قوله تعالى:(وانه لفي زبر الأولين).[2] فان القرآن لم ينزل على احد قبل محمد:لا لفظه ولا جميع معانيه،ولكن أنزل الله ذكره والخبر عنه،كما أنزل ذكر محمد والخبر عنه،فذكر القرآن في زبر الأولين كما أن ذكر محمد في زبر الأولين،وهو مكتوب عندهم في التوراة والانجيل.فالله ورسوله معلوم بالقلوب،مذكور بالألسن،مكتوب في المصحف،كما ان القرآن معلوم لمن قبلنا مذكور لهم مكتوب عندهم،وإنما ذاك ذكره والخبر عنه،وأما نحن فنفس القرآن أنزل الينا ونفس القرآن مكتوب في مصاحفنا،كما أن نفس القرآن في الكتاب المكنون وهو في الصحف المطهرة.

ولهذا يجب الفرق بين قوله تعالى: (وكل شيء فعلوه في الزبر)[3]

---

١ ـ سورة الواقعة آية رقم ٧٧ ـ ٧٨

٢ ـ سورة الشعراء آية رقم ١٩٦

٣ ـ سورة القمر آية رقم ٥٢

وبين قوله تعالى: (وكتاب مسطور،في رق منشور)؛[1]فان الأعمال في الزبر كالرسول وكالقرآن في زبر الأولين،وأما «الكتاب المسطور في الرق المنشور» فهو كما يكتب الكلام نفسه والصحيفة،فأين هذا من هذا؟

وذلك أن كل شيء فله «أربع مراتب» في الوجود: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان،ووجود في اللسان،ووجود في البنان: وجود عيني، وعلمي،ولفظي،ورسمي. ولهذا كان أول ما أنزل الله من القرآن: (إقرأ باسم ربك الذي خلق)[2]وذكر فيها انه سبحانه معطي الوجودين فقال: (إقرأ باسم ربك الذي خلق،خلق الانسان من علق)[3]فهذا الوجود العيني،ثم قال: (إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم)[4]فذكر أنه أعطى الوجود العلمي الذهني،وذكر التعليم بالقلم؛لأنه مستلزم لتعليم اللفظ والعبارة،وتعليم اللفظ والعبارة مستلزم لتعليم المعنى،فدل بذكره آخر المراتب على أولها [لأنه] لو ذكر أولها أو أطلق التعليم لم يدل ذلك على العموم والاستغراق.

وإذا كان كذلك فالقرآن كلام،والكلام له «المرتبة الثالثة» ليس بينه وبين الورق مرتبة أخرى متوسطة؛بل نفس الكلام يثبت في الكتاب، كما قال الله تعالى: (انه لقرآن كريم،في كتاب مكنون)[5]وقال تعالى:

---

١ ـ سورة الطور آية رقم ٢ ـ ٣
٢ ـ سورة العلق آية رقم ١
٣ ـ سورة العلق آية رقم ١ ـ ٢
٤ ـ سورة العلق آية رقم ٣ ـ ٥
٥ ـ سورة الواقعة آية رقم ٧٧ ـ ٧٨

(بل هو قرآن مجيد، في لوح محفوظ)[1] وقال: (يتلو صحفاً مطهرة، فيها كتب قيمة)[2] وقال: (كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره، في صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة)[3] وقال: (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس).[4]

وقد يقال: إنه مكتوب فيها، كما يطلق القول: أنه فيها، كما قال تعالى: (والطور، وكتاب مسطور، في رق منشور)[5] وأما الرب سبحانه أو رسوله أو غير ذلك من الأعيان فإنما في الصحف اسمه، وهو من الكلام؛ ولهذا قال: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي، الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والانجيل)[6] وإنما في التوراة كتابته وذكره وصفته واسمه وهي «المرتبة الرابعة» منه، فكيف يجوز تشبيه كون القرآن أو الكلام في الصحف أو الورق بكون الله أو رسوله أو السماء أو الأرض في الصحف أو الورق؟!

ولو قال قائل: الله أو رسوله في الصحف أو الورق لأنكر ذلك؛ إلا مع قرائن تبين المراد، كما في قوله: (وكل شيء فعلوه في الزبر)[7] وفي قوله: (وانه لفي زبر الأولين)[8] فان المراد بذلك ذكره وكتابته. و «الزبر» جمع زبور، والزبور فعول بمعنى مفعول أي مزبور أي: مكتوب فلفظ الزبور

---

١ ـ سورة البروج آية رقم ٢١ ـ ٢٢
٢ ـ سورة البينة آية رقم ٢ ـ ٣
٣ ـ سورة عبس آية رقم ١٢ ـ ١٤
٤ ـ سورة الأنعام آية رقم ٧
٥ ـ سورة الطور الآيات رقم ١ ـ ٣
٦ ـ سورة الأعراف آية رقم ١٥٧
٧ ـ سورة القمر آية رقم ٥٢
٨ ـ سورة الشعراء آية رقم ١٩٦

يدل على الكتابة،وهذا مثل ما فى الحديث المعروف عن ميسرة الفجر: «قال قلت:يا رسول الله!

متى كنت نبياً - وفي رواية متى كتبت نبياً -؟قال:وآدم بين الروح والجسد»[1]رواه أحمد.فهذا الكون هو كتابته وتقديره،وهو «المرتبة الرابعة» كما تقدم.

فان هذه المرتبة تتقدم وجود المخلوقات عند الله،وعند من شاء من خلقه؛ وإن كنت قد تتأخر أيضاً؛ف «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[2]رواه مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن النبى صلى الله عليه وسلم؛ولهذا قال ابن عباس فى قوله: (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)[3]:ان الله يأمر الملائكة بأن تنسخ من اللوح المحفوظ ما كتبه من القدر، ويأمر الحفظة أن تكتب أعمال بني آدم فتقابل بين النسختين فتكونان سواء،ثم يقول ابن عباس:الستم قوماً عرباً؟وهل تكون النسخة إلا من أصل؟.

والتقدير والكتابة تكون تفصيلا بعد جملة.فالله تعالى لما قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة لم يظهر ذلك

١ - الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب المناقب ٩. ٣٦ - حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع بن الوليد البغدادى حديثا الوليد بن مسلم عن الأوزاعى عن يحيى بن كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة - رضى الله عنه.قال قالوا يا رسول الله:وذكره.

قال الترمذى:هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبى هريرة لا نعرفه الا من هذا الوجه.

٢ - الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب القدر ١٦ (٢٦٥٣) بسنده عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول:وذكره.

٣ - سورة الجاثية آية رقم ٢٩

التقدير للملائكة،ولما خلق آدم قبل أن ينفخ فيه الروح أظهر لهم ما قدره،كما ظهر لهم ذلك من كل مولود،كما في الصحيح عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:«يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة،ثم يكون علقة مثل ذلك،ثم يكون مضغة مثل ذلك،ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح،ويؤمر بأربع كلمات:بكتب رزقه،وأجله،وعمله،وشقي أو سعيد» وفى طريق آخر وفى رواية «ثم يبعث إليه الملك.فيؤمر بأربع كلمات،فيقال:اكتب رزقه،وعمله،وأجله،وشقي أو سعيد،ثم ينفخ فيه الروح».[1]

فأخبر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الصحيح:ان الملك يؤمر بكتابة رزقه،وعمله،وشقي أو سعيد،بعد خلق جسد ابن آدم وقبل نفخ الروح فيه.فكان ما كتبه الله من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو سيد ولد آدم بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه من هذا الجنس،كما فى الحديث الآخر الذي في المسند وغيره عن العرباض بن سارية عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «اني عند الله مكتوب خاتم النبيين،وان آدم لمنجدل فى طينته»[2]وهذا وأمثاله من وجود الأعيان في الصحف.

وأما وجود الكلام فى الصحف فنوع آخر؛ولهذا حكى ابن قتيبة من مذهب أهل الحديث والسنة:ان القرآن في المصحف حقيقة لامجازاً،كما يقوله

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام البخارى فى كتاب القدر او أخرجه الامام مسلم فى كتاب القدر ١ (٢٦٤٣) حدثنا أبى وأبو معاوية ووكيع قالوا حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله قال:حدثنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو الصادق المصدوق:وذكره

٢ ـ الحديث أخرجه الامام أحمد فى المسند ١٢٧:٤ ،١٢٨ (حلبى)

بعض المتكلمة،واحدى «الجهميات» التى أنكرها أحمد وأعظمها قول من زعم ان القرآن ليس في الصدور ولا فى المصاحف،وان من قال ذلك فقد قال بقول النصارى،كما حكي له ذلك عن موسى بن عقبة الصوري ـ احد كتبة الحديث إذ ذاك؛ليس هو صاحب المغازي؛من أصحاب التابعين ـ فأعظم ذلك احمد،وذكر النصوص والآثار الواردة وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «استذكروا القرآن فلهو اشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقلها»،[1]ومثل قوله: «الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[2]وغير ذلك.

وليس الغرض هنا الا التنبيه اللطيف.

ومن قال:ان هذا شبه قول النصارى فلم يعرف قول النصارى،ولا قول المسلمين،أو علم وجحد؛وذلك ان النصارى تقول:ان الكلمة وهي جوهر إله عندهم ورب معبود تدرع الناسوت واتحد به كاتحاد الماء واللبن،أو حل فيه حلول الماء في الظرف،او اختلط به اختلاط النار والحديد،والمسلمون لا يقولون ان القرآن جوهر قائم بنفسه معبود،وإنما هو كلام الله الذي تكلم به،ولا يقولون اتحد بالبشر.

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام البخارى فى فضائل القرآن ٢٣ وأخرجه الامام مسلم فى صلاة المسافرين ٢٢٨ (٧٩١) حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره.وأخرجه الترمذى فى فضائل القرآن ٨ والافتتاح ٣٧ والدارمى فى فضائل القرآن ٤ واحمد بن حنبل فى المسند ١: ٣٨٢، ٤١٧، ٤٢٣ (حلبى)

٢ ـ الحديث أخرجه الترمذى فى فضائل القرآن ٢٩١٣ عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال:رسول الله صلى الله عليه وسلم:وذكره.

قال الترمذى:هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الدارمى فى فضائل القرآن ١

واما اطلاق حلوله في المصاحف والصدور فكثير من المتنسبين الى السنة الخراسانيين وغيرهم يطلق ذلك ومنهم من العراقيين وغيرهم من ينفى ذلك ويقول:هو فيه على وجه الظهور لا على وجه الحلول،ومنهم من لا يثبته ولا ينفيه،بل يقول:القرآن في القلوب والمصاحف لا يقال هو حال ولا غير حال؛ لما في النفي والاثبات من إيهام معنى فاسد،وكما يقول ذلك طوائف من الشاميين وغيرهم،ولا نزاع بينهم:ان كلام الله لا يفارق ذات الله،وانه لا يباينه كلامه ولا شيء من صفاته؛بل ليس شيء من صفة موصوف تباين موصوفها وتنتقل الى غيره،فكيف يتوهم عاقل ان كلام الله يباينه وينتقل الى غيره؟

ولهذا قال الامام احمد:كلام الله من الله،ليس ببائن منه وقد جاء فى الأحاديث والآثار: «انه منه بدأ،ومنه خرج» ومعنى ذلك انه هو المتكلم به لم يخرج من غيره،ولا يقتضى ذلك انه باينه وانتقل عنه،فقد قال سبحانه في حق المخلوقين: (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذباً)[1]ومعلوم ان كلام المخلوق لا يباين محله،وقد علم الناس جميعهم أن نقل الكلام وتحويله هو معنى تبليغه،كما قال: (بلغ ما أنزل إليك من ربك)[2]،وقال تعالى:(الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه)[3]وقال تعالى: (ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم)[4]وقال النبى صلى الله عليه وسلم:«نضر الله امرءاً سمع منا حديثاً فبلغه الى من لم يسمعه،فرب حامل فقه غير

١ ـ سورة الكهف آية رقم ٥
٢ ـ سورة المائدة آية رقم ٦٧
٣ ـ سورة الأحزاب آية رقم ٣٩
٤ ـ سورة الجن آية رقم ٢٨

فقيه،ورب حامل فقه إلى من هو افقه منه»[1]،وقال: «بلغوا عني ولو آية».[2]

والكلام فى الورق ليس هو فيه كما تكون الصفة بالموصوف والعرض بالجوهر،بحيث تصير صفه له،ولا هو فيه كما يكون الجسم فى الحيز الذي انتقل اليه من حيز آخر،ولا هو فيه كمجرد الدليل المحض بمنزلة العالم الذي هو دليل على الصانع؛بل هو قسم آخر معقول بنفسه،ولا يجب ان يكون لكل موجود نظير يطابقه من كل وجه؛بل الناس بفطرهم يفهمون معنى كلام المتكلم فى الصحيفة،ويعلمون ان كلامه الذي قام به لم يفارق ذاته ويحل فى غيره،ويعملون أن ما فى الصحيفة ليس مجرد دليل على معنى فى نفسه ابتداء،بل ما فى الصحيفة مطابق للفظه،ولفظه مطابق لمعناه،ومعناه مطابق للخارج،وقد يعلم ما في نفسه بأدلة طبعية،وبحركات ارادية لم يقصد بها الدلالة،ولا يقول أحد ان ذلك الكلام للمتكلم مثل كلامه المسموع منه،فلو كان الكلام إنما سمي بذلك لمجرد الدلالة لشاركه كل دليل،وسنتكلم ان شاء الله تعالى على ذلك.

ولو كان ما في المصحف وجب احترامه لمجرد الدلالة وجب احترام كل دليل؛بل الدال على الصانع وصفاته أعظم من الدال على كلامه،وليست له حرمة كحرمة المصحف،والدال على المعنى القائم بنفس الانسان قد يعلم تارة بغير اختياره،وقد يعلم بأصوات طبعية،كالبكاء،وقد يعلم بحركات لم يقصد بها الدلالة،وقد يعلم بحركات يقصد بها الدلالة كالاشارة،وقد يعلم باللفظ الذي تقصد به الدلالة.

---

١ ـ سبق تخريج هذا الحديث فى هذا الجزء قريباً من هذا

٢ ـ سبق تخريج هذا الحديث فى هذا الجزء قريباً من هذا

فصـــل

فى قولهم القراءة غير المقروء والتلاوة غير المتلو

وصار هؤلاء الذين غلطوا مذهب «اللفظية» وزادوا فيه شراً كثيراً إذ قالوا: «القراءة» غير المقروء و «التلاوة» غير المتلو و «الكتابة» غير المكتوب إنما يعنون بالقراءة أصوات القارئين وبـ «الكتابة» مداد الكاتبين،ويعنون أن هذا غير المعنى القائم بالذات الذي هو كلام الله،وإنما هو دلالة عليه،وعبارة عنه؛وليس عندهم إلا قراءة ومقروء،فلم يبق إلا صوت،ومداد،ومعنى قائم بالذات؛ليس ثم قرآن غير ذلك.

وأسقطوا حروف كلام الله التى تكلم بها،وحقيقة معاني القرآن التى فى نفس الله تعالى،وأسقطوا أيضاً معانى القرآن التى فى نفوس القارئين والمستمعين؛فانه لاريب أن القرآن الذي نقرأه فيه حروف ومعانى حروف منطوقة ومسطورة؛فاذا لم يكن عندهم إلا صوت العبد وحبر المصحف فأين المعانى؟وأين حروف القرآن التى أنزلها الله؟وإن كانت عندهم مخلوقة.وكيف يتصور ان لا يكون لجميع ما أنزل الله تعالى من الكتب إلا معنى واحد يكون أمراً ونهياً ووعداً ووعيداً،.

وتكون هذه أوصافه لا أقسامه؟فان هؤلاء يقولون:ان معانى جميع كلام الله معنى واحد،فمعنى:(تبت يدا أبى لهب)[1] هو معنى(قل:هو الله أحد)[2]ومعنى التوراة هو معنى القرآن والانجيل.ثم قد يجعلون معانى الكلام كلها الخبر،وقد يجعلون معنى الخبر العلم،ويجعلون العلم بهذا غير العلم بهذا.

---

١ ـ سورة المسد آية رقم　　　٢ ـ سورة الاخلاص آية رقم ١

ولهذا كان أكثر العقلاء يقولون:فساد هذا معلوم بالاضطرار، ويقولون:الامر والنهي والخبر صفات اضافية للكلام،وليست هي أنواع الكلام وأقسامه،وكلام الله شأنه اعظم من شأن كلام المخلوقين، والكلام الذي فى المصحف هو من هذا القسم الاخير دون الأقسام المتقدمة،فكيف إذا كان لذلك اللفظ من الخصائص ما قيل فيه:(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله،ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[1].

لكن من الاشياء ما يدل على غيره بقصد منه [ومنها ما يدل على] غيره [بغيره قصد منه] للدلالة كالجامدات فان فيها مقاصد غير دلالتها على [الخالق] ومن الأشياء مالا يقصد به إلا الدلالة.بحيث إذا ذكر ما يقصد بذكره مدلوله كالاسم مع مسماه،فالمقصود من الاسم هو المسمى؛فلهذا إذا ذكر الاسم كان المقصود به المسمى،وكذلك «اللفظ»مع المعنى الذي هو مدلوله وكذلك «الخط» مع اللفظ،فالمقصود من الخط إنما هو اللفظ،والمقصود من الحروف المرسومة هو الحرف المنطوقة : ولهذا كان لفظ الحرف مقولا عليهما جميعاً.فاذا قيل : الكلام من الكتاب عرف ان المقصود مما في الكتاب هو الكلام دون غيره،ولهذا كان من الاختصاص بالحرمة ما ليس لما يقصد منه الدلالة وغير الدلالة والله اعلم.

---

١ ـ سورة الاسراء آية رقم ٨٨

فصـــل

وصار أولئك الذين غلطوا مذهب «اللفظية المثبتة» الذي يقولون:

لفظنا بالقرآن غير مخلوق،ويقولون : «التلاوة» هي المتلو،و «الكتابة» هي المكتوب،وما عندهم من القرآن إلا ما توهموا من الحروف والأصوات يلتزم أحدهم:ان الصوت القديم يسمع من القارىء،ويوهمون المخالف لهم ان عين الصوت المسموع من العبد هو عين الصوت الذي تكلم الله به،وينكرون معانى حقائق القرآن ان تكون من كلام الله ولا يجعلون المعنى من كلام الله،وكان السلف يقولون:القرآن كلام الله غير مخلوق،والقرآن حيث تصرف فهو كلام الله غير مخلوق.

و «اللفظية المبتدعة المثبتة» الذين انكر عليهم الامام احمد وغيره إنما قالوا لفظنا به غير مخلوق؛ولم يقولوا قديم.فجاءت المغلطة لمذهبهم،فقالوا: لفظنا به قديم،ولفظنا به أصواتنا ،فأصواتنا به قديمة.والامام احمد وسائر الأئمة من أصحابه الذين صحبوه وغيرهم ومن بعدهم من الأئمة ينكرون هذه «المراتب الأربع» فانهم ينكرون أن يقال:لفظي به غير مخلوق،فكيف لفظي به قديم؟فكيف صوتى به غير مخلوق؟فكيف صوتى به قديم؟أو بعض الصوت المسموع قديم؟ونحو ذلك.

فصــــل

منشأ النزاع بين الناس

ومن تأمل نصوص «الامام أحمد» في هذا الباب وجدها من أسد الكلام وأتم البيان،ووجد كل طائفة منتسبة إلى السنة قد تمسكت منها بما تمسكت،ثم قد يخفى عليها من السنة في موضع آخر ما ظهر لبعضها فتنكره.

ومنشأ النزاع بين أهل الأرض،والاضطراب العظيم الذي لا يكاد ينضبط في هذا الباب يعود الى «أصلين».

«مسألة» تكلم الله بالقرآن وسائر كلامه.

و «مسأله» تكلم العباد بكلام الله.

وسبب ذلك ان التكلم والتكليم له مراتب ودرجات،وكذلك تبليغ المبلغ لكلام غيره له وجوه وصفات،ومن الناس من يدرك من هذه الدرجات والصفات بعضها ،وربما لم يدرك إلا أدناها ،ثم يكذب بأعلاها ،فيصيرون مؤمنين ببعض الرسالة،كافرين ببعضها ،ويصير كل من الطائفتين مصدقة بما أدركته،مكذبة بما مع الآخرين من الحق.

وقد بين الله فى كتابه وسنة رسوله ذلك فقال تعالى:(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاو حياً،أو من وراء حجاب،أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)[1] وقال تعالى:(إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده،وأوحينا إلى ابراهيم،واسماعيل،واسحق ويعقوب،والاسباط،وعيسى،

---

١ ـ سورة الشورى آيه رقم ٥١

وأيوب،ويونس،وهارون،وسليمان،وآتينا داود زبورا،ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل،ورسلا لم نقصصهم عليك،وكلم الله موسى تكليما)[١]، وقال:(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض،منهم من كلم الله،ورفع بعضهم درجات،وآتينا عيسى بن مريم البينات،وأيدناه بروح القدس)[٢].

ففي هذه الآية خص بالتكليم بعضهم،وقد صرح في الآيه الأخرى بأنه كلم موسى تكليما،واستفاضت الآثار بتخصيص موسى بالتكليم،فهذا التكليم الذي خص به موسى على نوح وعيسى ونحوهما ليس هو التكليم العام الذي قال فيه:(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا،أو من وراء حجاب،أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)[٣] فان هذه الآية قد جمع فيها جميع درجات التكليم،كما ذكر ذلك السلف.

فروينا في كتاب «الابانة» لأبى نصر السجزي،وكتاب البيهقي،وغيرهما عن عقبة،قال:سئل ابن شهاب عن هذه الآية:(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا،أو من وراء حجاب،أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء.إنه علي حكيم) قال ابن شهاب:نزلت هذه الآية تعم من أوحى الله إليه من البشر.فكلام الله الذي كلم به موسي من وراء حجاب،والوحي ما يوحي الله إلى النبى من أنبيائه عليهم السلام،ليثبت الله عز وجل ما أراد من وحيه فى قلب النبى،ويكتبه،وهو كلام الله،ووحيه،ومنه ما يكون بين الله وبين رسله،ومنه ما يتكلم به الأنبياء ولا يكتبونه لأحد،ولا يأمرون بكتابته، ولكنهم يحدثون به الناس حديثاً،ويبينونه لهم؛لأن الله أمرهم أن يبينوه

---

١ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٣
٢ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٥٣
٣ ـ سورة الشورى آية رقم ٥١

للناس،ويبلغوهم إياه،ومن الوحي ما يرسل الله به من يشاء ممن اصطفاه من ملائكته فيكلمون به انبياء من الناس،ومن الوحى ما يرسل الله به من يشاء من الملائكة فيوحيه وحيا فى قلب من يشاء من رسله.

قلت:فالأول الوحي وهو الاعلام السريع الخفي:إما فى اليقظة،وإما فى المنام،فان رؤيا الأنبياء وحي،ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة،كما ثبت ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم في الصحاح،[1]وقال عبادة بن الصامت - ويروى مرفوعا - :"رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام» وكذلك فى «اليقظة» فقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال:«قد كان فى الأمم قبلكم محدثون،فان يكن فى أمتى فعمر»[2] وفى رواية فى الصحيح «مكلمون» وقد قال تعالى:(وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولي)[3]وقال تعالى:(وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه)[4].بل قد قال تعالى:(وأوحى في كل سماء أمرها)[5]وقال تعالى:(وأوحى ربك إلى النحل)[6]

فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء،ويكون يقظة،ومناما.وقد يكون بصوت هاتف،يكون الصوت فى نفس الانسان،ليس خارجا عن نفسه يقظة ومناما،كما قد يكون النور الذي يراه ايضاً فى نفسه.

---

١ - الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التعبير ٢ . ٤ . ١٠ وأخرجه الامام مسلم فى الرؤيا ٦ . ٧ . ٨ وأبو داد فى كتاب الأدب ٨٨ والترمذى فى الرؤيا أو ابن ماجة فى الرؤيا او صاحب الموطأ فى الرؤيا ١ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢:١٨ . ٥٠ ٢١٩ (حلبى)

٢ - الحديث أخرجه البخارى فى فضائل الصحابة ٦ والأنبياء ٥٤ والامام مسلم فى فضائل الصحابه ٢٣ والترمذى فى المناقب ١٧ واحمد بن حنبل فى المسند ٦:٥٥ (حلبى)

٣ - سورة المائدة آية رقم ١١١

٤ - سورة القصص آية رقم ٧

٥ - سورة فصلت آية رقم ١٢

٦ - سورة النحل آية رقم ٦٨

فهذه «الدرجة» من الوحي التى تكون في نفسه من غير ان يسمع صوت ملك فى أدنى المراتب وآخرها،وهي أولها باعتبار السالك،وهي التى أدركتها عقول الالهيين من فلاسفة الاسلام الذين فيهم اسلام وصبوء،فآمنوا ببعض صفات الأنبياء والرسل ـ وهو قدر مشترك بينهم وبين غيرهم ـ ولكن كفروا بالبعض،فتجد بعض هؤلاء يزعم أن النبوة مكتسبة،أو أنه قد استغنى عن الرسول،أو ان غير الرسول قد يكون أفضل منه،وقد يزعمون:ان كلام الله لموسى كان من هذا النمط،وأنه إنما كلمه من سماء عقله،وان الصوت الذي سمعه كان في نفسه،أو أنه سمع المعنى فائضاً من العقل الفعال، أوأن احدهم قد يصل إلى مقام موسى.

ومنهم من يزعم أنه يرتفع فوق موسى،ويقولون:إن موسى سمع الكلام بواسطة ما فى نفسه من الأصوات ونحن نسمعه مجرداً عن ذلك.ومن هؤلاء من يزعم ان جبريل الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الخيال النوراني:الذي يتمثل فى نفسه،كما يتمثل فى نفس النائم،ويزعمون ان القرآن أخذه محمد عن هذا الخيال المسمى بجبريل عندهم؛ولهذا قال ابن عربى صاحب «الفصوص» [1]و «الفتوحات المكية)[2]:انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك:الذي يوحي به إلى الرسول.وزعم ان مقام «النبوة» دون الولاية،وفوق «الرسالة» فان محمدا ـ بزعمهم الكاذب ـ يأخذ عن هذا الخيال النفسانى ـ الذي سماه ملكا ـ وهو يأخذ عن العقل المجرد الذي أخذ منه هذا الخيال.

---

١ ـ قام بتحقيقه الاستاذ الدكتور أبو العلا عفيفى

٢ ـ قامت بتحقيقه لجنة من العلماء، وقامت بطبعه الهيئة العامة للكتاب ـ ط ـ مصر

ثم هؤلاء لا يثبون لله كلاماً اتصف به فى الحقيقة ولا يثبتون انه قصد إفهام أحد بعينه؛بل قد يقولون لا يعلم أحداً بعينه؛إذ علمه وقصده عندهم إذا اثبتوه لم يثبتوه إلا كلياً لا يعين احداً،بناء على أنه يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، إلا على وجه كلي.وقد يقرب أو يقرب من مذهبهم من قال باسترسال علمه على أعيان الأعراض،وهذا الكلام - مع أنه كفر باتفاق المسلمين - فقد وقع فى كثير منه من له فضل فى الكلام والتصوف ونحو ذلك،ولولا أنى أكره التعيين فى هذا الجواب لعينت أكابر من المتأخرين....

وقد يكون الصوت الذي يسمعه خارجاً عن نفسه من جهة الحق تعالى على لسان ملك من ملائكته أو غير ملك،وهو الذي أدركته الجهمية من المعتزلة ونحوهم،واعتقدوا انه ليس لله تكليم إلا ذلك،وهو لا يخرج عن قسم الوحي الذي هو احد أقسام التكليم،أو قسم التكليم بالرسول.وهو «القسم الثانى» حيث قال تعالى:(أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)[1]فهذا إيحاء الرسول؛وهو غير الوحي الأول من الله الذي هو أحد اقسام التكليم العام.

وإيحاء الرسول ايضاً «انواع» ففى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها:«ان الحارث بن هشام سأل النبى صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى؟قال:أحياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس،وهو أشده علي،فيفصم عني وقد وعيت ما قال،وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول»[2]

---

١ - سورة الشورى آية رقم ٥١

٢ - الحديث أخرجه الامام البخارى فى كتاب بدء الخلق ٦ والنسائى فى الافتتاح ٣٧ وأحمد بن حنبل فى المسند ١٦٣:٦ (حلبى)

قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا.

فأخبر صلى الله عليه وسلم: ان نزول الملك عليه تارة يكون في الباطن بصوت مثل صلصلة الجرس. وتارة يكون متمثلا بصورة رجل يكلمه، كما كان جبريل يأتى فى صورة دحية الكلبى،[1] وكما تمثل لمريم بشراً سويا، وكما جاءت الملائكة لابراهيم وللوط فى صورة الآدميين، كما اخبر الله بذلك فى غير موضع وقد سمى الله كلا النوعين إلقاء الملك، وخطابه وحيا؛ لما فى ذلك من الخفاء؛ فانه إذا رآه يحتاج أن يعلم انه ملك، وإذا جاء فى مثل صلصلة الجرس يحتاج إلى فهم ما في الصوت.

و «القسم الثالث» التكليم من وراء حجاب، كما كلم موسى عليه السلام؛ ولهذا سمى الله هذا «نداء» و «نجاء» فقال تعالى: (وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا)[2] وقال تعالى: (فلما أتاها نودي يا موسى إنى أنا ربك، فاخلع نعليك، إنك بالواد المقدس طوى، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى)[3] وهذا التكليم مختص ببعض الرسل، كما قال تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله)[4] وقال تعالى: (ولما جاء موسى لميقاتنا، وكلمه ربه)[5] وقال بعد ذكر إيحائه إلى الأنبياء: (وكلم الله موسى تكليما)[6] فمن جعل هذا من جنس الوحي الأول ـ كما يقول ذلك من يقوله من المتفلسفة ومن تكلم فى التصوف على طريقهم كما فى «مشكاة الأنوار»

---

١ ـ سبقت الترجمة له فى الجزء الأول فى كلمة وافية ٢ ـ سورة مريم آية رقم ٥٢
٣ ـ سورة طه آية رقم ١١ ٤ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٥٣
٥ ـ سورة الأعراف آية رقم ١٤٣ ٦ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٤

وكما فى «كتاب خلع النعلين» وكما في كلام الاتحادية كصاحب «الفصوص» وأمثاله - فضلا له ومخالفته للكتاب والسنة والاجماع؛بل وصريح المعقول من أبين الأمور.

وكــذلك من زعم:أن تكليم الله لموسى إنما هو من جنس الالهـــام والوحي؛وان الواحد منا قد يسمع كلام الله كما سمعه موسى - كما يوجد مثل ذلك فى كلام طائفة من فروخ الجهمية الكلابية ونحوهم - فهذا أيضاً من أعظم الناس ضلالا.

وقد دل كتاب الله على أن اسم الوحي والكلام فى كتاب الله فيهما عموم وخصوص.فاذا كان أحدهما عاماً اندرج فيه الآخر،كما اندرج الوحي فى التكليم العام في هذه الآية،واندرج التكليم فى الوحي العام حيث قال تعالى:(فاستمع لما يوحى)[1]واما التكليم الخاص الكامل فلا يدخل فيه الوحي الخاص الخفي:الذي يشترك فيه الأنبياء وغيرهم،كما أن الوحي المشترك الخاص لا يدخل فيه التكليم الخاص الكامل؛كما قال تعالى لزكريا:(آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا)[2]ثم قال تعالى:(فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم)[3]«فالايحاء» ليس بتكليم،ولا يناقض الكلام،وقوله تعالى في الآية الأخرى:(ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً)[4]ان جعل معنى الاستثناء منقطعاً اتفق معنى التكليم فى الآيتين،وان جعل متصلا كان التكليم مثل التكليم فى سورة الشورى،وهو

---

١ - سورة طه آية رقم ١٣
٢ - سورة مريم آية رقم ١٠
٣ - سورة مريم آية رقم ١١
٤ - سورة آل عمران آية رقم ٤١

التكليم العام؛وقد تبين أنه إنما كلم موسى تكليما خاصاً كاملا بقوله: (منهم من كلم الله)[1]مع العلم بأن الجميع أوحى إليهم،وكلمهم التكليم العام،وبأنه فرق بين تكليمه وبين الايحاء إلى النبيين،وكذا التكليم بالمصدر وبأنه جعل التكليم من وراء حجاب قسما غير إيحائه،وبما تواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه من تكليمه الخاص لموسى منه إليه،وقد ثبت انه كلمه بصوت سمعه موسى،كما جاءت الآثار بذلك عن سلف الأمة وأئمتها موافقة لما دل عليه الكتاب والسنة.

وغلطت هنا «الطائفة الثالثة» الكلابية.فاعتقدت أنه إنما أوحى إلى موسى عليه السلام معنى مجردا عن صوت.

واختفت هل يسمع ذلك؟فقال بعضهم يسمع ذلك المعنى بلطيفة خلقها فيه،قالوا:ان السمع،والبصر،والشم،والذوق،واللمس معان تتعلق بكل موجود،كما قال ذلك الأشعري،وطائفة،وقال بعضهم لم يسمع موسى كلام الله،فانه عنده معنى،والمعنى لا يسمع،كما قال ذلك القاضي أبو بكر وطائفة.

وهذا الذي أثبتوه في جنس الوحي العام الذي فرق الله عز وجل بينه وبين تكليمه لموسى عليه السلام حيث قال: (إنا أوحينا إليك،كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله: (وكلم الله موسى تكليما)[2]وفرق بين إيحائه وبين تكليمه من وراء حجاب حيث قال: (إلا وحياً،أو من وراء حجاب)[3]وحيث فرق بين الرسول المكلم وغيره بقوله تعالى: (منهم من كلم الله).

---

١ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٥٣

٢ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٤

٣ ـ سورة الشورى آية رقم ٥١

لكن هؤلاء يثبتون ان لله كلاما هو معنى قائم بنفسه هو متكلم به، وبهذا صاروا خيراً ممن لا يثبت له كلاما إلا ما أوحى فى نفس النبى من المعنى؛أو ما سمعه من الصوت المحدث،ولكن لفرط ردهم على هؤلاء زعموا:أنه لا يكون كلاما لله بحال إلا ما قام به؛فانه لا يقوم به إلا المعنى.فانكروا أن تكون الحروف كلام الله،وأن يكون القرآن العربي كلام الله.

وجاءت «الطائفة الرابعة» فردوا على هؤلاء دعواهم ان يكون الكلام مجرد المعنى فزعم بعضهم أن الكلام ليس إلا الحرف أو الصوت فقط وإن المعانى المجردة لا تسمى كلاما أصلا؛وليس كذلك؛بل الكلام المطلق اسم للمعاني والحروف جميعاً،وقد يسمى أحدهما كلاماً مع التقييد كما يقول النحاة: «الكلام» اسم،وفعل،وحرف.فالمقسوم هنا اللفظ،وكما قال الحسن البصري:مازال أهل العلم يعودون بالتكلم على التفكر،وبالتفكر على التدبر،ويناطقون القلوب حتى نطقت.وكما قال الجنيد:[1]«التوحيد» قول القلب «والتوكل» عمل القلب.فجعلوا للقلب نطقاً،وقوة،كما جعل النبى صلى الله عليه وسلم للنفس حديثاً فى قوله:«إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ـ ثم قال ـ : مالم تتكلم به،أو تعمل به».[2]

فعلم ان «الكلام المطلق» هو ما كان بالحروف المطابقة للمعنى،وإن كان

---

١ ـ هو الجنيد بن محمد الجنيد البغدادى الخزاز أبو القاسم:صوفى من العلماء بالدين مولده ونشأته ووفاته ببغداد عام ٢٩٧ هـ أصل أبيه من نهاوند وكان يعرف بالقواريرى نسبة لعمل القوارير وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز قال أحد معاصريه:ما رأيت مثله.وقال ابن الأثير:إمام الدنيا فى زمانه،وعده العلماء شيخ مذهب التصوف.

راجع روضة الناظرين والكامل لابن الاثير ووفيات الأعيان ١١٧:١

٢ ـ سبق تخريج هذا الحديث

مع التقييد قد يقع بغير ذلك،حتى إنهم قد يسمون كل إفهام ودلالة يقصدها الدال قولا ،سواء كانت باللفظ او الاشارة،او العقد ـ عقد الاصابع ـ وقد يسمون أيضا الدلالة قولا ،وإن لم تكن بقصد من الدال مثل دلالة الجامدات كما يقولون:قالت:«اتساع بطنه».

وامتلأ الحوض وقال قطنى قطنى رويداً قد ملأت بطني

وقالت له العينان سمعا وطاعة

ويسمى هذا لسان الحال ودلالة الحال ومنه قولهم:سل الأرض من فجر أنهارك،وسقى ثمارك،وغرس أشجارك؟فان لم تجبك حوارا أجابتك اعتباراً.
ومنه قولهم:

تخبرني العينان مالقلب كاتم ولا خير فى الحيا والنظر الشزر

ومنه قولهم:

سألت الدار تخبرنى عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لي أناخ القوم أياما وقد رحلوا

وقد يسمى شهادة،وقد زعم طائفة ان ما ذكر فى القرآن من تسبيح المخلوقات هو من هذا الباب،وهو دلالتها على الخالق تعالى:ولكن الصواب ان ثم تسبيحاً آخر زائدا على ما فيها من الدلالة كما قد سبق فى موضع آخر؛لكن هذا كله يكون مع التقييد والقرينة؛ولهذا يصح سلب الكلام والقول عن هذه الأشياء كما قال تعالى:(الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم

سبيلا)[1]وقال تعالى:(أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا،ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً)[2]وقال الخليل عليه السلام:(فاسألوهم ان كانوا ينطقون)[3]وقال تعالى:(هذا يوم لا ينطقون،ولا يؤذن لهم فيعتذرون)[4]وقال تعالى:(لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا)[5]وقال تعالى:(لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)[6]وهذا معلوم بالضرورة والتواتر،وهو سلب القول والكلام عن الحي الساكت والعاجز،فكيف عن الموت؟!

وقد علم ان الله تعالى موصوف بغاية صفات الكمال،وان الرسل قد أثبتوا أنه متكلم بالكلام الكامل التام فى غاية الكمال،فمن لم يجعل كلامه إلا مجرد معنى،أو مجرد حروف،أو مجرد حروف وأصوات،فما قدر الله حق قدره،ومن لم يجعل كلامه إلا ما يقوم بغيره فقد سلبه الكلام،وشبهه بالموات،وكذلك من لم يجعله يتكلم بمشيئته،أو جعله يتكلم بمشيئته وقدرته ولكن جعل الكلام من جملة المخلوقات وجعله يوصف بمخلوقاته،أو جعله يتكلم بعد أن لم يكن متكلماً فكل من هذه الأقوال وإن كان فيه إثبات بعض الحق ففيه رد لبعض الحق ونقص لما يستحقه الله من الكمال.

---

١ ـ سورة الأعراف آية رقم ١٤٨
٢ ـ سورة طه آية رقم ٨٦
٣ ـ سورة الأنبياء آية رقم ٦٣
٤ ـ سورة المرسلات آية رقم ٣٤ ـ ٣٥
٥ ـ سورة النبأ آية رقم ٣٨
٦ ـ سورة الأنبياء آية رقم ٢٧

فصـــل

الإنسان يدرك شيئاً وتغيب عنه أشياء

وكل من هؤلاء أدرك من درجات الكلام وأنواعه بعض الحق.

وكذلك «الأصل الثانى» وهو تكلمنا بكلام الله؛فان الكتاب والسنة والاجماع دل على أن هذا الذي يقرأه المسلمون هو كلام الله لا كلام غيره،ولو قال أحد:إن حرفا منه،او معنى ليس هو من كلام الله،أو أنه كلام غير الله وسمع ذلك منه النبى الله عليه وسلم؛او أحد من أصحابه لعلم بالاضطرار انهم كانوا يقابلونه بما يقابلون أهل الجحود والضلال؛بل قد أجمع الخلائق على نحو ذلك في كل كلام.فجميع الخلق الذين يعلمون ان قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل[1]

من شعر لبيد يعلمون ان هذا كلام لبيد وأن قوله:

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل[2]

هو من كلام امرىء القيس،مع علمهم انهم إنما سمعوها من غيره بصوت ذلك الغير،فجاء المؤمنون ببعض الحق دون بعض فقالوا: ليس هذا،أو لا نسمع إلا صوت العبد ولفظه؛ثم قال «النفاة»:ولفظ العبد محدث،وليس هو كلام الله،فهذا المسموع محدث،وليس هو كلام الله.وقالت «المثبتة»:بل هذا

---

١ ـ البيت للشاعر لبيد بن ربيعه وهذا صدر البيت.وعجزه

* وكل نعيم لا محالة زائل *

٢ ـ هذا صدر بيت من معلقه امرىء القيس وعجزه:بسقط اللوى بين الدخول فحومل*

كلام الله وليس إلا لفظه أو صوته فيكون لفظه او [صوته] كلام الله، وكلام الله غير مخلوق،أو قديم،فيكون لفظه او صوته غير مخلوق أو قديم.

وكل من الفريقين قد علم الناس بالضرورة من دين الأمة؛بل وبالعقل انه مخطىء في بعض ما قاله،مبتدع فيه؛ولهذا أنكر الأئمة ذلك،وإذا رجع أحدهم الى فطرته وجد الفرق بين أن يشير إلى الكلام المسموع فيقال:هذا كلام زيد،وبين أن يقول هذا صوت زيد،ويجد فطرته تصدق بالأول وتكذب بالثاني،قال الله تعالى:(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[1]وقال النبى صلى الله عليه وسلم:«زينوا القرآن بأصواتكم»[2].

وكل أحد يعلم بفطرته ما دل عليه الكتاب والسنة من أن الكلام كلام الباري والصوت صوت القاري،؛ولهذا قال «الامام أحمد» لأبي طالب لما قرأ عليه:(قل هو الله أحد) وقال له:هذا غير مخلوق فحكى عنه أنه قال:لفظي بالقرآن غير مخلوق،قال له:أنا قلت لك لفظي غير مخلوق؟قال:لا.ولكن قرأت عليك:(قل هو الله أحد) فقلت:هذا غير مخلوق.

فبين أحمد الفرق بين أن يقول:هذا الكلام غير مخلوق،أو يقول:لفظ هذا المتكلم غير مخلوق؛لأن قوله لفظي «مجمل» يدخل فيه فعله،ويدخل فيه صوته.فاذا قيل:لفظي،أو تلاوتي،أو قراءتي غير مخلوقة،أو هي المتلو اشعر

---

١ ـ سورة التوبة آية رقم ٦

٢ ـ الحديث ذكره البخاري في كتاب التوحيد ٥٢ باب قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم:الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة:وذكره،وأخرجه أبو داود في كتاب الوتر ٢٠ والنسائي في الافتتاح ٨٣ وابن ماجه في الاقامة ١٧٦ والدرامي في فضائل القرآن ٣٤ واحمد بن حنبل في المسند ٤:٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٦، ٢٠٤ (حلبى)

ذلك ان فعل العبد وصوته قديم،وان ما قام به من المعنى والصوت هو عين ما قام بالله من المعنى والصوت،وإذا قال:لفظي بالقرآن،أو تلاوتي للقرآن،أو لفظ القرآن،أو تلاوته مخلوقة،أو التلاوة غير المتلو،أو القراءة غير المقروء أفهم ذلك أن حروف القرآن ليست من كلام الله بحال،وان نصف القرآن كلام الله ونصفه كلام غيره،وأفهم ذلك ان قراءة الله للقرآن مباينة لمقروئه،وتلاوته للقرآن مباينة لمتلوه،وان قراءة العبد للقرآن مباينة لمقروء العبد،وتلاوته له مباينة لمتلوه،وأفهم ذلك أنما نزل إلينا ليس هو كلام الله؛لأن المقروء والمتلو هو كلام الله،والمغايرة عند هؤلاء تقتضي المباينة،فما باين كلامه لم يكن كلاماً له فلا يكون هذا الذي أنزله كلامه.

ولما كان الكلام إنما يكون بحركة وفعل تنشأ عنه حروف ومعان صار الكلام يدخل فى اسم الفعل والعمل:تارة باعتبار الحركة والفعل،ويخرج عنه تارة باعتبار الحروف والمعاني؛ولهذا يجيء في الكتاب والسنة قسما منة تارة كما فى قوله تعالى:(ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم،ولا خمسة إلا هو سادسهم،ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا،ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة)[1]وقسيماً له أخرى كما في قوله تعالى:(إليه يصعد الكلم الطيب،والعمل الصالح يرفعه)[2].

ولهذا تنازع العلماء فيما إذا حلف لا يعمل عملاً في هذا المكان ولم يكن له نية ولا سبب يفيد،هل يحنث بالكلام؟على قولين في مذهب الامام أحمد وغيره،وذكروهما روايتين عن أحمد؛ولهذا قال أبو محمد ابن قتيبة في كتابه الذي ألفه في بيان «اللفظ» ان القراءة قرآن وعمل لا يتميز أحدهما عن

---

١ ـ سورة المجادلة آية رقم ٧ ٢ ـ سورة فاطر آية رقم ١٠

الآخر،فمن قال:انها قرآن فهو صادق،ومن حلف انها عمل فهو بار،وخطأ من أطلق:ان القراءة مخلوقة،وخطأ من زعم انها غير مخلوقة،ونسبهما جميعاً الى قلة العلم،وقصور الفهم؛فان هذه المسألة خفيت على الطائفتين لغموضهما؛فان احدى الطائفتين وجدت القراءة تسمى قرآنا فنفت الخلق عنها،والأخرى وجدت القراءة فعلا يثاب صاحبه عليه فأثبتت حدثه.

قلت:والخطأ فى هذا الأصل في طرفين،كما أنه فى الأصل الأول فى طرفين.ففي الأصل الأول من قال:إنه ليس له كلام قائم به ومن قال:ليس كلامه إلا معنى مجرد أو صوت مجرد.وفي هذا الأصل من قال:كلامه لا يقوله غيره،أو لا يسمع من غيره،ومن قال:كلامه إذا أبلغه غيره وأداه فحاله كحاله إذا سمعه منه وتلاه بل كلامه يقوله:رسله وعباده،ويتكلمون به، ويتلونه،ويقرأونه فهو كلامه حيث تصرف،وحيث تلى،وحيث كتب،وكلامه ليس بمخلوق حيث تصرف؛وهو مع هذا فليس حاله إذا قرأه العباد وكتبوه كحاله إذا قرأه الله وسمعوه منه،ولا من يسمعه من القارىء بمنزله موسى بن عمران الذي سمع كلام رب العالمين منه،كما جاء فى الحديث:«إذا سمع الخلائق القرآن يوم القيامة من الله فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك» بل ولا تلاوة الرسول وسمعه منه كتلاوة غيره وسمعه منه؛بل ولا تلاوة بعض الناس والسماع منه كتلاوة بعض الناس والسماع منه،وهو كلام الله تعالى الذي ليس بمخلوق في جميع أحواله،وان اختلفت أحواله.

ومما يجب أن يعرف ان قول الله ورسوله والمؤمنين لما أنزله الله:هذا كلام الله؛بل وقول الناس لما يسمعونه من كلام الناس:هذا كلام فلان،كقولهم لمثل

قوله: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى»[1] هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولمثل قوله:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

هذا شعر لبيد.

فليس قولهم: هذا هو هذا؛ لأنه مساو له في النوع، كما يقال: هذا السواد هو هذا السواد؛ فإن هذا يقولونه لما اتفق من الكلامين، والعلمين، والقدرتين، والشخصين. ويقولون في مثل ذلك: وقع الخاطر على الخاطر، كوقع الحافر على الحافر. وفي الحقيقة فهو إنما هو مثله، كما قال تعالى: (كذلك قال الذين من قبلهم: مثل قولهم)[2] وهم يقولون: هذا هو هذا مع اتفاقهما في الصفات، وقد يكون مع اختلافهما اختلافا غير مقصود، كما أنهم يقولون للعين الواحدة إذا اختلفت صفتها هذه [عين] هذه، ولا هو أيضاً بمنزلة من تمثل بكلام لغيره سواء كان نظما أو نثراً مثل أن يتمثل الرجل بقول لغيره فيصير متكلما به متشبهاً بالمتكلم به أولاً، وهذا مثل أن نقول قولاً قاله غيرنا موافقين لذلك القائل في صحة القول.

ولهذا قال الفقهاء: إن من قال ما يوافق لفظ القرآن على وجه الذكر والدعاء مثل أن يقول عند ابتداء الفعل بسم الله، وعند الأكل الحمد لله، ونحو ذلك لم يكن قارئاً، وجاز له ذلك مع الجنابة، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل

---

١ - الحديث أخرجه الامام البخاري في كتاب بدء الوحي ١ وإيمان ٤١ وأخرجه الامام مسلم في كتاب الامارة ١٥٥ وأبو داود في الطلاق ١١ والترمذي في فضائل الجهاد ١٦ والنسائي في الطهارة ٥٩ والطلاق ٢٤ وابن ماجة في الزهد ٢٦ واحمد بن حنبل في المسند (١:٢٥) ٤٣ (حلبي)

٢ - سورة البقرة آية رقم ١١٨

الكلام بعد القرآن «أربع» وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله اكبر»[1] رواه مسلم. فجعلها أفضل الكلام بعد القرآن، وأخبر أنها من القرآن فهي من القرآن. وإذا قالها على وجه الذكر لم يكن قارئاً.

لكن هذا الوجه قد يضاف فيه الكلام إلى الأول وإن لم يقصد الثاني تبليغ كلامه؛ لأنه هو الذي أنشأ الحقيقة ابتداء، والثاني قالها احتذاء فاذا تمثل الرجل بقول الشاعر وإن لم يقصد تبليغ شعره:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قيل له هذا كلام لبيد؛ لكن الثاني قد لا يقصد الا أن يتكلم به ابتداء لاعتقاده صحة معناه.

ومن هنا تنازع أهل العلم في «حروف الهجاء» وفى «الأسماء» المنزلة فى القرآن وفى «كلمات» فى القرآن إذا تمثل الرجل بها ولم يقصد بها القراءة، هل يقال: ليست مخلوقة لأنها من القرآن؟ أو يقال: إذا لم يقصد بها القرآن وكلام الله فليست من كلام الله فتكون مخلوقة، على قولين لأهل السنة.

وأما الانسان إذا قال ما هو كلام لغيره يقصد تبليغه وتأديته، أو التكلم به معتقداً أنه إنما قصد التكلم بكلام غيره الذي هو الآمر بأمره، المخبر بخبره، المتكلم ابتداء بحروفه ومعانيه، فهنا الكلام كلام الأول قطعاً، ليس كلاماً للثاني بوجه من الوجوه، وإنما وصل إلى الناس بواسطة الثاني.

---

١ ـ الحديث أخرجه ابن ماجة فى كتاب الأدب ٣٨١١ عن سلمة بن كهيل عن هلال بن يساف عن سمرة بن جندب عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال: وذكره. وأخرجه البخارى فى كتاب الايمان ١٩ ومسلم فى الآداب ١٢ واحمد بن حنبل فى المسند ٥: ١٠، ١١ (حلبى)

وليس للكلام نظير من كل وجه فيشتبه به،وانما هو أمر معقول بنفسه،فان كلام زيد المخلوق وإن كان قد عدم مثلا،وعدم أيضاً ما قام به من الصفة،فاذا رواه عنه راو آخر،وقلنا:هذا كلام زيد،فانما نشير إلى الحقيقة التى ابتدأ بها زيد واتصف بها،وهذه هي تلك بعينها:أعني الحقيقة الصورية؛لا المادة؛فان الصوت المطلق بالنسبة إلى الحروف الصوتية المقطعة بمنزلة المادة والصورة،وهو لم يكن كلاما للمتكلم الأول؛لأجل الصوت المطلق الذي يشترك فيه صوت الآدميين والبهائم العجم والجمادات،وإنما هو لأجل الصورة التى ألفها زيد مع تأليفه لمعانيها.

ووجود هذه الصورة فى المادتين ليس بمنزلة وجود الأنواع والأشخاص في الأعيان،ولا بمنزلة وجود الأعراض في الجواهر،ولا هو بمنزلة سائر الصور فى موادها الجوهرية؛بل هو حقيقة قائمة بنفسها وليس لكل حقيقة نظير مطابق من كل وجه.

وإذا قالوا:هذا شعر لبيد،فأنما يشيرون إلى اللفظ والمعنى جميعاً.ثم مع هذا لو قال القائل:أنا أنشأت لفظ هذا الشعر،أو هذا اللفظ من انشائي،أو لفظي بهذا الشعر من إنشائي لكذبه الناس كلهم،وقالوا له:بل أنت رويته،وأنشدته.أما أن تكون أحدثت لفظه،أو هو محدث البارحة بلفظك؛أو لفظك به محدث البارحة فكذب؛لأن لفظ هذا الشعر موجود من دهر طويل،وان كنت أنت أديته بحركتك وصوتك،فالحركة والصوت أمر طبيعي يشركك فيه الحيوان،ناطقه وأعجمه،فليس لك فيه حظ من حيث هو كلام،ولا من حيث هو كلام ذلك الشاعر؛إذ كونه كلاما،أو كلاما لمتكلم هو مما يختص به المتكلم؛إنما أديته بآلة يشركك فيها العجماوات،والجمادات؛لكن

الحمد لله الذي جعل لك من العقل والتمييز ما تهتدى به ويسير به لسانك ولم يجعل ذلك للعجماوات؛فجل فعلك وصفتك تعينك على عقل الكلام والتكلم به ولم يجعل فعل العجم وصفتها كذلك.

فاذا كان هذا في مخلوق بلغ كلام مخلوق مثله،فكيف الظن بكلام الخالق جل جلاله الذي فضله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه؟! فان له شأنا آخر يختص به لا يشبه بتبليغ سائر الكلام،كما أنه في نفسه لا يشبه سائر الكلام،وليس له مثل يقدر عليه أحد من الخلق؛بخلاف سائر ما يبلغ من كلام البشر؛فان مثله مقدور فلا يجوز اضافة هذا الكلام المسموع الذي هو القرآن إلى غير الله بوجه من الوجوه؛إلا على سبيل التبليغ،كقولة تعالى: (انه لقول رسول كريم)[1] ،والله سبحانه قد خاطبنا به بواسطة الرسول كما تقدم.

وقد بسطت الكلام في هذه المواضع التي هي محارات العقول التي اضطربت فيها الخلائق في الموضع الذي يليق به؛فان هذا جواب فتيا لا يليق به إلا التنبيه على جمل الأمور،واثبات وجوب نسبة الكلام الى من بدأ منه لفظه ومعناه دون من بلغه عنه وأداه،وانه كلام المتصف به مبتدئاً حقيقة، سواء سمع منه أو سمع ممن بلغه وأداه بفعله وصوته،مع العلم بأن أفعال العباد وصفاتهم مخلوقة وان قول الله ورسوله والمؤمنين:هذا كلام الله،وما بين اللوحين كلام الله حقيقة لاريب فيه،وان «القرآن» الذي يقرأه المسلمون ويكتبونه ويحفظونه هو كلام الله تعالى،وكلام الله حيث تصرف غير مخلوق.وأما ما إقترن بتبليغه وقراءته من أفعال العباد وصفاتهم فانه مخلوق.

---

١ ـ سورة الحاقة آية رقم ٤٠

لكن هذا الموضع فيه اشتباه واشكال لا تحتمل تحريره وبسطه هذه الفتوى؛لأن صاحبها مستوفز عجلان يريد أخذها؛ولأن في ذلك من الدقة والغموض ما يحتاج إلى ذكر النصوص،وبيان معانيها،وضرب الامثال التى توضح حقيقة الأمر،وليس هذا موضعه.

بل الذي يعلم من حيث «الجملة»أن الامام أحمد والأئمة،الكبار الذين لهم فى الأمة لسان صدق عام لم يتنازعوا في شيء من هذا الباب؛بل كان بعضهم أعظم علماً به وقياما بواجبه من بعض.وقد غلط فى بعض ذلك من أكابر الناس جماعات.وقد رد الامام أحمد عامة البدع في هذا الباب هو والأئمة.

فأول ما ابتدع الجهمية القول «بخلق القرآن» و «نفي الصفات» فأنكرها من كان فى ذلك الوقت من التابعين ثم تابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة وكفروا قائلها.ثم ابتدع بعض أهل الحديث والكلام الذين ناظروا الجهمية: القول بأن القرآن المنزل مخلوق،أو انه ليس بكلام الله،أو أنه ليس فى المصاحف ولا فى الصدور،وانكر بعضهم أن تكون حروف القرآن كلام الله،أو أن يكون الله تكلم بالصوت،وانكر الامام أحمد وأئمة وقته ذلك.

وقابلهم قوم من اهل الكلام والحديث؛فزعموا أن ألفاظ العباد وأصوات العباد غير مخلوقة،أو ادعوا ان بعض أفعال العباد أو صفاتهم غير مخلوقة، أو أن ما يسمع من الناس من القرآن هو مثل ما يسمع من الله تعالى من كل وجه،ونحو ذلك.فأنكر الامام أحمد وعامة أئمة وقته وأصحابه وغيرهم من العلماء ذلك.

وإنكار جميع هذه البدع وردها موجود عن الامام أحمد وغيره من الأئمة في الكتب الثابتة مثل «كتاب السنة» للخلال و «الابانة» لابن بطة و «كتب

المحنة» التى رواها حنبل وصالح و «كتاب السنة» لعبد الله بن أحمد و «السنة» للالكائي، و «السنة» لابن أبى حاتم وما شاء الله من الكتب.

فأما الرد على «الجهمية» القائلين بنفي الصفات وخلق القرآن ففي كلام التابعين وتابعيهم والأئمة المشاهير من ذلك شيء كثير،وفي «مسألة القرآن» من ذلك آثار كثيرة جداً.مثل ماروى ابن أبي حاتم وابن شاهين واللالكائي وغيرهم من غير وجه عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ انه قيل له يوم صفين:حكمت رجلين،فقال:ما حكمت مخلوقا ،ما حكمت الا القرآن،وعن عكرمة قال:كان ابن عباس في جنازة،فلما وضع الميت في لحده قام رجل فقال:اللهم رب القرآن اغفر له،فوثب إليه ابن عباس فقال له:مه!القرآن منه. وفي رواية:القرآن كلام الله،وليس بمربوب،منه خرج،وإليه يعود.وعن عبد الله بن مسعود قال:من حلف بالقرآن فعليه بكل آية كفارة،فمن كفر بحرف منه فقد كفر به أجمع.

ومن المستفيض عن سفيان بن عينية،[1]عن عمرو بن دينار،[2] ـ وربما وقفه بعضهم على سفيان والأول هو المشهور ـ قال:أدركت مشايخنا والناس

---

١ ـ هو سفيان بن عيينه بن ميمون الهلالى الكوفى أبو محمد محدث الحرم المكى من الموالي.ولد بالكوفة عام ١٠٧هـ وسكن مكة،وتوفى بها عام ١٩٨هـ كان حافظاً ثقة،واسع العلم كبير القدر.قال الشافعى:لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز،حج سبعين سنة.له الجامع فى الحديث وكتاب فى التفسير. راجع تذكرة الحفاظ ١:٢٤٢ وصفة الصفوة ٢:١٣ وميزان الاعتدال ١:٣٩٧

٢ ـ هو عمرو بن دينار الجمحى بالولاء أبو محمد الأثرم فقيه كان مفتى أهل مكة فارسى الأصل من الأبناء قال شعبه ما رأيت أثبت فى الحديث منه،وقال النسائى:ثقه ثبت،واتهمه أهل المدينة بالتشيع توفى عام ١٢٦ هـ

راجع تاريخ الاسلام للذهبى ٥:١١٤ وتهذيب الكمال ٢٤٤ وتهذيب التهذيب ٨: ٣٠

منذ سبعين سنة يقولون:القرآن كلام الله غير مخلوق،منه بدأ،وإليه يعود،ومشايخ عمرو من لقي عمرو من الصحابة والتابعين.وعن علي بن الحسين زين العابدين،وابنه جعفر بن محمد:ليس القرآن بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلام الله.

ومثل هذا مأثور عن الحسن البصري،وأيوب السختياني،وحماد بن أبى سليمان،وابن أبى ليلي،وأبى حنيفة،وابن أبى ذئب،وابن الماجشون،والأوزاعي،والشافعي،وأبي بكر بن عياش،وهشيم،وعلي بن عاصم،وعبد الله بن المبارك،وأبي اسحق الفزاري،ووكيع ابن الجراح،والوليد إبن مسلم،وعبد الرحمن بن مهدي،ويحيي بن سعيد القطان،ومعاذ بن معاذ، وأبى يوسف،ومحمد،والامام احمد بن حنبل،واسحق بن راهويه،وبشر بن الحارث،ومعروف الكرخي[1] وأبى عبيد القاسم بن سلام،وأبي ثور، والبخاري،ومسلم،وأبى زرعه وأبى حاتم،ومن لا يحصى كثرة.

قال أبو القاسم اللالكائي - وقد سمى علماء القرون الفاضلة ومن يليهم الذين نقل عنهم فى كتابه أن القرآن كلام الله غير مخلوق» - فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفساً من التابعين،وأتباع التابعين،والأئمة المرضيين - سوى الصحابة - على اختلاف الاعصار ومضي السنين والأعوام،وفيهم نحو

---

١ - هو معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ أحد أعلام الزهادو المتصوفين كان من موالى الامام على الرضى بن موسى الكاظم،ولد فى كوخ ببغداد

ونشأ وتوفى فى بغداد عام ٢٠٠هـ اشتهر بالصلاح وقصده الناس للتبرك به حتى كان الامام أحمد فى جملة من يختلف إليه.

راجع طبقات الصوفية ٨٣ - ٩٠ ووفيات الأعيان ٢:١٠٤ وصفة الصفوة ٢:١٧٩

من مائة إمام ممن أخذ الناس بقولهم وتمذهبوا بمذاهبهم،ولو اشتغلت بنقل قول المحدثين لبلغت أسماؤهم ألوفا كثيرة،فنقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر لا ينكر عليهم المنكر،ومن انكر قولهم استتابوه،أو أمروا بقتله،أو نفيه،أو صلبه،قال:ولا خلاف بين الأمة أو أول من قال:القرآن مخلوق «الجعد بن درهم» ثم «الجهم بن صفوان» وكلاهما قتله المسلمون،وممن أفتى بقتل هؤلاء:مالك بن أنس،[1]ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى،وسفيان بن عينية،وأبو جعفر المنصور الخليفة،ومعتمر بن سليمان،ويحيي بن سعيد القطان،وعبد الرحمن بن مهدي،ومعاذ بن معاد،ووكيع بن الجراح،وأبوه، وعبد الله بن داود الخريبي،وبشر بن الوليد - صاحب أبي يوسف - وابو مصعب الزهري،وأبو عبيد القاسم بن سلام،وأبو ثور،واحمد بن حنبل،وغير هؤلاء من الأئمة.

وكذلك ذم «الواقفة» وتضليلهم - الذين لا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق - مأثور عن جمهور هؤلاء الأئمة مثل ابن الماجشون وأبي مصعب، ووكيع بن الجراح،وابي الوليد،وأبي [الوليد] الجارودي صاحب الشافعي، والامام احمد بن حنبل،وأبي ثور،واسحق بن راهويه،ومن لا يحصى عدده إلا الله.

---

١ - هو مالك بن أنس بن مالك الا صبحي الحميرى أبو عبد الله إمام دار الهجرة،وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة واليه تنسب المالكية مولده ووفاته فى المدينة،كان صلباً فى دينه بعيداً عن الأمراء والملوك وش به الى جعفر عم المنصور العباس فضربه سياطاً صنف كتاب الموطأ،وله رسالة فى الوعظ،وتفسير غريب القرآن توفى عام ١٧٩هـ

راجع تهذيب التهذيب ١٠:٥ وصفة الصفوة ٢:٩٩ والوفيات ١:٤٣٩

وأما البدعة الثانية ـ المتعلقة بالقرآن المنزل تلاوة العباد له ـ وهي «مسألة اللفظية» فقد أنكر بدعة «اللفظية» الذين يقولون:إن تلاوة القرآن وقراءته واللفظ به مخلوق أئمة زمانهم،جعلوهم من الجهمية،وبينوا ان قولهم: يقتضى القول بخلق القرآن،وفي كثير من كلامهم تكفيرهم.

وكذلك من يقول:ان هذا القرآن ليس هو كلام الله،وإنما هو حكاية عنه، أو عبارة عنه،أو أنه ليس فى المصحف والصدور إلا كما أن الله ورسوله في المصاحف والصدور،ونحو ذلك،وهذا محفوظ عن الامام احمد،واسحق،وابى عبيد،وأبى مصعب الزهري وأبى ثور،وأبى الوليد الجارودي،ومحمد بن بشار،ويعقوب بن ابراهيم الدورقي،ومحمد بن يحيي بن أبى عمرو العدنى،ومحمد بن يحيي الذهلي،ومحمد بن أسلم الطوسي،وعدد كثير لا يحصيهم إلا الله من أئمة الاسلام وهداته.

وكذلك أنكر بدعة «اللفظية المثبتة» ـ الذين يقولون:ان لفظ العباد،أو صوت العباد به غير مخلوق،أو يقولون،ان التلاوة التى هي فعل العبد وصوته غير مخلوقة ـ الأئمة الذين بلغتهم هذه البدعة:مثل الامام أحمد بن حنبل،وابى عبد الله البخاري صاحب الصحيح،وأبى بكر المروذي أخص اصحاب الامام أحمد بن حنبل به،واخذ في ذلك اجوبة علماء الاسلام إذ ذاك: ببغداد،والبصرة،والكوفة،والحرمين،والشام،وخراسان،وغيرهم:مثل عبد الوهاب الوراق،وأبى بكر الأثرم،ومحمد بن بشار بندار،وأبى الحسين علي بن مسلم الطوسي،ويعقوب الدورقى،ومحمد بن سهل بن عسكر،ومحمد بن عبد الله المخرمي الحافظ،ومحمد بن اسحق الصاغاني،والعباس بن محمد الدوري،وعلي بن داود القنطري،ومثنى بن جامع الأنباري،واسحق بن إبراهيم

بن حبيب بن الشهيد ،ومحمد بن يحيي الأزدي،والحسن بن عبد العزيز الجروي،وعبد الكريم بن الهيثم العاقولي،وأبي موسى بن أبي علقمة النفروني،وغيره من علماء المدينة ومحمد بن عبد الرحمن المقري،وأبى الوليد بن أبى الجارود ،وأحمد بن محمد بن القاسم بن أبى مرة،وغيرهم من اهل مكة،واحمد بن سنان الواسطي،وعلي بن حرب الموصلي،ومن شاء الله تعالى من أئمة اهل السنة واهل الحديث من اصحاب الامام احمد بن حنبل وغيرهم ينكرون على من يجعل لفظ العبد بالقرآن او صوته به او غير ذلك من صفات العباد المتعلقة بالقرآن غير مخلوقة،ويأمرون بعقوبته بالهجر وغيره،وقد جمع بعض كلامهم في ذلك ابو بكر الخلال فى «كتاب السنة».

ومن المشهور في «كتاب صريح السنة»لمحمد بن جرير الطبري[1]وهو متواتر عنه،لما ذكر الكلام فى أبواب السنة،قال:واما القول فى «ألفاظ العباد بالقرآن» فلا اثر فيه نعلمه عن صحابي مضى،ولا عن تابعي قفا،إلا عن فى قوله الشفاء والعفاء،وفى اتباعه الرشد والهدى،ومن يقوم لدينا مقام الأئمة الأولى:ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل،فان ابا اسماعيل الترمذي حدثني قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل يقول «اللفظية»جهمية،يقول الله:(حتى يسمع كلام الله) ممن يسمع؟قال ابن

---

١ ـ هو أبو جعفر محمد بن جرير الطرى صاحب التنفسير الكبير والتاريخ الشهير كان اماماً فى فنون كثيرة منها التفسير والحديث،والفقة،والتاريخ وغير ذلك،وله مصنفات فى فنون عديدة تدل على سعة علمه،وغزارة فضله،وكان من الأئمة المجتهدين،لم يقلد أحداً،وتاريخه أصح التواريخ ولد سنة أربع وعشرين ومائتين بآمل (طبرستان) وتوفى فى السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد.

راجع تاريخ بغداد ٢:١٦٢ والوفيات ١:٥٧٧ وتهذيب الأسماء والصفات ١:٧٨ ـ ٧٩

جرير:وسمعت جماعة من أصحابنا ـ لا أحفظ اسماءهم ـ يحكمون عنه انه كان يقول:من قال:لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي،ومن قال:غير مخلوق فهو مبتدع.قال ابن جرير:ولا قول فى ذلك عندنا يجوز ان نقوله،غير قوله، إذ لم يكن لنا إمام نأتم به سواه،وفيه الكفاية والمقنع،وهو الامام المتبع.

وقال ابو الفضل صالح بن احمد بن حنبل فى «كتاب المحنة» تناهى إلي ان ابا طالب حكى عن ابي انه يقول:لفظي بالقرآن غير مخلوق،فأخبرت ابي بذلك،فقال:من اخبرك،فقلت:فلان،فقال:ابعث إلى ابي طالب،فوجهت إليه،فجاء،وجاء فوران،فقال له ابي:انا قلت لك:لفظي بالقرآن غير مخلوق؟وغضب،وجعل يرتعد،فقال له:قرأت عليك:(قل هو الله احد) فقلت لي:هذا ليس بمخلوق،قال له:فلم حكيت عني انى قلت:لفظي بالقرآن غير مخلوق؟وبلغني:انك وضعت ذلك فى كتابك،وكتبت به إلى قوم،فان كان فى كتابك فامحه اشد المحو،واكتب الى القوم الذين كتبت إليهم:أني لم اقل هذا،وغضب،واقبل عليه،فقال:تحكى عني مالم اقل لك؟فجعل فوران يعتذر له،وانصرف من عنده وهو مرعوب،فعاد أبو طالب،فذكر انه حك ذلك من كتابه،وانه كتب إلى القوم يخبرهم؟ انه وهم على ابى عبد الله فى الحكاية. قال الفضل بن زياد:كنت انا والبستى عند ابى طالب،قال:فاخرج إلينا كتابه وقد ضرب على المسألة،وقال:كان الخطأ من قبلي،وانا استغفر الله،وإنما قرأت على ابى عبد الله القرآن،فقال:هذا غير مخلوق،كان الوهم من قبلي يا ابا العباس!

وقال الخلال فى: «السنة» حدثنا المروذي،قال لي أبو عبد الله قد غيض قلبى على ابن شداد،قلت:أي شيء حكى عنك؟ قال:حكى عني فى

اللفظ:فبلغ ابن شداد ان أبا عبد الله قد أنكر عليه،فجاءنا حمدون بن شداد بالرقعة فيها مسائل،فأدخلتها على أبي عبد الله،فنظر فرأى فيها:ان لفظي بالقرآن غير مخلوق ـ مع مسائل فيها ـ فقال أبو عبد الله:فيها كلام ما تكلمت به،فقام من الدهليز فدخل فأخرج المحبرة والقلم،وضرب أبو عبد الله على موضع:لفظي بالقرآن غير مخلوق،وكتب أبو عبد الله بخطه بين السطرين:القرآن حيث تصرف غير مخلوق.وقال:ما سمعت أحداً تكلم فى هذا بشيء،وأنكر على من قال:لفظي بالقرآن غير مخلوق.

وقال الخلال فى «كتاب السنة»:أخبرني زكريا بن الفرج الوراق،قال حدثنا أبو محمد فوران،قال جاءني صالح ـ وأبو بكر المروذي عندي ـ فدعاني الى أبى عبد الله،وقال:انه قد بلغ أبى ان أبا طالب قد حكى عنه أنه يقول:لفظي بالقرآن غير مخلوق،فقمت إليه،فتبعني صالح،فدار صالح من بابه،فدخلنا على أبى عبد الله،فاذا أبو عبد الله غضبان شديد الغضب،بين الغضب فى وجهه!! فقال لأبى بكر:اذهب فجئنى بأبى طالب،فجاء أبو طالب وجعلت أسكن أبا عبد الله قبل مجيء أبى طالب،وأقول:له حرمة،فقعد بين يديه ـ وهو متغير اللون ـ فقال له أبو عبد الله:حكيت عني انى قلت:لفظي بالقرآن غير مخلوق؟ فقال:إنما حكيت عن نفسي،فقال:لا تحك هذا عنك ولا عني،فما سمعت عالماً يقول هذا ـ أو العلماء شك فوران ـ وقال له:القرآن كلام الله غير مخلوق حيث تصرف،فقلت لأبى طالب ـ وأبو عبد الله يسمع ـ إن كنت حكيت هذا لأحد فاذهب حتى تخبره ان أبا عبد الله نهى عن هذا؟ فخرج أبو طالب فأخبر غير واحد ـ بنهي أبى عبد الله ـ منهم أبو بكر بن زنجويه،والفضل بن زياد القطان،وحمدان بن علي الوراق،وأبو عبيد،وأبو عامر،وكتب أبو طالب بخطه الى أهل نصيبين ـ بعد موت أبى عبد الله ـ

يخبرهم أن أبا عبد الله نهى أن يقال:لفظي بالقرآن غير المخلوق،وجاءني أبو طالب بكتابه وقد ضرب على المسألة من كتابه،قال زكريا بن الفرج:فمضيت الى عبد الوهاب الوراق،فأخذ الرقعة فقرأها،فقال لي:من أخبرك بهذا عن أحمد،فقلت له:فوران بن محمد،فقال:الثقة المأمون على أحمد قال زكريا:وكان قبل ذلك قد أخبر أبو بكر المروذي لعبد الوهاب،فصار عند عبد الوهاب شاهدان،قال زكريا وسمعت عبد الوهاب،قال:من قال:لفظي بالقرآن غير مخلوق يهجر ولا يكلم ويحذر عنه،وكان قبل ذلك قال:هومبتدع.

وروى الخلال عن أبى الحارث قال سمعت رجلا يقول لأبى عبد الله يا أبا عبد الله!أليس نقول:القرآن كلام الله ليس بمخلوق بمعنى من المعانى،وعلى كل حال وجهة؟فقال أبو عبد الله:نعم.

واستيعاب هذا يطول.

وكذلك فى كلام الامام أحمد وأئمة أصحابه وغيرهم من اضافة صوت العبد بالقرآن اليه ما يطول كما جاء الحديث النبوي بذلك:مثل قول النبى صلى الله عليه وسلم:«زينوا القرآن بأصواتكم»[1]وقوله:«لله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته»[2]فذكر الخلال في (كتاب القرآن) عن اسحاق بن ابراهيم،قال قال لي أبو عبد الله يوماً ـ وكنت سألته عنه ـ : تدري ما معنى من لم يتغن بالقرآن؟قلت : لا.قال:هو الرجل

---

١ ـ سبق تخريج الحديث قريباً من هذا

٢ ـ الحديث أخرجه ابن ماجة فى كتاب اقامه الصلاة ١٣٤٠ ثنا الأوزاعى ثنا اسماعيل بن عبيد الله من ميسرة مولى فضالة عن فضالة ابن عبيد قال:قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكره.

فى الزوائد اسناده حسن،ورواه الامام أحمد فى المسند ٦:١٩ . ٢٠ (حلبى)

يرفع صوته،فهذا معناه إذا رفع صوته فقد تغنى به،وعن منصور بن صالح انه قال لأبيه:يرفع صوته بالقرآن بالليل؟ قال:نعم! إن شاء رفعه» ثم ذكر حديث أم هانىء:«كنت أسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم،وأنا على عريش من الليل» وعن صالح بن أحمد أنه قال لأبيه:«زينوا القرآن بأصواتكم» فقال:«التزيين» ان تحسنه.وعن الفضل بن زياد ،قال سمعت أبا عبد الله يسئل عن القراءة:فقال يحسنه بصوته من غير تكلف،وقال أبو بكر الأثرم سألت أبا عبد الله عن القراءة بالألحان؟ فقال:كل شيء محدث؛ فانه لا يعجبني،الا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه،،قال القاضي أبو يعلى فيما علقه بخطه على «الجامع الخلال»:هذا يدل من كلامه على أن صوت القارىء ليس هو الصوت القديم؛ لأنه أضافه الى القاري الذي هو طبعه من غير أن يتعلم الألحان.

وأما ما في كلام أحمد والأئمة من إنكارهم على من يقول ان هذا القرآن مخلوق،وان القراءة مخلوقة،وتعظيمهم لقول من يقول:انه ليس فى الصدور قرآن ولا في المصاحف قرآن،وزعم من زعم ان من قال ذلك فقد قال بقول النصارى والحلولية،فانكار أحمد وغيره هذه المقالات كثير شائع موجود فى كتب كثيرة،ولم تكن هذه الفتيا محتاجة الى تقرير هذا الأصل،فلم يحتج الى تفصيل الكلام فيه؛بخلاف الأصل الآخر،وقد ذكرنا من ذلك ما يسره الله فى غير هذا الموضع ولو ذكرت ما في كلام أحمد وأئمة أصحابه وغيرهم:من الرد على من يقول:لفظ العبد أو صوته غير مخلوق،او يقول:ان الصوت المسموع من القاري قديم لطال.

وهذا أبو نصر السجزى قد صنف «الابانة» المشهورة،وهو من أعظم

القائلين:بان التلاوة هي المتلو،واللفظ بالقرآن هو القرآن وهو غير مخلوق،وأنكر ما سوى ذلك عن أحمد،ومع هذا فقد قال:فان اعترض خصومنا فقالوا:انتم وإن قلتم:القراءة قرآن وكلام الله فلا تطلقون ان الصوت المسموع من القاري صوت الله؛بل تنسبونه الى القاري،وإذا لم يمكنكم إطلاق ذلك دل على أنه غير القرآن؟!.

قال أبو نصر:فالجواب ان اعتصامنا فى هذا الباب بظاهر الشرع وقولنا فى القراءة والصوت غير مختلف،وإذا قرأ القارىء القرآن لا يقول:ان هذه قراءة الله،ولا يجيز ذلك بوجه؛بل ينسب القراءة الى القارىء توسعاً لوجود التحويل منه،وإنما يقول ان قراءة القارى قرآن،وقد ثبت ذلك في الشرع باتفاق الكل؛فان الأشعري مع مخالفته لنا يقول:المسموع من القاري قرآن، وقد بينا:ان التمييز بين القراءة والقرآن فى هذا الموضع الذي اختلفنا فيه غير ممكن وكذلك يقول:إن الصوت المسموع من قارىء القرآن قراءة وقرآن، والشرع يوجب ما قلناه لا أعلم خلافا بين المسلمين في ذلك.

فصـــل

فى خلق كلام الآدميين وخلق أفعال العباد ..

وأما نصوص الامام احمد على «خلق كلام الآدميين» و «خلق أفعال العباد» فموجودة فى مواضع كثيرة،كما نص على ذلك سائر الأئمة.وليس بين أهل السنة فى ذلك اختلاف؛ولهذا قال يحيى بن سعيد القطان شيخ الامام أحمد:مازلت أسمع اصحابنا يقولون:أفعال العباد مخلوقة،وقد سئل الامام احمد عن أفاعيل العباد مخلوقة هي؟ فقال نعم.ونص على كلام الآدميين فى

رواية أحمد بن الحسن الترمذي،كما سيأتي،وفيما خرجه على «الزنادقة[1] والجهمية» وهو مروي من طريق ابنه عبد الله (وحاده [2])،وقد ذكره الخلال أيضاً في «كتاب السنة» ونقل منه القاضي أبو يعلى وغيره،وقد حكى إجماع الخلق على ذلك غير واحد منهم أبو نصر السجزي فى «الابانة» وهو من أشد الناس إنكاراً على من يقول:ان الفاظ العباد بالقرآن مخلوقة،أو يقول:ان المسموع من القارىء ليس هو القرآن.

قال أبو نصر:وأما نسبة الأصوات الى القراء ـ فيما ذكرنا في هذا الباب وفى غيره من كتابنا هذا ـ ونسبة القراءة اليهم،وان فرح بها الزائغون فلا حجة لهم فيها؛وذلك انا لم نختلف فى اضافة الصوت الى الانسان،وانه إذا صاح،أو تكلم بكلام الناس.أو نادى إنساناً فصوته مخلوق.قال:وهذا لا يشتبه:وإنما وقع الاختلاف فى ان المستمع من قارىء القرآن ماذا يستمع؟ وساق الكلام،إلى آخره.وذكر فى موضع آخر «الاجماع» أيضا على ذلك.

فصل

فى مسألة تلاوة القرآن

وإنما نبهت على أصل مقالة الامام أحمد وسائر أئمة السنة وأهل الحديث فى «مسألة تلاوتنا للقرآن» لأنها اصل ما وقع من الاضطراب والتنازع فى هذا الباب مثل «مسألة الايمان» هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟ و «مسألة نور الايمان» و «الهدى» ونحو ذلك من المسائل التى يكثر تنازع أهل الحديث والسنة فيها،ويتمسك كل فريق ببعض من الحق،فيصيرون بمنزلة الذين أوتوا

---

٢ ـ كذا بالأصل

نصيبا من الكتاب،مختلفين فى الكتاب،كل منهم بمنزلة الذي يؤمن ببعض ويكفر ببعض،وهم عامتهم في جهل وظلم:جهل بحقيقة الايمان والحق،وظلم الخلق،ويقع بسببها بين الأمة من التكفير والتلاعن ما يفرح به الشيطان،ويغضب له الرحمن،ويدخل به من فعل ذلك فيما نهى الله عنه من التفرق والاختلاف،ويخرج عما أمر الله به من الاجتماع والائتلاف.

وأصل ذلك القرب والاتصال الحاصل بين ما أنزله الله تعالى من القرآن والايمان الذي هو من صفاته،وبين افعال العباد وصفاتهم؛فلعسر الفرق والتمييز يميل قوم إلى زيادة فى الاثبات،وآخرون إلى زيادة فى النفي؛ولهذا مذهب الامام احمد والأئمة الكبار:النهي عن الاثبات العام،والنفي العام؛بل إما الامساك عنهما ـ وهو الأصلح للعموم وهو جمل الاعتقاد .واما التفصيل المحقق فهو لذى العلم من أهل الايمان،كما أن الأول لعموم أهل الايمان.

وهذه المسألة لها أصلان.

(احدهما) أن «أفعال العباد مخلوق»،وقد نص عليها الأئمة أحمد وغيره،وسائر أئمة أهل السنة والجماعة المخالفين للقدرية،واتفقت الأمة على أن أفعال العباد محدثة.

و (الاصل الثاني) مسألة «تلاوة القرآن وقراءته واللفظ به» هل يقال انه مخلوق أو غير مخلوق؟ والامام أحمد قد نص على رد المقالتين هو وسائر أئمة السنة من المستقدمين والمستأخرين؛لكن كان رده على «اللفظية النافية» أكثر وأشهر وأغلظ لوجهين.

(احدهما) ان قولهم يفضي الى زيادة التعطيل والنفي،وجانب النفي ـ

أبداً ـ شر من جانب الاثبات؛فان الرسل جاءوا بالاثبات المفصل فى صفات الله،وبالنفي المجمل:فوصفوه بالعلم،والرحمة،والقدرة والحكمة،والكلام، والعلو،وغير ذلك من الصفات،وفى النفي:(ليس كمثله شيء)[1](ولم يكن له كفواً احد)[2].وأما الخارجون عن حقيقة الرسالة:من الصابئة، والفلاسفة،والمشركين،وغيرهم،ومن تجهم من اتباع الأنبياء، فطريقتهم «النفي المفصل» ليس كذا ليس كذا،وفي الاثبات أمر مجمل،ولهذا يقال:المعطل أعمى،والمشبه أعشى.فأهل التشبيه مع ضلالهم خير من أهل التعطيل.

(الوجه الثانى) ان احمد إنما ابتلى بالجهمية المعطلة فهم خصومه،فكان همه منصرفا إلى رد مقالاتهم؛دون أهل الاثبات؛فانه لم يكن في ذلك الوقت والمكان من هو داع إلى زيادة فى الاثبات؛كما ظهر من كان يدعو إلى زيادة فى النفي.والانكار يقع بحسب الحاجة،والبخاري لما ابتلى «باللفظية المثبتة» ظهر انكاره عليهم كما فى تراجم آخر «كتاب الصحيح» وكما فى «كتاب خلق الافعال» مع انه كذب من نقل عنه أنه قال:لفظي بالقرآن مخلوق من جميع أهل الآمصار،وأظنه حلف على ذلك،وهو الصادق البار.

فصـــل

في نفي خلق القرآن

وقد نص أحمد على نفس هذه «المسألة» فى غير موضع فروى أبو القاسم اللالكائى فى «أصول السنة» قال:أخبرنا الحسن بن عثمان قال،حدثنا أحمد

---

١ ـ سورة الشورى آية رقم ١١

٢ ـ سورة الاخلاص آية رقم ٤

بن الحسن الترمذي قال:قلت لأحمد بن حنبل:ان الناس قد وقعوا فى القرآن فكيف أقول؟ فقال أليس أنت مخلوقا ؟ قلت:نعم! قال:فكلامك منك مخلوق؟ قلت:نعم! قال:أفليس القرآن من كلام الله؟ قلت:نعم! قال:وكلام الله من الله؟ قلت:نعم! قال:فيكون من الله شيء مخلوق؟!.

بين أحمد للسائل:ان الكلام من المتكلم وقائم به؛لا يجوز ان يكون الكلام غير متصل بالمتكلم،ولا قائم به؛بالدليل ان كلامك أيها المخلوق منك؛لا من غيرك،فاذا كنت انت مخلوقا وجب ان يكون كلامك ايضاً مخلوقا،وإذا كان الله تعالى غير مخلوق امتنع ان يكون ما هو منه وبه مخلوقا.

وقصده بذلك الرد على «الجهمية» الذين يزعمون ان كلام الله ليس من الله ولا متصل به.فبين أن هذا الكلام ليس هو معنى كون المتكلم متكلما،ولا هو حقيقة ذلك،ولا هو مراد الرسل والمؤمنين،من الاخبار عن ان الله قال،ويقول،وتكلم بالقرآن،ونادى،وناجى،ودعا،ونحو ذلك مما اخبرت به عن الله رسله،واتفق عليه المؤمنون به من جميع الأمم؛ولهذا قال تعالى:(ولكن حق القول مني)،[1]وقال:(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)،[2]وقال تعالى:(وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم)،[3]وقال تعالى:(الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)[4].

وليس القرآن عينا من الأعيان القائمة بنفسها حتى يقال:هذا مثل قوله:(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه)[5]وإنما هو

---

١ ـ سورة السجدة آية رقم ١٣
٢ ـ سورة الزمر آية رقم ١
٣ ـ سورة النمل آية رقم ٦
٤ ـ سورة هود آية رقم ١
٥ ـ سورة الجاثية آية رقم ١٣

صفة كالعلم،والقدرة،والرحمة،والغضب،والارادة،والنظر،والسمع ونحو ذلك؛لا يقوم إلا بموصوف،وكل معنى له اسم وهو قائم بمحل وجب أن يشتق لمحله منه اسم،وان لا يشتق لغير محله منه اسم.

فكما ان الحياة،والعلم،والقدرة إذا قام بموصوف وجب أن يشتق له منه اسم الحي،والعالم،والقادر؛ولا يشتق الحي،والعالم،والقادر لغير من قام به العلم،والقدرة،فكذلك القول،والكلام،والحب،والبغض،والرضا،والرحمة، والغضب،والارادة،والمشيئة إذا قام بمحل وجب أن يشتق لذلك الموصوف منه الاسم والفعل،فيقال:هو الصادق،والشهيد،والحكيم،والودود،والرحيم،والآمر، ولا يشتق لغيره منه اسم.

فلو لم يكن الله سبحانه وتعالى هو القائل بنفسه:(أنا الله لا إله إلا انا)[1]بل أحدث ذلك في غيره لم يكن هو الآمر بهذه الأمور،ولا المخبر بهذا الخبر،ولكان ذلك المحل هو الآمر بهذا الأمر،المخبر بهذا المخبر،وذلك المحل:اما الهواء،وإما غيره فيكون ذلك المحل المخلوق هو القائل لموسى:(إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) ولهذا كان السلف يقولون في هذه الآية وأمثالها: من قال:إنه مخلوق فقد كفر.ويستعظمون القول بخلق هذه الآية وأمثالها أكثر من غيرها يعظم عليهم أن تقوم دعوى الالهية والربوبية لغير الله تعالى .

ولهذا كان مذهب جماهير «أهل السنة والمعرفة» ـ وهو المشهور عند أصحاب الامام أحمد،وأبي حنيفة،وغيرهم:من المالكية،والشافعية،والصوفية،

١ ـ سورة طه آية رقم ١٤

وأهل الحديث،وطوائف من أهل الكلام:من الكرامية[1]وغيرهم - ان كون الله سبحانه وتعالى خالقا،ورازقا،ومحييا،ومميتاً،وباعثاً،ووارثا،وغير ذلك من صفات فعله،وهو من صفات ذاته؛ليس من يخلق كمن لا يخلق.

ومذهب الجمهور ان الخلق غير المخلوق،فالخلق فعل الله القائم به والمخلوق هو المخلوقات المنفصلة عنه.

وذهب طوائف من «أهل الكلام» من المعتزلة والأشعرية ومن وافقهم:من الفقهاء الحنبلية،والشافعية،والمالكية،وغيرهم إلى أنه ليس لله صفة ذاتية من أفعاله،وإنما الخلق هو المخلوق،أو مجرد نسبة وإضافة وهذا اختيار ابن عقيل،وأول قولي القاضي أبي يعلى،وهؤلاء عندهم حال الذات التى تخلق وترزق أو لا تخلق ولا ترزق سواء.

وبهذا نقضت المعتزلة على من ناظرها من الصفاتية الأشعرية ونحوهم؛لما استدلت الصفاتية بما تقدم من «القاعدة الشريفة» فقالوا:ينتقض عليكم بالخالق،والرازق وغير ذلك من أسماء الأفعال؛فإن الخلق والرزق قائم بغيره،وقد اشتق له منه اسم الخالق والرازق،ولم يقم به صفة فعل أصلا،فكذلك الصادق،والحكيم،والمتكلم،والرحيم،والودود.

---

١ - زعيمها:محمد بن كرام كان مطروداً من سجستان الى غرجستان وكان إتباعه في وقته أوغاد شورمين وأفشين.وضلالاتهم كثيرة منها أنه دعا أتباعه الى تجسيم معبوده،وزعم أنه جسم له حد ونهاية من تحته والجهة التى منها يلاقى عرشه،وهذا شبيه بقول الثنويه وقد وصف ابن كرام معبوده بانه جوهر كما وصفت النصارى ان الله تعالى جوهر،وقال إن الله تعالى مماس للعرش،وغير ذلك من الضلالات.

راجع التبصير صـ ٦٥ والملل والنحل ١:١٠٨ والسفارينى ١:٩١ والفرق بين الفرق ٢١٥

وهذا النقض لا يلزم جماهير الأمة وعامة أهل السنة والجماعة؛فان الباب عندهم واحد،وليس هذا قولا بقدم مخلوقاته او مفعولاته،سواء قيل:ان نفس فعله القائم فقط،كما يقوله كثير من هؤلاء - الحنفية،والمالكية،والشافعية، والحنبلية،وأهل الحديث،والكلام،والصوفية - او يقولون له عند احداث المخلوقات أحوال ونسب كما يقوله كثير من هؤلاء:الفقهاء،وأهل الحديث، والصوفية،وأهل الكلام من الطوائف كلها.

وذلك لأن القول فى ذلك كالقول في مشيئته وإرادته،فانه وإن كان مذهب أهل السنة وسائر الصفاتية انها قديمة،فليست مراداته قديمة،وكذلك صفة الخلق والتكوين،وذلك لأن الشرع والعقل يدل على ان حال الخالق،والرازق، الفاطر،والمحيي،والمميت،الهادي،النصير ليس حاله فى نفسه كحاله لو لم يبدع هذه الأمور؛ولهذا قال سبحانه وتعالى: (أفمن يخلق كمن لا يخلق)[1]. فالفرق بين الخالق وغير الخالق كالفرق بين القادر وغير القادر.

والمخالف يقول إنما هو موصوف بالقدرة التى تتناول ما يخلقه وما لا يخلقه،سواء فى نفسه كان خالقا او لم يكن خالقا،ليس له من كونه خالقاً «صفة ثبوتية» لا صفة كمال،ولا صفة وجود مطلق،كما له بكونه قادرا. ونصوص الكتاب والسنة توجب أن تكون أسماء أفعاله من أسمائه الحسنى التى تقتضي أن يكون بها محموداً مثنى عليه ممجدا؛وذلك يقتضي أنها من صفات الكمال.

وليس الغرض هنا ذكر هذه «المسألة» وإنما هي طرد حجة الامام أحمد وغيره

---

١ - سورة النحل آية رقم ١٧

من أئمة السلف الثقات،وسائر الصفاتية؛ولهذا قال الامام احمد فى رواية حنبل فى «كتاب المحنة»:لم يزل الله عالما متكلما غفوراً.فبين اتصافه بالعلم ـ وهو صفة ذاتية محضة ـ و «بالمغفرة» وهي من «الصفات الفعلية» والكلام الذي يشبه هذا وهذا،وذكر انه لم يزل متصفا بهذه الصفات والاسماء، وقال الامام أحمد فيما خرجه فى «الرد على الزنادقة والجهمية» لما ذكر قول جهم:انه يتكلم؛ولكن كلامه مخلوق.قال أحمد قلنا له:وكذلك بنوا آدم كلامهم مخلوق ففي مذهبكم كان الله فى وقت من الأوقات لا يتكلم حتى خلق الكلام،وكذلك بنوا آدم لا يتكلمون حتى خلق لهم كلاما،فقد جمعتم بين كفر وتشبيه،وكذلك ذكروا فى «المحنة» فيما استدل به الامام أحمد فى المناظرة واستدل بقوله: (ولكن حق القول مني)[1]قال:فان يكن القول من غير الله فهو مخلوق.

فصـــــل

وأما قول القائل:إن أحمد إنما قال ذلك خوفا من الناس،فبطلان هذا يعلمه كل عاقل بلغه شيء من اخبار أحمد،وقائل هذا إلى العقوبة البليغة التى يفتري بها على الأئمة أحوج منه إلى جوابه؛فان الامام احمد صار مثلا سائرا يضرب به المثل فى المحنة والصبر على الحق وانه لم تكن تأخذه فى الله لومة لائم،حتى صار اسم الامام مقروناً باسمه فى لسان كل أحد،فيقال:قال الامام احمد.هذا مذهب الامام أحمد.لقوله تعالى: (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا،وكانوا بآياتنا يوقنون)؛[2]فانه أعطى من الصبر واليقين ما يستحق به الامامة فى الدين.

---

١ ـ سورة السجدة آية رقم ١٣

٢ ـ سورة الأنبياء آية رقم ٧٣

وقد تداوله «ثلاثة خلفاء» مسلطون من شرق الأرض الى غربها ،ومعهم من العلماء المتكلمين،والقضاة والوزراء،والسعاة،والأمراء،والولاة من لا يحصيهم إلا الله.فبعضهم بالحبس،وبعضهم بالتهديد الشديد بالقتل وبغيره،وبالترغيب في الرياسة والمال ما شاء الله،وبالضرب،وبعضهم بالتشريد والنفي،وقد خذله في ذلك عامة أهل الأرض ـ حتى أصحابه العلماء، والصالحون والأبرار،وهو مع ذلك لم يعطيهم كلمة واحدة مما طلبوه منه،وما رجع عما جاء به الكتاب والسنة،ولا كتم العلم،ولا استعمل التقية؛بل قد أظهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثاره،ودفع من البدع المخالفة لذلك ما لم يتأت مثله لعالم:من نظرائه،وإخوانه المتقدمين والمتأخرين؛ولهذا قال بعض شيوخ الشام:لم يظهر أحد ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما أظهره أحمد بن حنبل،فكيف يظن به انه كان يخاف فى هذه الكلمة التى لا قدر لها؟!

و «أيضاً» فمن أصوله انه لا يقول فى الدين قولا مبتدعا ،وقد جعلوا يطالبونه بما ابتدعوه ،فيقول لهم:كيف أقول مالم يقل؟! فكيف يكتم كلمة ما قالها أحد قبله من خلق الله.

و «أيضاً» فان أحمد بن الحسن الترمذي من خواص أصحابه وأعيانهم فما الموجب لأن يستعمل التقية معه.

و «أيضاً» فلم يكن به حاجة الى أن يقول:كلام الآدمي مخلوق،وإنما هو ذكر ذلك مستدلا به ضارباً به المثل،فكيف يبتدي بكلام هو عنده باطل لم يسأله عنه أحد؟!

و «أيضاً» فقد كان يسعه أن يسكت عن هذا؛فان الانسان إذا خاف من

إظهار قول كتمه.اما اظهاره لقول لم يطلب منه،وهو باطل عنده،فهذا لا يفعله أقل الناس عقلا وعلما ودينا.

فمن يسب «الامام أحمد» الذي موقفه من الاسلام وأهله فوق ما يصفه الواصف؛ويعرفه العارف،فقد استوجب من غليظ العقوبة ما يكون نكالا لكل مفتر كاذب راجم بالظن قاذف،قائل على الله ورسوله والمؤمنين وأئمتهم ما لا يقوله العدو المنافق.

و «أيضاً» فقد ذكر ذلك فيما صنفه من «الرد على الزنادقة والجهمية» وهو في الحبس،وكتبه بخطه،ولم يكن ذلك مما أظهره لأعدائه:الذين يحتاج غيره إلى أن يستعمل معهم التقية.

وهذا القول أقبح من قول الروافض[1]فيما ثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه انه قاله وفعله على وجه التقية؛فان الامام أحمد صنف الرد عليهم وبين أنهم زنادقة فأي تقية تكون لهم مع هذا وهو يجاهدهم ببيانه،وقلمه ولسانه؟.

الرافضة:الذين كانوا مع الامام زيد بن على ثم تركوه،لأنهم طلبوا إليه أن يتبرأ من الشيخين.فقال:لقد كانا وزيرى جدى فلا أتبرأ منهما فرفضوه وتفرقوا عنه.والزيدية من الشيعة وقد يطلق بعض الناس اسم الرفض على كل من يتولى أهل البيت وعلى هذا جاء قول الذى يقول:

إن كان رفضاً حب آل محمد .:. فليشهد الثقلان أنى رافضى

راجع مقالات الاسلاميين ١:١٢٩ ومروج الذهب ٣:٢٢٠.

فصـــل

فى القول فى حروف المعجم

شبهة هؤلاء انهم وجدوا الناس قد تكلموا فى «حروف المعجم» و «أسماء المخلوقات». فان المنتسبين إلى السنة تكلموا فى حروف المعجم فى غير القرآن والكتب الالهية، وقال طوائف منهم: كابن حامد، وأبي نصر السجزي، والقاضي فى أشهر قوليه، وابن عقيل وغيرهم: إنها مخلوقة، وقالوا: الحروف حرفان. وقال طوائف وهم كثير من أهل الشام، والعراق، وخراسان: كالقاضي يعقوب البرزيني والشريف أبى الفضائل الزيدى الحرانى، ويروى ذلك عن الشيخ أبى الحسين بن سمعون، وهو قول القاضي أبى الحسين، وحكاه عن أبيه فى آخر قوليه، وهو قول الشيخ أبى الفرج الأنصاري، والشيخ عبد القادر، وابن الزاغونى وغيرهم: الحرف حرف واحد، وحروف المعجم غير مخلوقة حيث تصرفت؛ لأنها من كلام الله، وحقيقة الحرف واحدة لا تختلف.

وقد نقل عن الامام أحمد رضي الله عنه الانكار على من قال: بخلق الحروف، وانه لما حكى له ان بعض الناس قال: لما خلق الله الحروف سجدت له إلا الألف، فقال الامام أحمد: هذا كفر. وروى انكار ذلك من غيره من الأئمة.

والأولون لا ينازعون فى هذا؛ فانهم ينكرون على من يقول: ان الحروف مخلوقة؛ فانه إذا قال ذلك دخل فيه حروف كلام الله تعالى من القرآن وغيره، وهم يخفون الكلام فى الحروف الموجودة فى كلام المخلوق، دون الحروف الموجودة فى كلام الله، يقولون: حقيقة الحروف والاسم وان كانت واحدة فذلك

بمنزلة كلمات موجودة فى القرآن وقد تكلم بها بعض المخلوقين.فالمتكلم تارة يقصد ان يتكلم بكلام غيره،وان وافقه فى لفظه بالنسبة الينا،وهذا لا يتأتى إلا فى الشيء اليسير،وهو مادون السورة القصيرة؛فان الله قد تحدى الخلق أن يأتوا بسورة مثله،وأخبر انهم لن يفعلوا.

قال الأولون:فموافقة لفظ الكلام للفظ الكلام لا يوجب ان يكون لأحدهما حكم الآخر في النسبة إلى المتكلم المخلوق؛بحيث ينسب أحدهما إلى من ينسب اليه الآخر،فكيف بالنسبة إلى الخالق؟ بل لما كتب مسيلمة إلى النبى صلى الله عليه وسلم:من مسيلمة رسول الله،إلى محمد رسول الله،رد عليه النبى صلى الله عليه وسلم:«من محمد رسول الله،إلى مسيلمة الكذاب» كان اللفظ برسول الله من المتكلمين سواء:من أحدهما صدق ـ ومن أعظم الصدق ـ،ومن الآخر كذب ـ ومن أقبح الكذب.

وقد ذكر الله عن الكفار مقالات سوء فى كتابه مثل قولهم:(اتخذ الله ولداً،مالهم به من علم ولا لآبائهم،كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا)[1]وقولهم:(عزير ابن الله)[2](والمسيح ابن الله)[3]وغير ذلك من الأقوال الباطلة وقد حكاها الله عنهم،فاذا تكلمنا بما حكاه الله عنهم كنا متكلمين بكلام الله،ولو حكيناها عنهم ابتداء لكنا قد حكينا كلامهم الكذب المذموم.

ولهذا قال الفقهاء:من ذكر الله أو دعاه جاز له ذلك مع الجنابة وإن وافق لفظ القرآن،إذا لم يقصد القراءة.وقالوا:لو تكلم بلفظ القرآن فى الصلاة

١ ـ سورة الكهف آية رقم ٥ ٢ ـ سورة التوبة آية رقم ٣٠
٣ ـ سورة التوبة آية رقم ٣٠

يقصد مجرد خطاب الآدمي بطلت صلاته؛لأن ذلك من كلام الآدميين،والصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الآدميين،وإن قصد مع تنبيه الغير القراءة صحت صلاته عند الجمهور،كما لو لم يقصد إلا القراءة.وعند بعضهم تبطل، كقول أبي حنيفة.ومن هذا الباب مسألة الفتح على الامام وتنبيه الداخل بآية من القرآن وغير ذلك.

وسبب ذلك ان معنى الكلام داخل في مسماه ليس هو اسماً لمجرد اللفظ والمعنى:هو إنشاء،وإخبار،والانشاء وإخبار،والانشاء فيه الأمر والنهي، ومعلوم ان أمر زيد ليس هو أمر عمرو،ولا حكمه حكمه،وإن اتفق اللفظ وكذلك اختيار زيد ليس هو اختيار عمرو،ولا حكمه حكمه،وإن اتفق اللفظ،فالآمر المطاع الحكيم إذا أمر كان له حكم خلاف ما إذا أمر به الجاهل العاجز وإن اتفق لفظهما ،وكذلك الشاهد العالم الصادق إذا أخبر بخبر كان حكمه خلاف ما إذا أخبر به الجاهل الكاذب وإن اتفق لفظهما.

وإذا كان كذلك فمن أدخل فى كلام له بعض لفظ أدخله غيره في كلامه لم يوجب ذلك ان يكون هذا اللفظ من كلام ذلك المتكلم،وإن كان أحد اللفظين شبيهاً بالآخر،وهو بمنزلة من كتب حروفا تشبه حروف المصحف،كتبها كلاما آخر لم يكن ذلك مما يوجب أن يكون من حروف المصحف.

وقال الآخرون مجرد الموافقة فى اللفظ لا يوجب أن يجعل حكم أحد اللفظين حكم الآخر،لكن إذا كان أحدهما أصلا سابقاً إلى ذلك الكلام،والآخر إنما احتذى فيه حذوه ومثاله:كان اللفظ والكلام منسوبا إلى الأول؛بمنزلة من تمثل بقول لبيد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل

أو قوله:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود[1]

او تمثل من الأمثال السائرة كقوله: «عسى الغويرى بؤسا» و «يداك أوكتا، وفوك نفخ» و «كل الصيد فى جوف الفراء» ونحو ذلك. فهذا الكلام هو تكلم به في المعنى الذي أراده؛ لا على سبيل التبليغ عن غيره، ومع هذا فهو منسوب إلى قائله الأول، فهكذا الحروف الموجودة فى كلام الله وإن أدخلها الناس فى كلامهم الذي هو كلامهم فأصلها مأخوذ من كلام الله تعالى.

قال الأولون: هنا مقامان.

(أحدهما): ان كل من انطقه الله بهذه الحروف فانما كان ذلك بطريق الاستفادة من كلام الله، أو ممن استفادها من كلام الله. وهذه الدعوى العامة تحتاج الى دليل؛ فان تعليم الله لآدم الأسماء أو إنزاله كتبه بهذه الحروف لا يوجب أن يكون لم ينطق غير آدم ممن لم يسمع الكتب المنزلة بهذه الحروف، كما كانت العرب تنطق بهذه الحروف والأسماء قبل نزول القرآن، والله تعالى أنزله بلسانهم الذي كانوا يتكلمون به قبل نزول القرآن.

(المقام الثانى): انه لو لم يكن أحد نطق بها إلا مستفيداً لها من كلام الله؛ لكن إذا أنشأ بها كلاما لنفسه ولم يقصد بها قراءة كلام الله لم تكن فى هذه الحال من كلام الله، كما لو فعل ذلك فى بعض الجمل المركبة وأولى. ويدل على ذلك الأحكام الشرعية.

قال الآخرون - القائلون بأن حروف المعجم غير مخلوقة مطلقاً - لنا فى الأسماء الموجودة فى غير القرآن قولان. منهم من يقول بأن جميع الأسماء

غير مخلوقة،كما يقول ذلك فى الحروف.ومنهم من لا يقول ذلك،وقد حكى القولين ابن حامد وغيره عمن ينتسب الى مذهب الامام احمد وغيره من القائلين بأن حروف المعجم غير مخلوقة فمن عمم ذلك استدل بقوله تعالى:(وعلم آدم الأسماء كلها) وهذه الحجة مبنية على مقدمتين.

(إحداهما) أن مبدأ اللغات توقيفية،وان المراد بالتوقيف خطاب الله بها،لا تعريفه بعلم ضروري،وهذا الموضع قد تنازع فيه الناس من أصحاب الامام أحمد وسائر الفقهاء وأهل الحديث والأصول.فقال قوم:إنها توقيفية،وهو قول أبى بكر عبد العزيز،والشيخ أبى محمد المقدسى،وطوائف من أصحاب الامام أحمد؛وهو قول الأشعري،وابن فورك،[1]وغيرهما.وقال قوم: بعضها توقيفي،وبعضها اصطلاحي.وهذا قول طوائف:منهم ابن عقيل.وغيره.وقال قوم:يجوز فيها هذا وهذا،ولا نجزم بشيء.وهذا قول القاضي أبى يعلى،والقاضي أبى بكر بن الباقلانى،وغيرهما.ولم يقل:إنها كلها إصطلاحية إلا طوائف من المعتزلة ومن اتبعهم ـ ورأس هذه المقالة أبو هاشم[2]ابن الجبائى.

والذين قالوا انها «توقيفية» هل التوقيف بالخطاب،أو بتعريف ضروري،

---

١ ـ هو محمد بن الحسن بن فورك الأنصارى الأصبهانى أبو بكر:واعظ عالم بالأصول والكلام من فقهاء الشافعية سمع بالبصرة وبغداد وحدث بنيسابور وبنى فيها مدرسة وتوفى على مقربة منها عام ٤٠٦ هـ وفى النجوم الزاهرة قتله محمود بن سبكتكين بالسم لقوله:كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم رسولاً فى حياته فقط،وان روحه قد بطل وتلاشى له كتب كثيرة:منها:مشكل الحديث وغريبه،والنظامى فى أصول الدين ألفه لنظام الملك،والحدود وغير ذلك.

راجع السبكى ٣:٥٢ ـ ٥٦ والنجوم الزاهرة ٤:٢٤٠ ووفيات الأعيان ١:٤٨٢

٢ ـ سبقت الترجمة له فى الجزء الأول فى كلمة وافية.

أو كليهما؟ فمن قال:انها توقيفية.وان التوقيف بالخطاب،فانه ينبني على ذلك أن يقال:انها غير مخلوقة؛لأنها كلها من كلام الله تعالى؛لكن نحن نعلم قطعاً ان في أسماء الأعلام ما هو مرتجل وضعه الناس ابتداء فيكون التردد فى أسماء الأجناس.

و «أيضاً» فان تعليم الله لآدم بالخطاب لا يوجب بقاء تلك الأسماء بألفاظها فى ذريته؛بل المأثور أن أهل سفينة نوح لما خرجوا من السفينة أعطي كل قوم لغة،وتبلبلت ألسنتهم.وهذه المسألة فيها تجاذب،والنزاع فيها بين أصحابنا وسائر أهل السنة يعود الى نزاع لفظي فيما يتحقق فيه النزاع،وليس بينهم والحمد لله خلاف محقق معنوي.

وذلك ان الذي قال الحرف حرف واحد،وان حروف المعجم ليست مخلوقة؛إنما مقصوده بذلك أنها داخلة فى كلام الله،وانها منتزعة من كلام الله،وانها مادة لفظ كلام الله،وذلك غير مخلوق،وهذا لا نزاع فيه.فأما حرف مجرد فلا يوجد لا فى القرآن ولا في غيره،ولا ينطق بالحرف إلا في ضمن ما يأتلف من الأسماء والأفعال وحروف المعاني،واما الحروف التى ينطق بها مفردة مثل:الف،لام،ميم،ونحو ذلك فهذه فى الحقيقة أسماء الحروف،وإنما سميت حروفا باسم مسماها،كما يسمى ضرب فعل ماض باعتبار مسماه؛ولهذا لما سأل الخليل أصحابه كيف تنطقون بالزاء من زيد؟ قالوا:نقول «زا» قال:جئتم بالاسم؛وإنما يقال«زه».

وليس فى القرآن من حروف الهجاء ـ التى هي أسماء الحروف ـ إلا نصفها،وهي أربعة عشر حرفا،وهي نصف أجناس الحروف:نصف المجهورة،والمهموسة،والمستعلية،والمطبقة،والشديدة،والرخوة،وغير ذلك من

أجناس الحروف.وهو أشرف النصفين.والنصف الآخر لا يوجد فى القرآن إلا فى ضمن الأسماء،أو الأفعال،أو حروف المعانى - التى ليست باسم ولا فعل. فلا يجوز أن نعتقد ان حروف المعجم بأسمائها جميعها موجودة فى القرآن؛لكن نفس حروف المعجم التى هي أبعاض الكلام موجودة في القرآن؛ بل قد اجتمعت في آيتين: «إحداهما» في آل عمران و «الثانية» فى سورة الفتح:«ثم أنزل عليكم من بعد الغم)[1]الآية،و (محمد رسول الله) [2]الآية.

وإذا كان كذلك فمن تلكم بكلام آخر مؤلف من حروف الهجاء فلم ينطق بنفس الحروف التى فى لفظ القرآن،وإنما نطق بمثلها،وذلك الذي نطق به قد يكون هو أخذه وإذا ابتدأ من لفظ كلام الله تعالى وقد لا يكون حقيقة.

قيل:الحرف من حيث هو شيء واحد له الحقيقة المطلقة التى لا تأليف فيها لا توجد لا فى كلام الله تعالى ولا فى كلام عباده،وإنما الموجود الحرف الذي هو جزء من اللفظ أو اسمه إذا لم يوجد إلا حرف؛ولكن هذا المطلق؛بل الأعيان الموجودة في الخارج قائمة بأنفسها،كالانسان لا يوجد مجرداً عن الأعيان فى الأعيان،لا يوجد مجرداً عن الأعيان إلا فى الذهن،لا فى الخارج،فكيف بالحرف الذي لا يوجد فى الخارج إلا مؤلفاً؟! فلو قدر أنه يوجد فى الخارج غير مؤلف متعدد الأعيان كما يوجد الانسان لم تكن حقيقته المطلقة من حيث هي هي موجودة إلا فى الأذهان لا في الأعيان.

فتبين ان الحروف تختلف أحكامها باختلاف معانيها واختلاف المتكلم بها. وهذا أوجب تعظيم حروف القرآن المنطوقة والمسطورة،وكان لها من الأحكام

---

١ - سورة آل عمران آية رقم ١٥٤ ٢ - سورة الفتح آية رقم ٢٩

الشرعية ما امتازت به عما سواها،واختلاف الأحكام إنما كان لاختلاف صفاتها واحوالها.

فتبين ان الواجب ان يقال ما قاله الأئمة كاحمد وغيره:ان كلام الانسان كله مخلوق حروفه ومعانيه،والقرآن غير مخلوق حروفه ومعانيه.وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال:«يقول الله:أنا الرحمن خلقت الرحم،وشققت لها من اسمى،فمن وصلها وصلته،ومن قطعها بتته»[1] وروى الربيع بن انس عن المسيح انه قال:«عجبا لهم كيف يكفرون به وهم يتقلبون في نعمائه ويتكلمون باسمائه؟!».

وذكر فى معظم حروف المعجم انها مباني اسماء الله الحسنى،وكتبه المنزلة من السماء،وهذا مما يحتج به من قال:ليست مخلوقة،وليس بحجة؛فان اسماء الله من كلامه وكلامه غير مخلوق،وما اشتقه هو من أسمائه فتكلم به فكلامه به غير مخلوق،وأما إذا اشتقوا اسما أحدثوه فذلك الاسم هم أحدثوه ولا يلزم إذا كان المشتق منه غير مخلوق،ان يكون المشتق كذلك.وما يروى عن المسيح فلا يعرف ثبوته عنه،وبتقدير ثبوته فاذا كان قد ألهم عباده أن يتكلموا بالحروف التى هي مباني أسمائه التى تكلم بها لم يلزم أن يكون ما احدثوه هم غير مخلوق.

«وبالجملة» فمن نظر إلى أن حقيقة الحرف التى لا تختلف موجودة فى كلام الله وكلام الله غير مخلوق،قال انها مخلوقة إشارة إلى نفس حقيقة

---

١ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الأدب ٥٩٨٨ ـ حدثنا عبد الله بن دينار عن أبى صالح،عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره. وأخرجه الامام أحمد فى المسند ٦٢:٦ (حلبى)

الحرف؛لا إلى عين جزء اللفظ الذي به ينطق الكفار والمشركون؛فان ذلك الحرف الذي هو صوت لمقدر أو تقدير صوت قائم بالكافر والمشرك لا يقول عاقل:انه غير مخلوق؛مع انه ليس مضافا الى الله بوجه من الوجوه،وإنما يضاف إلى الله ما شاركه في أسمه مما كان متعلقاً بالمعنى المضاف إلى الله.

وهذابخلاف الحروف التى فى كلام الله؛فان تلك كلام الله كيف ما تصرفت،ونحن لما يسر الله كلامه بألسنتنا أمكننا أن نتكلم بكلامه؛لكن بأدواتنا وأصواتنا؛وليس تكلمنا به وسمعه منا كتكلم الله به وسمعه منه كما تقدمت الاشارة إلى هذا،كما ان الله ليس كمثله شيء فكذلك سائر ما يضاف اليه؛ولكن لما انطقنا الله بأدواتنا وحركاتنا وأصواتنا صار بين بعض لفظنا به ولفظنا بغيره نوع من الشبه؛فاذا تكلمنا بكلام آخر فهو يشبه من بعض الوجوه لفظنا وصوتنا بالقرآن لا يشبه تكلم الله به وقراءته إياه فاذا كان وجود هذه الحروف في كلام الآدميين ليس بمنزلة تكلم الله بالقرآن،وانما يشبه من بعض الوجوه تكلمنا به من جهة ما يضاف الينا لا من جهة ما يضاف إلى الله امتنع حينئذ أن يقال:عين الحرف الذي هو جزء لفظة من الاسم الذي ينطق به الناس هو عين الحرف الذي هو جزء لفظ من كلام الله تعالى،وانما يشبهه ويقاربه،فهو هو باعتبار النوع؛وليس هو إياه باعتبار العين والشخص، خلاف حروف كلام الله القرآن؛فانها كلام الله حيث تصرفت وفيها دقة وشبهة أشرنا اليها فى هذا الجواب،وشرحناها فى موضعها.

فمن قال:ان الحروف حرفان أراد به أنهما عينان وشخصان وهذا حق.ومن قال:الحرف حرف واحد أراد به:أن الحقيقة النوعية واحدة فى الموضعين،وهذا حق.ومن قال:ان حروف الهجاء من كلام الآدميين غير مخلوقة فقد صدق

باعتبار الحقيقة النوعية.ومن قال:انها مخلوقة باعتبار العين الشخصية فقد صدق.

ونظير هذا كثير يوجد في كلام اهل العلم وأهل السنة من النفي والاثبات،ويكون النزاع في معنيين متنوعين نزاعا لفظياً اعتباريا،وقد قال بعض الفضلاء:اكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الاسماء؛لكن وقوع الاشتراك والاجمال يضل به كثير من الخلق،كما يهتدي به كثير من الخلق، وهو سبب ضلال هؤلاء الجهال المسئول عنهم،فان حجتهم:ان الله علم آدم الاسماء كلها،وعلمه البيان،وهو مبنى على أن «اللغات توقيفية» كقول كثير من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم:كابي بكر عبد العزيز،وأبي محمد المقدسي،وهو قول الأشعري،وابن فورك وغيرهما.

لكن «التوقيف» هل المراد به التكليم،أو التعريف،أو كلاهما؟ هذا فيه نزاع ايضاً،كما تقدم.فالذين قالوا:إنها غير مخلوقة،يقولون:إنها «توقيفية»،وان التعليم هو بالخطاب،فيكون الله قد تكلم بالأسماء كلها، وكلام الله غير مخلوق.قال هؤلاء الجهال الضالون:وكلام الآدميين ليس وإلا ما يأتلف من الحروف والاسماء وتلك غير مخلوقة.فهذا ايضا غير مخلوق.

فبنوا قولهم على ان حروف المعجم غير مخلوقه،وان الأسماء المؤلفة من الحروف غير مخلوقة،واعتقدوا مع ذلك ان كلام ألآدميين ليس إلا ما يأتلف من الاسماء والحروف وتلك غير مخلوقة،فقالوا:كلام الآدميين غير مخلوق؛لأن مفرداته غير مخلوقة.وإذا ضويقوا.فقد يقولون النظم والتأليف مخلوق،وأما نفس المنظوم المؤلف فهو قديم،ثم يحسبون أن المواد المنظومة المؤلفة هي أدخل في الكلام من نفس التأليف والنظم،كما ان اجزاء البيت هي أدخل في مسماه من تأليفه وإن كان البيت إسما للأجزاء ولتأليفها.

وربما طرد بعضهم هذه «المقالة» في سائر اصوات الآدميين.ولما ألزمهم من خاطبهم بأصوات العباد؛التي ليست بكلام طرد بعضهم ذلك في الاصوات،ثم طرد ذلك في أصوات البهائم:من الحمير وغيرها ،ويلزمهم طرد ذلك في جميع الأصوات،حتى أصوات العيدان والمزامير؛إذ لا فرق بينهما وبين اصوات البهائم.

واعلم ان الجهالة إذا انتهت إلى هذا الحد صارت بمنزلة من يقول:أن الوتد، والحائط،والعجل الذي يعمل منه الجلد كلام الله،او يقول:ان يزيد بن معاوية[1]كان من الأنبياء الكبار،أو يقول:ان الله ينزل عشية عرفة على جمل أورق يعانق المشاة ويصافح الركبان،أو يقول:إن ابا بكر وعمر ليسا مدفونين بالحجرة،أو أنهما فرعون وهامان،وانهما كانا كافرين عدوين للنبي صلى الله عليه وسلم:مثل أبي جهل وأبي لهب،أو يقول:ان علي بن أبي طالب هو العلي الأعلى رب السموات والأرض،أو يقول:ان الذي صفعته اليهود وصلبته ووضعت الشوك على رأسه هو الذي خلق السموات والارض،وان اليدين المسمرتين هما اللتان خلقتا السموات والارض،او يقول: ان الله قعد في بيت المقدس يبكي وينوح حتى جاء بعض مشايخ اليهود فبرك عليه،،أو أنه بكى حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة،[2]وانه ندم على

---

١ ـ هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام ولد بالماطرون عام ٢٥ هـ ونشأ بدمشق وتولى الخلافة بعد والده عام ٦٠ هـ وأبى البيعة له عبد الله بن الزبير والحسين بن علي فانصرف الأول الى مكة والثاني الى الكوفة.خلع أهل المدينة طاعته سنة ٦٣ هـ فأرسل اليهم مسلم بن عقبه المري،وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة وقتل فيها كثيراً من الصحابة.

راجع الطبري حوادث ٦٤ وتاريخ الخميس ٢: ٣٠٠ ومنهاج السنة ٢:٣٧٧ ـ ٢٥٤

٢ ـ راجع كتابنا المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها ط دار الجيل بيروت عند حديثنا عن موقف التلمود من الالهه.

على الطوفان،وعض يديه من الندم حتى جرى الدم،أو يقول:ان الشيخ فلان والشيخ فلان يخلق ويرزق،وكل رزق لا يرزقنيه ما أريده.أو يقول ان عليا هو الذي كان يعلم القرآن للنبى صلى الله عليه وسلم،أو يقول:ان صانع العالم لما صنعه غلبت عليه الطبيعة حتى أهلك نفسه،أو يقول:ان وجوده ووجود هذا وهذا هو عين وجود الحق،وان الله هو عين السموات والأرض والنبات والحيوان،وان كل صوت ونطق فى العالم فهو صوته وكلامه،وكل حركة فى العالم وسكون فهو حركته وسكونه،وان الحق المنزه هو الخلق المشبه، وانه لو زالت السموات والأرض لزالت حقيقة الله،وانه من حيث ذاته لا اسم له ولا صفة،وانه لا وجود له إلا في الأعيان الممكنات،وانه الوجود المطلق الساري في المخلوقات:الذي لا يتميز ولا ينفصل عن المخلوقات.الى أمثال هذه المقالات التى يقولها الغلاة من المشركين والكتابيين.ومن اشبههم من غالية هذه الأمة.

فان المنتسبين إلى السنة والحديث - وان كانوا أصلح من غيرهم من أشباههم،فالسنة فى الاسلام فى الملل،كما انه يوجد فى المنتسبين إلى الاسلام ما يوجد فى غيرهم،وان كان كل خير في غير المسلمين فهو فى المسلمين اكثر،وكل شر في المسلمين فهو فى غيرهم اكثر،فكذلك المنتسبة الى السنة - قد يوجد فيهم ما يوجد فى غيرهم،وان كان كل خير فى غير أهل السنة فهو فيهم اكثر،وكل شر فيهم فهو فى غيرهم اكثر؛إذ قد صح عن النبى صلى الله عليه وصلم انه قال:«لتتبعن سنن من كان قبلكم:حذو القذة بالقذة،حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.قالوا:اليهود والنصارى؟قال:فمن؟»[1]وقال:«لتأخذن

---

١ - الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام ٧٣٢٠ عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى عن النبى - صلى الله عليه وسلم قال:وذكره. وأخرجه الامام مسلم فى كتاب العلم ٦ وابن ماجة فى الفتن ١٧ واحمد بن حنبل فى المسند ٢:٣٣٧ ، ٤٥٠ (حلبى)

مآخذ الأمم قبلكم:شبرا بشبر،وذراعا بذراع،قالوا:فارس والروم؟ قال:ومن الناس إلا هؤلاء؟!».[1]

وإزالة شبهة هؤلاء تحتاج إلى الكلام فى «الحروف،والأسماء» هل هى مخلوقة أم غير مخلوقة،وان كنا قد أشرنا إلى ذلك؛بل نتكلم على تقدير أنها غير مخلوقة،ونقول مع هذا:يجب القطع بأن كلام الآدميين مخلوق، ويطلق القول بذلك إطلاقا لا يحتاج إلى تفصيل:بأن يقال نظمه وتأليفه مخلوق،وحروفه وأسماؤه غير مخلوقة أو تركيبه مخلوق ومفرداته غير مخلوقة،فان هذا التفصيل لا يحتاج اليه.

وذلك لأن كلام المتكلم هو عبارة عن الفاظه ومعانيه،كما قدمناه،ليس الكلام اسما لمجرد الالفاظ،ولا لمجرد المعانى.

وعامة ما يوجد فى الكتاب والسنة،وكلام السلف والأئمة؛بل وسائر الأمم عربهم وعجمهم من لفظ الكلام،والقول،وهذا كلام فلان،أو كلام فلان؛فانه عند إطلاقه يتناول اللفظ والمعنى جميعا لشموله لهما؛ليس حقيقة فى اللفظ فقط،كما يقوله قوم،ولا فى المعنى فقط،كما يقوله قوم.ولا مشترك بينهما،كما يقوله قوم،ولا مشترك فى كلام الآدميين وحقيقة فى المعنى فى كلام الله كما يقوله قوم.

ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم:«ان الله تجاوز لأمتى عما حدثت به

---

١ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام ٧٣١٩ حدثنا ابن أبى ذئب عن المقبرى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره.

انفسها مالم تتكلم به أو تعمل به»[1] وقول معاذ له:«وانا لمؤاخذون بما نتكلم؟ فقال:ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم؟!»[2]وقوله: «كلمتان ثقيلتان فى الميزان،خفيفتان على اللسان،حبيبتان إلى الرحمن:سبحان الله وبحمده،سبحان الله العظيم»[3] وقوله:«ان اصدق كلمة قالها الشاعر:كلمة لبيد:

الا كل شيء ما خلا الله باطل

وقوله:«إنى لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند الموت إلا وجد روحه لها روحا».[4]«فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وما فى القرآن: مثل قوله:(إليه يصعد الكلم الطيب،والعمل الصالح يرفعه)[5]وقوله: (وإذاقلتم فاعدلوا،ولو كان ذا قربى)،[6]ونحو ذلك من أسماء القول والكلام جميعاً ونحوهما فانه يدخل فيه اللفظ والمعنى جميعاً عند الاطلاق.

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب الايمان ٢٠١ (١٢٧) عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وذكره،واخرجه البخارى فى العتق ٦ والترمذى فى الطلاق ٨ والنسائى فى الطلاق ٢٢ واحمد بن حنبل فى المسند ٢:٣٩٨. ٤٢٥(حلبى)

٢ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الايمان ١٩ ومسلم فى كتاب الايمان وابن ماجة فى كتاب الفتن ٣٩٧٣ ثنا عبد الله بن معاد عن معمر عن عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل عن معاذ بن جبل قال:كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم ـ فى سفر فاصبحت يوماً قريباً منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله:رذكره.

٣ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ٧٥٦٣ عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم وذكره،واخرجه ابن ماجة فى الأدب ٥٦ والترمذى فى الدعوات ٥٩

٤ ـ سبق تخريج الحديث فى الجزء الأول من هذا الكتاب

٥ ـ سورة فاطر آية رقم ١٠ ٦ ـ سورة الأنعام آية رقم ١٥٢

وإذا كان كذلك فالمتكلم بالكلام المبتدىء له،سواء كان نظما او نثراً لاريب انه هو الذي ألف معانيه وألف ألفاظه؛وأما مفردات «الأسماء والحروف» فلا ريب انه تعلمها من غيره،سواء كانت مخلوقة أو غير مخلوقة؛فان «اللغات» سابقة لكلام عامة المتكلمين،ونطق الناطقين من البشر،وهم تلقوا الأسماء،وحروف الأسماء الموجودة فى لغاتهم عمن قبلهم إلى أن ينتهي الأمر إلى أول متكلم بتلك الأسماك المفردة.

ثم انه علم بالاضطرار واتفق عليه اهل الارض جميعهم:ان الكلام هو كلام من ألف معانيه وألفاظه،وان كان جميع ما فيه من الاسماء والحروف إنما تعلمها من غيره،فالناس مطبقون على أن هذه القصائد كلام منشئيها:مثل شعر امرىء القيس،والنابغة الذبيانى:كقوله:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فجميع الأمم يعلمون ويقولون ان هذا شعر امرىء القيس وكلامه وإن كانت الأسماء المفردة فيه إنما تعلمها من غيره؛فان العرب نطقت قبله بلفظ «قفا» وبلفظ «نبك» وبلفظ «من ذكرى» «حبيب» «ومنزل»

وجميع المسلمين إذا سمعوا قوله صلى الله عليه وسلم:«إنما الأعمال بالنيات،وانما لكل امرىء مانوى»[1]أو «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله،ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره ان

١ ـ سبق تخريج الحديث فى هذا الجزء قريباً من هذا

يلقى فى النار»[1] وقوله: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[2] قالوا: هذا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا حديثه، وهذا قوله، مع علمهم، أن جميع مفردات هذا الكلام قد كانت موجودة فى كلام العرب قبله: مثل لفظ «انما» ولفظ «الاعمال» ولفظ «النية» و «النيات» ولفظ «كل امرىء» ولفظ «ما نوى» وغير ذلك.

وهكذا كلام الصحابة والتابعين وكلام مصنفى الكتب والرسائل والخطب كلهم يقول: هذه الرسالة كلام فلان، وهذه الخطبة كلام فلان، وهذه المسألة من كلام فلان، مع علمهم بأنه مسبوق بمفردات الكلام: اسمائه، وحروف هجائه، وذلك لان الكلام لم يكن كلاما باعتبار الالفاظ المفردة، ولا باعتبار أجزائها - وهي حروف الهجاء - ولا كان المقصود بوضع اللفظ للمعنى الدلالة على المعانى المفردة، فان المعانى المفردة لا يعلم وضع اللفظ لها إلا بعد العلم بها، فلو كان العلم لها لا يستفاد إلا من اللفظ لزم الدور.

ولهذا يقول اهل العربية - وهم اخبر بمشبهات الالفاظ من غيرهم - : أن اسم الكلام لا يقال إلا على الجملة المفيدة كالمركبة من اسمين، او اسم الفاعل. وقد ذكر ذلك «سيبويه» حكيم لسان العرب فى (باب الحكاية بالقول) حيث

---

١ - الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب الايمان ٦٧ (٤٣) بسنده عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال: وذكره وأخرجه البخارى فى كتاب الايمان ٩ - ١٤ والاكراه ١

٢ - الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب الزهد ٧٢ (٣٠٠٤) عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: وذكره وأخرجه البخارى فى كتاب الأدب ١٠٩ والترمذى فى كتاب الفتن ٧٠ وابن ماجة فى المقدمة ٤ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٤٧، ٨٣، ١٢٣، ١٥٠ (حلبى)

ذكر ان القول يحكى به ما كان كلاما،ولا يحكى به ما كان قولا،والقول انما تحكى به الجمل المفيدة.فعلم انها هي الكلام في لغة العرب.

وحيث اطلق الفقهاء.اسم «الكلام» على حرفين فصاعدا في (باب الصلاة) فانما غرضهم ما يبطل الصلاة،سواء كان مفيداً او غير مفيد،وموضوعا،أو مهملا،حتى لو صوت تصويتاً طويلا،ولحن لحون الغناء ابطل الصلاة،وان لم يكن ذلك في اللغة كلاما.وهم فيما إذا حلف لا يتكلم أو ليتكلمن لا يعلقون البر والحنث الا بما هو فى عرف الحالف كلام،وإن كان اخص من الكلام الذى يبطل الصلاة ولهذا لو حلف لا يتكلم واطلق يمينه حنث بكلام المخلوقين،وهل يحنث بتكلمه بالقرآن؟ من العلماء من قال:لا يحنث بحال.ومنهم من قال:لا يحنث بتلاوته فى الصلاة.ومنهم من توقف؛ لان اليمين مرجعها الى عرف الحالف،فعموم اسم الكلام وخصوصه عندهم بحسب الاحكام المتعلقة به.

والسلف إذا ذموا اهل الكلام وقالوا:علماء الكلام زنادقة،وما ارتدى احد بالكلام فافلح،فلم يريدوا به مطلق الكلام،وإنما هو حقيقة عرفية فيمن يتكلم في الدين بغير طريقة المرسلين.

والخائضون فى «اصول الفقه» وإن قالوا:ان الكلام ما تألف من حرفين فصاعدا،او ما انتظم من «الحروف» وهي الاصوات المقطعة المتواضع عليها.وتنازعوا فى الحرف الواحد المؤلف مع غيره هل يسمى كلاما؟ على قولين؛كما قال اكثر متكلميهم:ان الجسم هو المؤلف،واقل التركيب من

جوهرين،وتنازعوا في الجوهر[1] الواحد المؤلف هل يسمى جسما ؟على قولين؛ فهذا اصطلاح خاص لهم.

كما اصطلح (النحاة) على ان (المفرد) مثل الاسم وحرف المعنى يسمى كلمة،وان كانت الكلمة فى لغة العرب العرباء لا توجد الا اسما للجملة التامة إلا ان يكون شيئاً لا يحضرني الآن.

وإذا كان الناس متفقين على ان الكلام هو كلام من ألف ألفاظه ومعانيه،وإن كان قد تعلم اسماءه من غيره زالت كل شبهة فى المسألة،ووجب اطلاق القول بأن كلام الآدميين مخلوقين،كما يطلق القول بأن هذا الشعر من كلام فلان وهذا الكلام كلام فلان؛لا كلام الذين تكلموا قبلهم بتلك الاسماء وحروفها؛فان كلام الآدميين هو الكلام الذين انشؤه وابتدأوه فألفوا ألفاظه ومعانيه.وإن كان بعضهم قد تعلم اسماءه وحروفه من بعض،ولو كانت اسماؤه قد سمعوها من الله تعالى.

واعلم ان هنا امراً عجيباً وهو ان هؤلاء القوم ضد الذين يجعلون القرآن الذي يقرؤونه كلام الآدميين،لا كلام الله،فان اولئك عمدوا إلى كلام الله الذي يتلونه ويبلغونه ويؤدونه ـ فجعلوه كلام انفسهم،وهؤلاء عمدوا إلى كلامهم ـ المتضمن الكفر والفسوق والعصيان والكذب والبطلان ـ فجعلوه كلام الله الذي ليس بمخلوق.فأولئك لم ينظروا إلا إلى من سمع منه الكلام،وهؤلاء لم ينظروا إلا إلى من اعتقدوا انه تكلم أولاً بمفردات الكلام.

---

١ ـ يطلق الجوهر عند الفلاسفة على معان منها الموجود القائم بنفسه حادثاً كان او قديماً ويقابله العرض،ومنها الذات القابلة لتوارد الصفات المتضادة عليها،ومنها الماهية التى إذا وجدت فى الأعيان كانت لا فى موضوع ومنها الموجود الغنى عن محل يحل فيه.

قال ابن سينا :الجوهر:هو كل ما وجود ذاته ليس فى موضوع أى فى محل قريب قد قام بنفسه دونه لا بتقويمه.   راجع النجاة:١٢٦

وأما «الامة الوسط» الباقون على الفطرة،وجميع بني آدم فيقولون لما بلغه المبلغ عن غيره وأداه ولما قرأه من كلام غيره وتلاه.هذا كلام ذاك،وإنما بلغته بقواك،كما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما خرج على قريش فقرأ عليهم:(الم غلبت الروم فى ادنى الأرض،وهم من بعد غلبهم سيغلبون)[1]فقالوا:هذا كلامك،أم كلام صاحبك؟ فقال:ليس بكلامي ولا كلام صاحبى،ولكن كلام الله.

وهذا كما قال الله تعالى:(فأجره حتى يسمع كلام الله)[2]وفى سنن أبى داود عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم:«انه كان يعرض نفسه على الناس فى الموقف فيقول:ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبلغ كلام ربى؟ فان قريشاً منعونى أن أبلغ كلام ربي»[3]فبين صلى الله عليه وسلم أنما يبلغه ويتلوه هو كلام الله لا كلامه،وإن كان يبلغه بأفعاله وصوته كما قال:«زينوا القرآن بأصواتكم» وقال: «لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»[4]

والأمم متفقون على هذا إذا سمعوا من يروي قصيدة من شعر مثل «قفا نبك» والا «وهل غادر الشعراء» أو «خطبة» مثل خطب علي،وزياد،أو «رسالة عبد الحميد ونحوه،أو سجعا من سجع الكهان،أو قرآناً مفترى كقرآن مسيلمة الكذاب قالوا:هذا شعر امرىء القيس،وكلام علي،وكلام عبد الحميد،وقرآن مسيلمة،وهو كلامه،ولم يجعلوه كلاما للمبلغ المؤدي بالواسطة، وإن كان بلغه بفعله وصوته،وإذا انشأ رجل قصيدة،أو خطبة،أو رسالة،أو

---

١ ـ سورة الروم آية رقم ١ ـ ٣ ٢ ـ سورة التوبة آية رقم ٦
٣ ـ سبق تخريج هذا الحديث فى الجزء الأول من هذا الكتاب
٤ ـ سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا فى هذا الجزء

سجعاً،أو تكلم بكلام منثور:آمراً أو مخبراً قالوا:هذا كلام فلان،وقوله،وإن كان قد تعلم مفرداته من غيره،وتلقنها من أحد.

فمن قال:الكلام هو كلام لمن تعلم منه المفردات فهو أبعد عن العقل والدين ممن قال:ان الكلام لمن بلغه وأداه،وانما الكلام كلام من اتصل به، واتصف به،وألفه،وأنشأه،وكان مخبراً بخبره،وآمراً بأمره،وناهياًعن نهيه.

فصـــــل

فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

وأما سؤال السائل:هل يجب على ولي الأمر زجرهم وردعهم؟فنعم!يجب ذلك في هؤلاء،وفي كل من أظهر مقالة تخالف الكتاب والسنة:فان ذلك من «المنكر» الذي أمر الله بالنهي عنه،كما قال تعالى:(ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير،ويأمرون بالمعروف،وينهون عن المنكر)[1]وهو من «الاثم» الذي قال الله فيه:(لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت).[2]

وكل من أثبت لله ما نفاه عن نفسه أو نفى عن الله ما أثبته لنفسه من المعطلة والممثلة فانه قال على الله غير الحق،وذلك مما زجر الله عنه بقوله للنصارى:(يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم،ولا تقولوا على الله إلا الحق)[3]وبقوله:(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق،ولا

١ ـ سورة آل عمران آية رقم ١٠٤
٢ ـ سورة المائدة آية رقم ٦٣
٣ ـ سورة النساء آية رقم ١٧١

تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل،وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل)[1] وقال عن الشيطان:(إنما يأمركم بالسوء والفحشاء،وان تقولوا على الله ما لا تعلمون)[2]وقال:(قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن،والاثم،والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً،وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون).[3]

فان من قال غير الحق فقد قال على الله ما لا يعلم؛فان الباطل لا يعلم إلا إذا علم بطلانه،فأما اعتقاد أنه الحق فهو جهل لا علم،فمن قاله،فقد قال ما لا يعلم،وكذلك من تبع فى هذه الأبواب وغيرها من أبواب الدين آباءه وأسلافه من غير اعتصام منه بالكتاب والسنة والاجماع فانه ممن ذمه الله فى كتابه:مثل قوله:(وإذا قيل لهم:تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون)[4]وقوله:(يوم تقلب وجوههم فى النار:يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا،وقالوا ربنا!انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا،ربنا! آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً).[5]

وكذلك من اتبع الظنون والأهواء معتقداً أنها «عقليات» و «ذوقيات» فهو ممن قال الله فيه:(ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)[6]وانما يفصل بين الناس فيما تنازعوا فيه الكتاب المنزل من السماء،والرسول المؤيد بالأنبياء،كما قال تعالى:(ايتوني بكتاب من قبل هذا

---

١ ـ سورة المائدة آية رقم ٧٧

٢ ـ سورة البقرة آية رقم ١٦٩

٣ ـ سورة الأعراف آية رقم ٣٣

٤ ـ سورة المائدة آية رقم ١٠٤

٥ ـ سورة الأحزاب الآيات رقم ٦٦ ـ ٦٨

٦ ـ سورة النجم آية رقم ٢٣

او اثارة من علم ان كنتم صادقين)[1] وقال تعالى: (كان الناس أمة واحدة،فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين،وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه)[2] وقال تعالى: (فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر،ذلك خير وأحسن تأويلا)[3] وقال تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله)؛[4] بل على الناس أن يلتزموا الأصول الجامعة الكلية التى اتفق عليها سلف الأمة وأئمتها: فيؤمنون بما وصف الله به نفسه،وبما وصفه به رسوله: من غير تحريف ولا تعطيل،ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وليس لأحد ان يكفر أحداً من المسلمين وان أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة،وتبين له المحجة،ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛ بل لا يزول الا بعد اقامة الحجة،وازالة الشبهة.

فصـــل

تكفير أهل البدع والاهواء

وأما تفكير قائل هذا القول فهو مبنى على أصل لابد من التنبيه عليه؛ فانه بسبب عدم ضبطه اضطربت الأمة اضطراباً كثيراً فى تكفير أهل البدع والأهواء،كما اضطربوا قديماً وحديثاً فى سلب الايمان عن أهل الفجور والكبائر،وصار كثير من أهل البدع مثل الخوارج،والروافض،والقدرية، والجهمية،والممثلة: يعتقدون اعتقاداً هو ضلال يرونه هو الحق،ويرون كفر من

---

١ ـ سورة الأحقاف آية رقم ٤
٢ ـ سورة البقرة آية رقم ٢١٣
٣ ـ سورة النساء آية رقم ٥٩
٤ ـ سورة الشورى آية رقم ١٠

خالفهم فى ذلك،فيصير فيهم شوب قوي من أهل الكتاب فى كفرهم بالحق وظلمهم للخلق،ولعل اكثر هؤلاء المكفرين يكفر بـ «المقالة» التى لا تفهم حقيقتها ولا تعرف حجتها.

وبازاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة،كما يجب،أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه،وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونه،ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة،ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم؛بل لعلهم يذمون الكلام فى السنة وأصول الدين ذماً مطلقاً؛لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع، وما يقوله أهل البدعة والفرقة،أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة،كما يقر العلماء فى مواضع الاجتهاد التى يسوغ فيها النزاع،وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة،وبعض المتفقهة،والمتصوفة،والمتفلسفة،كما تغلب الأولى على كثير من أهل الأهواء والكلام،وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة.

وإنما الواجب بيان ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه،وتبليغ ما جاءت به الرسل عن الله،والوفاء بميثاق الله الذي أخذه على العلماء فيجب أن يعلم ما جاءت به الرسل،ويؤمن به،ويبلغه،ويدعو اليه،ويجاهد عليه،ويزن جميع ما خاض الناس فيه من أقوال وأعمال فى الأصول والفروع الباطنة والظاهرة بكتاب الله وسنة رسوله،غير متبعين لهوى:من عادة،أو مذهب،أو طريقة،أو رئاسة،أو سلف؛ولا متبعين لظن:من حديث ضعيف.أو قياس فاسد ـ سواء كان قياس شمول أو قياس تمثيل ـ أو تقليد لمن لا يجب اتباع قوله وعمله؛ فان الله ذم فى كتابه الذين يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ويتركون اتباع ما جاءهم من ربهم من الهدى.

فصـــل
التكفير والتفسيق

إذا تبين ذلك فاعلم ان «مسائل التكفير،والتفسيق» هي من مسائل «الأسماء والأحكام» التى يتعلق بها الوعد والوعيد فى الدار الآخرة،وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك فى الدار الدنيا فان الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين،وحرم الجنة على الكافرين،وهذا من الأحكام الكلية فى كل وقت ومكان،قال الله تعالى:(ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[1]وقال تعالى ـ لما ذكر قول اليهود والنصارى ـ : (لن يدخل الجنة الا من كان هوداً او نصارى،تلك امانيهم،قل: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين).[2]فأمر أن يطالبهم بالبرهان على هذا النفي العام،وما فيه من الاثبات الباطل،ثم قال:(بلي من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه،ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)[3]

فأخبر سبحانه عمن مضى ممن كان متمسكا بدين حق من اليهود والنصارى والصابئين،وعن المؤمنين بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم أنه من جمع «الخصال الثلاث» التى هي جماع الصلاح وهي الايمان بالخلق، والبعث:بالمبدأ والمعاد :الايمان بالله،واليوم الآخر،والعمل الصالح؛وهو أداء المأمور به،وترك المنهي عنه.فان له حصول الثواب وهو أجره عند ربه،واندفاع

١ ـ سورة البقرة آية رقم ٦٢
٢ ـ سورة البقرة آية رقم ١١١
٣ ـ سورة البقرة آية رقم ١١٢

العقاب.فلا خوف عليه مما أمامه،ولا يحزن على ما وراءه؛ولذلك قال: (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن)اخلاص الدين لله،وهو عبادته وحده لا شريك له،وهو حقيقة قوله: (إياك نعبد،وإياك نستعين)[1]وهو محسن.

فـ «الأول» وهو إسلام الوجه هو النية،وهذا «الثاني» - وهو الاحسان - هو العمل.وهذا الذى ذكره في هاتين الآيتين هو الايمان العام،والاسلام العام، الذي أوجبه الله على جميع عباده،من الأولين والآخرين.

وهو «دين الله العام» الذي لا يقبل من أحد سواه،وبه بعث جميع الرسل، كما قال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[2]وقال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)[3]وقال تعالى: (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا،أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟)[4]وقال تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك،وما وصينا به ابراهيم،وموسى وعيسى؛أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)[5]وقال تعالى لبني آدم جميعاً: (فاما يأتينكم مني هدى،فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى،ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا،ونحشره يوم القيامة أعمى)،[6]وقال في الآية الأخرى (فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون،والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.[7]

١ - سورة الفاتحة آية رقم ٥
٢ - سورة النحل آية رقم ٣٦
٣ - سورة الأنبياء آية رقم ٢٥
٤ - سورة الزخرف آية رقم ٤٥
٥ - سورة الشورى آية رقم ١٣
٦ - سورة طه آية رقم ١٢٤
٧ - سورة البقرة آية رقم ٣٨

فكان من أول البدع والتفريق الذي وقع في هذه الأمة «بدعة الخوارج» المكفرة بالذنب،فانهم تكلموا في الفاسق المليّ،فزعمت الخوارج والمعتزلة أن الذنوب الكبيرة،ومنهم من قال:والصغيرة لا تجامع الايمان أبداً،بل تنافيه وتفسده كما يفسد الأكل والشرب الصيام،قالوا:لأن الايمان هو فعل المأمور،وترك المحظور،فمتى بطل بعضه بطل كله كسائر المركبات.

ثم قالت «الخوارج»:فيكون العاصي كافراً؛لأنه ليس إلا مؤمن وكافر،ثم اعتقدوا أن عثمان وعليا وغيرهما عصوا،ومن عصى فقد كفر فكفروا هذين الخليفتين وجمهور الأمة،وقالت المعتزلة بالمنزلة بين المنزلتين[1]انه يخرج من الايمان ولا يدخل فى الكفر.

وقابلتهم «المرجئة» ،و «الجهمية» ومن اتبعهم من الأشعرية والكرامية،فقالوا:ليس من الايمان فعل الأعمال الواجبة،ولا ترك المحظورات البدنية،والايمان لا يقبل الزيادة والنقصان؛بل هو شيء واحد،يستوي فيه جميع المؤمنين:من الملائكة،والنبيين،والمقربين،والمقتصدين،والظالمين.

ثم قال فقهاء المرجئة:هو التصديق بالقلب واللسان،وقال أكثر متكلميهم: هو التصديق بالقلب،وقال بعضهم:التصديق باللسان.لأنه لو دخلت فيه الواجبات العملية لخرج منه من لم يأت بها كما قالت الخوارج،ونكتة هؤلاء جميعهم توهمهم أن من ترك بعض الايمان فقد تركه كله.

وأما «أهل والجماعة» من الصحابة جميعهم والتابعين،وأئمة أهل السنة وأهل الحديث،وجماهير الفقهاء والصوفية،مثل مالك والثوري،والأوزاعي،

١ - راجع كتاب:شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار بن أحمد:تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان من صـ ٦٩٥ الى ٧٣٤

وحماد بن زيد،والشافعي،وأحمد بن حنبل وغيرهم.ومحققي أهل الكلام، فاتفقوا على أن الايمان والدين قول وعمل.هذا لفظ السلف من الصحابة وغيرهم،وإن كان قد يعنى بالايمان فى بعض المواضع ما يغاير العمل؛لكن الأعمال الصالحة كلها تدخل أيضاً في مسمى الدين،والايمان،ويدخل في القول قول القلب واللسان،وفى العمل عمل القلب والجوارح.

وقال المفسرون لمذهبهم:ان له أصولا وفروعا،وهو مشتمل على أركان وواجبات - ليست بأركان - ومستحبات،بمنزلة اسم الحج والصلاة وغيرهما من العبادات؛فان اسم الحج يتناول كل ما يشرع فيه من فعل وترك،مثل الاحرام وترك محظوراته،والوقوف بعرفة ومزدلفة ومنى،والطواف ببيت الله الحرام، وبين الجبلين المكتنفين به،وهما الصفا والمروة.

ثم الحج مع هذا مشتمل على أركان متى تركت لم يصح الحج،كالوقوف بعرفة.وعلى ترك محظور متى فعله فسد الحج،وهو الوطء،ومشتمل على واجبات:من فعل وترك،يأثم بتركها عمدا،ويجب مع تركها - لعذر او غيره - الجبران بدم،كالاحرام من المواقيت المكانية والجمع بين الليل والنهار بعرفة، وكرمي الجمار ونحو ذلك،وكترك اللباس المعتاد،والتطيب والصيد وغير ذلك.ومشتمل على مستحبات من فعل وترك يكمل الحج بها؛فلا يأثم بتركها،ولا يجب دم،مثل رفع الصوت بالاهلال والا كثار منه،وسوق الهدي وذكر الله،ودعائه في الطواف،والوقوف وغيرهما.وقلة الكلام إلا في أمر بمعروف،ونهي عن منكر،أو ذكر الله تعالى،فمن فعل الواجب،وترك المحظور،فقد أتم الحج والعمرة لله،وهو مقتصد من أصحاب اليمين فى هذا العمل.

لكن من أتى بالمستحب فهو أكمل منه وأتم منه حجا،وهو سابق مقرب، ومن ترك المأمور،وفعل المحظور،لكنه أتى بركنه،وترك مفسده فهو حاج حجا ناقصا،يثاب على ما فعله من الحج،ويعاقب على ما تركه،وقد سقط عنه اصل الفرض بذلك،مع عقوبته على ما تركه ومن أخل بركن الحج او فعل مفسده فحجه فاسد لا يسقط به فرض؛بل عليه اعادته،مع أنه قد يتنازع في إثابته على ما فعله،وإن لم يسقط به الفرض،والأشبه أنه يثاب عليه.

فصار «الحج ثلاثة أقسام» كاملا بالمستحبات،وتاما بالواجبات فقط، وناقصا عن الواجب.

والفقهاء يقسمون الوضوء والغسل الى كامل ومجزيء؛لكن يريدون بالكامل ما أتى بمفروضه ومسنونه،وبالمجزيء ما اقتصر على واجبه.فهذا فى «الأعمال المشروعة».وكذلك في «الأعيان المشهودة» فان الشجرة مثلا اسم لمجموع الجذع والورق والأغصان،وهي بعد ذهاب الورق شجرة،وبعد ذهاب الأغصان شجرة؛لكن كاملة وناقصة،فليفعل مثل ذلك في مسمى الايمان والدين،أن «الايمان ثلاث درجات»:إيمان السابقين المقربين.وهو ما أتى فيه بالواجبات والمستحبات:من فعل وترك.وإيمان المقتصدين أصحاب اليمين.وهو ما أتى فيه بالواجبات من فعل وترك.وإيمان الظالمين.وهو ما يترك فيه بعض الواجبات،او يفعل فيه بعض المحظورات.

ولهذا قال علماء السنة فى وصفهم «اعتقاد أهل السنة والجماعة»:انهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب،اشارة الى بدعة الخوارج المكفرة بمطلق الذنوب،فأما أصل الايمان الذي هو الاقرار بما جاءت به الرسل عن الله تصديقاً به وانقياداً له؛فهذا أصل الايمان الذي من لم يأت به فليس بمؤمن؛ولهذا تواتر

فى الأحاديث «أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان» «مثقال حبة من إيمان».وفي رواية الصحيح أيضاً «مثقال حبة من خير» «مثقال ذرة من خير»[1]وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة «الايمان بضع وستون ـ أو بضعة وستون،أو بضع وسبعون شعبة ـ أعلاها قول لا إله الا الله،وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،والحياء شعبة من الايمان»[2]فعلم ان الايمان يقبل التبعيض والتجزئة،وان قليله يخرج الله به من النار من دخلها،ليس هو كما يقوله الخارجون عن مقالة أهل السنة:انه لا يقبل التبعيض والتجزئة؛بل هو شيء واحد:اما ان يحصل كله،أو لا يحصل منه شيء.

ومما يتصل به أن يعرف ان الايمان هو من الأسماء الكتابية،القرآنية، النبوية،والدينية،الشرعية؛فيتنوع مسماها قدراً ووصفاً بتنوع الكتب الالهية؛فمنه ما هو متفق عليه بين جميع المؤمنين،من الأولين والآخرين، وجميع الكتب الالهية:مثل الاقرار بالله،واليوم الآخر،وعبادة الله وحده لا شريك له،والصدق والعدل.واعلم ان عامة السور المكية التي أنزلها الله بمكة هي فى هذا الايمان العام المشترك بين الأنبياء جميعهم،والمؤمنين جميعهم.وهذا القدر المشترك هو فى بعض الملل أعظم قدراً ووصفاً،فان ما

---

١ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ٧٥٠٩ حدثنا أحمد بن عبد الله حدثنا أبو بكر إبن عباس عن حميد قال:سمعت أنساً رضى الله عنه قال:سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول:وذكره.وأخرجه الامام مسلم فى الايمان ١٤٧ ـ ١٤٩ والترمذى فى الفتن ١٧ وابن ماجه فى المقدمة ٩ والزهد ١٦ واحمد بن حنبل فى المسند ١:٢٨٢ ، ٢٩٦ ، ٣٩٩ (حلبى)

٢ ـ الحديث أخرجه ابن ماجة فى المقدمة ٩ باب فى الايمان ٥٧ عن سهيل ابن صالح عن عبد الله إبن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكره،وأبو داود فى كتاب السنة ١٤ والنسائى فى الايمان ١٦

جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من أسماء الله وصفاته،ووصف اليوم الآخر اكمل مما جاء به سائر الأنبياء.

ومنه ما تختلف فيه الشرائع والمناهج،كالقبلة والمنسك،ومقادير العبادات، وأوقاتها وصفاتها،والسنن والأحكام وغير ذلك،فمسمى الايمان والدين فى أول الاسلام ليس هو مسماه في آخر زمان النبوة؛بل مسماه فى الآخر اكمل، كما قال تعالى:(اليوم أكملت لكم دينكم)[1]وقال في السورة:(ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله)؛[2]ولهذا قال الامام أحمد كان بدء الايمان فى أول الاسلام ناقصاً فجعل يتم،وهكذا مسمى الايمان والدين،قد شرع فى حق الأشخاص بحسب ما أمر الله به كلا منهم،وبحسب ما فعله مما أمر الله به.

ولهذا كان المؤمنون من الأولين والآخرين؛من الذين هادوا،والنصارى، والصابئين،والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم،مشتركين فى الايمان بالله،واليوم الآخر،والعمل الصالح،كما دل عليه القرآن.

مع أن اليهود كان يجب عليهم الاقرار بما لا يجب علينا الاقرار به؛مثل إقرارهم بواجبات التوراة،وبمحرماتها،مثل السبت،وشحم الثرب والكليتين.ولا يجب عليهم التصديق المفصل بما لم ينزل عليهم من أسماء الله وصفاته، وصفات اليوم الآخر.ونحن يجب علينا من الايمان بذلك ما لم يجب عليهم، ويجب علينا من الاقرار بالصلوات الخمس،والزكاة المفروضة،وحج البيت،وغير ذلك مما هو داخل فى إيماننا وليس داخلا فى إيمانهم؛فان الاقرار بهذه الأشياء داخل فى الايمان باتفاق الأمة.وكذلك الاقرار بأعيان الأنبياء كان الاقرار

---

١ - سورة المائدة آية رقم ٣

٢ - سورة المائدة آية رقم ٥

بأعيانهم داخلا فى إيمان من قبلنا ،ونحن إنما يدخل فى إيماننا الاقرار بهم من حيث الجملة.

والمنازعون لأهل السنة هم من يقول:الايمان فى الشرع مبقى على ما كان عليه فى اللغة،وهو التصديق.ومنهم من يقول:هو منقول الى معنى آخر. وهو أداء الواجبات.

وأما أهل السنة فقد يقول بعضهم:هو منقول كالأسماء الشرعية:من الصلاة،والزكاة.وقد يقول بعضهم:بل هو متروك على ما كان وزادت عليه الشريعة أشياء.ومنهم من يقول:بل هو باق على أصله من التصديق مع دخول الأعمال فيه،فان الأعمال داخلة فى التصديق،فالمؤمن يصدق قوله بعمله،كما قال الحسن البصري:ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي؛ولكن ما وقر فى القلب،وصدقه العمل.ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم:«والفرج يصدق ذلك أو يكذبه».[1]ومنهم من يقول:ليس الايمان فى اللغة هو التصديق؛بل هو الاقرار،وهو فى الشرع الاقرار أيضاً،والاقرار يتناول القول والعمل.

وليس هذا موضع بسط ذلك،فقد بسطته في غير هذا الموضع.

وإذا عرف مسمى الايمان،فعند ذكر استحقاق الجنة والنجاة من النار،وذم من ترك بعضه ونحو ذلك ـ يراد به الايمان الواجب،كقوله:(إنما المؤمنون

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب القدر ٢٠ (٢٦٥٧) حدثنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال:ما رأيت شيئاً أشبه باللحم قال أبو هريرة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره.

واخرجه البخارى فى كتاب القدر ٩ واحمد بن حنبل فى المسند ٢:٢٧٦ ١٣٧(حلبى)

الذين آمنوا بالله ورسوله،ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله،أولئك هم الصادقون)[1]وقوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم،وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً)[2]الآية.وقوله:(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله،وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه)[3].وقوله فى الجنة:(أعدت للذين آمنوا بالله ورسله).[4]

وقوله صلى الله عليه وسلم «لا يزني الزانى حين يزنى وهو مؤمن،ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن،ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[5] فنفى عنه الايمان الواجب الذي يستحق به الجنة،ولا يستلزم ذلك نفي أصل الايمان،وسائر أجزائه وشعبه.وهذا معنى قولهم:نفي كمال الاعمال لا حقيقته، أي الكمال الواجب،ليس هو الكمال المستحب،المذكور فى قول الفقهاء:الغسل كامل ومجزىء.

ومن هذا الباب:قوله صلى الله عليه وسلم:«من غشنا فليس منا»[6]ليس المراد به أنه كافر.كما تأولته الخوارج،ولا أنه ليس من خيارنا.كما تأولته المرجئة؛ولكن المضمر يطابق المظهر،والمظهر هو المؤمنون المستحقون للثواب، السالمون من العذاب،والغاش ليس منا لأنه متعرض لسخط الله وعذابه.

---

١ ـ سورة الحجرات آية رقم ١٥ — ٢ ـ سورة الأنفال آية رقم ٢

٣ ـ سورة النور آية رقم ٦٢ — ٤ ـ سورة الحديد آية رقم ٢١

٥ ـ الحديث أخرجه ابن ماجة فى كتاب الفتن ٣٩٣٦ ـ عن عقيل عن ابن شهاب عن أبى بكر إبن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أبى هريرة أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره.

٦ ـ أخرجه الامام مسلم فى كتاب الايمان ١٦٤ وكتاب البيوع ٥٠ والترمذى فى البيوع ٧٢ وابن ماجة فى التجارات ٣٦ واحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٥٠، ٢٤٢ (حلبى)

وإذا تبين هذا فمن ترك بعض الايمان الواجب لعجزه عنه،إما لعدم تمكنه من العلم:مثل أن لا تبلغه الرسالة،أو لعدم تمكنه من العمل،لم يكن مأموراً بما يعجز عنه،ولم يكن ذلك من الايمان والدين الواجب فى حقه،وإن كان من الدين والايمان الواجب فى الأصل؛بمنزلة صلاة المريض،والخائف والمستحاضة وسائر اهل الاعذار الذين يعجزون عن إتمام الصلاة،فان صلاتهم صحيحة بحسب ما قدروا عليه،وبه أمروا إذ ذاك،وإن كانت صلاة القادر على الاتمام أكمل وأفضل،كما قال النبى صلى الله عليه وسلم:«المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير»[1]رواه مسلم عن أبى هريرة فى حديث حسن السياق.وقوله:«صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم، وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد»[2]ولو أمكنه العلم به دون العمل لوجب الايمان به،علماً واعتقاداً دون العمل.

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب القدر ٣٤ (٢٦٦٤) عن ربيعة بن عثمان عن محمد إبن يحيى بن حنان عن الأعرج عن أبى هريرة ـ قال:قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكره.وأخرجه ابن ماجة فى المقدمة.١ والزهد ١٤

٢ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى ٦ كتاب صلاة المسافرين ١٦ باب جواز النافلة قائماً وقاعداً حديث ١٢ والنسائى فى ٢٠ كتاب قيام الليل وتطوع النهار ٢٠ باب فضل صلاة القائم على القاعد،وابن ماجة فى ٥ كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها ١٤١ باب الصلاة القاعدة على النصف من صلاة القائم وصاحب الموطأ فى كتاب صلاة الجماعة ١٩ بسنده عن عمرو بن العاص أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره.

فصــل

أراء الفرق فى مرتكب الكبيرة

فهذا أصل مختصر في «مسألة الاسماء»، وأما «مسألة الاحكام» وحكمه في الدار الآخرة فالذي عليه الصحابة ومن اتبعهم باحسان،وسائر أهل السنة والجماعة.أنه لا يخلد فى النار من معه شيء من الايمان؛بل يخرج منها من معه مثقال حبة،أو مثقال ذرة من إيمان.

وأما «الخوارج» ومن وافقهم من المعتزلة فيوجبون خلود من دخل النار،وعندهم من دخلها خلد فيها،ولا يجتمع فى حق الشخص الواحد العذاب والثواب،وأهل السنة والجماعة،وسائر من اتبعهم متفقون على اجتماع الأمرين فى حق خلق كثير.كما جاءت به السنن المتواترة عن النبى صلى الله عليه وسلم.

و«أيضاً»:فأهل السنة والجماعة لا يوجبون العذاب فى حق كل من أتى كبيرة،ولا يشهدون لمسلم بعينه بالنار لأجل كبيرة واحدة عملها؛بل يجوز عندهم أن صاحب الكبيرة يدخله الله الجنه بلا عذاب إما لحسنات تمحو كبيرته منه أو من غيره وإما لمصائب كفرتها عنه واما لدعاء مستجاب منه أو من غيره فيه،وإما لغير ذلك.

و «الوعيدية» من الخوارج والمعتزلة:يوجبون العذاب فى حق اهل الكبائر؛لشمول نصوص الوعيد لهم.مثل قوله:(ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراًوسيصلون سعيراً)،[1]وتجعل المعتزلة إنفاذ الوعيد أحد «الأصول الخمسة» التى يكفرون من خالفها،

---

١ ـ سورة النساء آية رقم ١٠

ويخالفون أهل السنة والجماعة فى وجوب نفوذ الوعيد فيهم،وفى تخليدهم؛ ولهذا منعت الخوارج والمعتزلة أن يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم شفاعة فى أهل الكبائر فى اخراج أهل الكبائر من النار.وهذا مردود بما تواتر عنه من السنن فى ذلك،كقوله صلى الله عليه وسلم:«شفاعتى لأهل الكبائر من امتى»[1]وأحاديثه فى إخراجه من النار من قد دخلها.

وليس الغرض هنا تحرير هذه الأصول،وإنما الغرض التنبيه عليها،وكان ما أوقعهم في ذلك أنهم سمعوا نصوص الوعيد فرأوها عامة،فقالوا:يجب أن يدخل فيها كل من شملته،وهو خبر،وخبر الله صدق،فلو أخلف وعيده كان كاخلاف وعده،والكذب على الله محال،فعارضهم غالية المرجئة بنصوص الوعد،فانها قد تتناول كثيراً من أهل الكبائر،فعاد كل فريق الى اصله الفاسد.

فقال الأولون:نصوص الوعد لا تتناول الا مؤمنا،وهؤلاء ليسوا مؤمنين. وقال الآخرون:نصوص الوعيد لا تتناول الا كافراً،وكل من القولين خطأ.فان النصوص ـ مثل قوله:(ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما)[2]ـ لم يشترط فيها الكفر؛بل هى فى حق المتدين بالاسلام.وقوله:«من كلن آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»[3]لم يشترط فيه فعل الواجبات؛بل قد ثبت فى الصحاح«وان زنى،وان سرق،وان شرب الخمر».[4]

---

١ ـ الحديث أخرجه ابن ماجة فى كتاب الزهد ٤٣١٠ ـ ثنا زهير بن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يقول:وذكره وأحمد بن حنبل فى المسند ٣:٢١٣ (حلبى) والترمذى فى كتاب القيامة ١١

٢ ـ سورة النساء آية رقم ١٠ ٣ ـ سبق تخريج الحديث فى الجزء الأول من هذا الكتاب

٤ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب التوحيد ٧٤٨٧ ـ عن واصل عن المعرور قال:سمعت أبا ذر عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم قال:أتانى جبريل فبشرنى أنه من مات:وذكره.وأخرجه مسلم فى الحدود ٣١ ـ ٣٢ والترمذى فى الحدود ٨ وابن ماجة فى الحدود ١٤ وصاحب الموطأ ١٤

فهنا اضطرب الناس،فأنكر قوم من المرجئة العموم،وقالوا:ليس في اللغة عموم،وهم الواقفية في العموم من المرجئة،وبعض الأشعرية والشيعية،وانما التزموا ذلك لئلا يدخل جميع المؤمنين في نصوص الوعيد.

وقالت المقتصدة:بل العموم صحيح،والصيغ صيغ عموم؛لكن العام يقبل التخصيص؛وهذا مذهب جميع الخلائق،من الأولين والآخرين،الا هذه الشرذمة.قالوا:فمن عفى عنه كان مستثنى من العموم.وقال قوم آخرون:بل اخلاف الوعيد ليس بكذب،وان العرب لا تعد عاراً أو شناراً أن يوعد الرجل شراً ثم لا ينجزه،كما تعد عاراً أو شناراً ان يعد خيراً ثم لا ينجزه،وهذا قول طوائف من المتقدمين والمتأخرين،وقد احتجوا بقول كعب بن زهير[1] يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم:

نبئت أن رسول الله أوعدني

والعفو عند رسول الله مأمول

قالوا:فهذا وعيد خاص،وقد رجا فيه العفو،مخاطباً للنبي صلى الله عليه وسلم؛فعلم ان العفو عن المتوعد جائز،وان لم يكن من باب تخصيص العام.

والتحقيق أن يقال:الكتاب والسنة مشتمل على نصوص الوعد والوعيد، كما ذلك مشتمل على نصوص الأمر والنهي،وكل من النصوص يفسر الآخر ويبينه،فكما أن نصوص الوعد على الأعمال الصالحة مشروطة بعدم الكفر

---

١ - كعب بن زهير المزني شاعر مخضرم.أبوه زهير بن أبي سلمى.رائد مدرسة الصنعة في الشعر الجاهلي.أسلم أخوه بجير سنة ٧هـ فلامه.وهجا الرسول فأهدر دمه.فجاء مستأمناً بعد فتح الطائف،فأمنه الرسول، فمدحه ومدح المهاجرين بقصيدتة اللامية المعروفة باسم بانت سعاد أوالبردة لأن النبي أعجب بها فوهبه بردته.والبيت من تلك القصيدة التي مطلعها:==

المحبط؛لأن القرآن قد دل على أن من ارتد فقد حبط عمله،فكذلك نصوص الوعيد للكفار والفساق مشروطة بعدم التوبة؛لأن القرآن قد دل على أن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب،وهذا متفق عليه بين المسلمين،فكذلك فى موارد النزاع.

فان الله قد بين بنصوص معروفة ان الحسنات يذهبن السيئات،وان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره،ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره،وانه يجيب دعوة الداعى إذا دعاه،وان مصائب الدنيا تكفر الذنوب،وانه يقبل شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم في أهل الكبائر،وانه لا يغفر أن يشرك به،ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء،كما بين ان الصدقة يبطلها المن والأذى،وان الربا يبطل العمل،وانه إنما يتقبل الله من المتقين؛أي فى ذلك العمل ونحو ذلك.

فجعل للسيئات ما يوجب رفع عقابها،كما جعل للحسنات ما قد يبطل ثوابها،لكن ليس شيء يبطل جميع السيئات إلا التوبة،كما انه ليس شيء يبطل جميع الحسنات الا الردة.

وبهذا تبين انا نشهد بأن (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً؛إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً)[1]على الاطلاق والعموم،ولا نشهد لمعين أنه فى النار؛لأنا لا نعلم لحوق الوعيد له بعينه؛لأن لحوق الوعيد بالمعين مشروط بشروط وانتفاء موانع،ونحن لا نعلم ثبوت الشروط وانتفاء الموانع فى حقه،وفائدة الوعيد بيان أن هذا الذنب سبب مقتض لهذا العذاب، والسبب قد يقف تأثيره على وجود شرطه،وانتفاء مانعه.

= بانت سعاد فقلبى اليوم متبول   متيم اثرها لم يفد مكبول.وقد جاء البيت محرفاً فى المطبوعة حيث قال: والعفو عند الله مأمول

١ ـ سورة النساء آية رقم ١٠

يبين هذا: انه قد ثبت: «أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وحاملها، والمحمولة إليه، وشاربها وساقيها، وبائعها، ومبتاعها، وآكل ثمنها».[1] وثبت عنه فى صحيح البخاري عن عمر أن رجلا كان يكثر شرب الخمر، فلعنه رجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «لا تلعنه؛ فانه يحب الله ورسوله» فنهى عن لعن هذا المعين، وهو مدمن خمر؛ لأنه يحب الله ورسوله، وقد لعن شارب الخمر على العموم.

فصل

فى تكفير بعض الفرق التى تخالف نصوص الشرع

إذا ظهرت هذه المقدمات فى اسم المؤمن والكافر، والفاسق الملي وفى حكم الوعد والوعيد، والفرق بين المطلق والمعين، وما وقع فى ذلك من الاضطراب، فى «مسألة أن تكفير أهل البدع والأهواء» متفرعة على هذا الأصل.

ونحن نبدأ بمذهب أئمة السنة فيها قبل التنبيه على الحجة. فنقول:

المشهور من مذهب الامام أحمد، وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن؛ فان قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع، ففيه جحود الرب، وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله؛ ولهذا قال عبد الله بن المبارك: انا لنحكى كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية، وقال غير واحد من

---

١ ـ الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الأشربه ٣٦٧٤ عن عبد العزيز بن عمر، عن أبى علقمة مولاهم وعبد الرحمن بن عبد الله الغافقى أنهما سمعا ابن عمر يقول قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكره، واخرجه أحمد بن حنبل فى المسند ١:٣١٦، ٢:٩٧ (حلبى)

الأئمة انهم اكفر من اليهود والنصارى،يعنون من هذه الجهة،ولهذا كفروا من يقول:ان القرآن مخلوق،وان الله لا يرى فى الآخرة،وان الله ليس على العرش، وان الله ليس له علم،ولا قدرة ولا رحمة،ولا غضب،ونحو ذلك من صفاته.

واما «المرجئة»:فلا تختلف نصوصه انه لا يكفرهم؛فان بدعتهم من جنس اختلاف الفقهاء فى الفروع،وكثير من كلامهم يعود النزاع فيه الى نزاع في الألفاظ والأسماء؛ولهذا يسمى الكلام فى مسائلهم «باب الأسماء» وهذا من نزاع الفقهاء،لكن يتعلق بأصل الدين؛فكان المنازع فيه مبتدعاً.

وكذلك «الشيعة» المفضلون لعلي على أبي بكر،لا يختلف قوله انهم لا يكفرون؛فان ذلك قول طائفة من الفقهاء أيضاً،وإن كانوا يبدعون.

وأما «القدرية» المقرون بالعلم،و «الروافض» الذين ليسوا من الغالية، والجهمية،والخوارج:فيذكر عنه في تكفيرهم روايتان هذا حقيقة قوله المطلق،مع أن الغالب عليه التوقف عن تكفير القدرية المقرين بالعلم، والخوارج،مع قوله:ما أعلم قوماً شراً من الخوارج.

ثم طائفة من أصحابه يحكون عنه في تكفير أهل البدع مطلقاً روايتين، حتى يجعلوا المرجئة داخلين فى ذلك،وليس الأمر كذلك وعنه فى تكفير من لا يكفّر روايتان،أصحهما لا يكفر،وربما جعل بعضهم الخلاف فى تكفير من لا يكفّر مطلقاً،وهو خطأ محض.والجهمية ـ عند كثير من السلف:مثل عبد الله بن المبارك،ويوسف بن أسباط،[1]وطائفة من أصحاب الامام أحمد وغيرهم ـ ليسوا من الثنتين والسبعين فرقة،التى افترقت عليها هذه الأمة؛

---

١ ـ لم نعثر على ترجمة له على كثرة البحث والتقصى،والله أعلم.

بل أصول هذه عند هؤلاء:هم الخوارج والشيعة،والمرجئة والقدرية،وهذا المأثور عن أحمد،وهو المأثور عن عامة أئمة السنة،والحديث انهم كانوا يقولون:من قال:القرآن مخلوق فهو كافر،ومن قال:ان الله لا يرى فى الآخرة فهو كافر، ونحو ذلك.

ثم حكى أبو نصر السجزي عنهم فى هذا قولين: «أحدهما» أنه كفر ينقل عن الملة.قال:وهو قول الاكثرين.و «الثاني» انه كفر لا ينقل.ولذلك قال الخطابي:ان هذا قالوه على سبيل التغليظ،وكذلك تنازع المتأخرون من أصحابنا فى تخليد المكفر من هؤلاء؛فأطلق أكثرهم عليه التخليد،كما نقل ذلك عن طائفة من متقدمي علماء الحديث؛كأبي حاتم،وأبي زرعة وغيرهم، وامتنع بعضهم من القول بالتخليد.

وسبب هذا التنازع تعارض الأدلة،فانهم يرون أدلة توجب إلحاق أحكام الكفر بهم،ثم انهم يرون من الأعيان،الذين قالوا تلك المقالات من قام به من الايمان ما يمتنع ان يكون كافراً،فيتعارض عندهم الدليلان،وحقيقة الأمر انهم أصابهم في ألفاظ العموم فى كلام الأئمة ما أصاب الأولين فى ألفاظ العموم فى نصوص الشارع،كلما رأوهم قالوا:من قال كذا فهو كافر،اعتقد المستمع ان هذا اللفظ شامل لكل من قاله،ولم يتدبروا ان التكفير له شروط وموانع قد تنتفي في حق المعين،وان التكفير المطلق لا يستلزم تكفير المعين،إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع،يبين هذا أن الامام أحمد وعامة الأئمة:الذين أطلقوا هذه العمومات،لم يكفروا أكثر من تكلم بهذا الكلام بعينه.

فان الامام أحمد ـ مثلا ـ قد باشر «الجهمية» الذين دعوه الى خلق القرآن،ونفى الصفات،وامتحنوه وسائر علماء وقته،وفتنوا المؤمنين والمؤمنات

الذين لم يوافقوهم على التجهم بالضرب والحبس،والقتل والعزل عن الولايات،وقطع الأرزاق،ورد الشهادة،وترك تخليصهم من أيدي العدو،بحيث كان كثير من أولي الأمر إذا ذاك من الجهمية من الولاة والقضاة وغيرهم: يكفرون كل من لم يكن جهمياً موافقاً لهم على نفي الصفات،مثل القول بخلق القرآن،ويحكمون فيه بحكمهم في الكافر،فلا يولونه ولاية،ولا يفتكونه من عدو،ولا يعطونه شيئاً من بيت المال،ولا يقبلون له شهادة،ولا فتيا،ولا رواية ويمتحنون الناس عند الولاية والشهادة،والافتكاك من الأسر وغير ذلك.فمن أقر بخلق القرآن حكموا له بالايمان،ومن لم يقر به لم يحكموا له بحكم أهل الايمان،ومن كان داعياً الى غير التجهم قتلوه أو ضربوه وحبسوه.

ومعلوم ان هذا من أغلظ التجهم،فان الدعاء إلى المقالة أعظم من قولها، وإثابة قائلها وعقوبة تاركها أعظم من مجرد الدعاء إليها،والعقوبة بالقتل لقائلها أعظم من العقوبة بالضرب.

ثم إن الامام أحمد دعا للخليفة وغيره.ممن ضربه وحبسه،واستغفر لهم، وحللهم مما فعلوه به من الظلم والدعاء إلى القول الذي هو كفر،ولو كانوا مرتدين عن الاسلام لم يجز الاستغفار لهم؛فان الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنة والاجماع،وهذه الأقوال والأعمال منه ومن غيره من الأئمة في أنهم لم يكفروا المعينين من الجهمية،الذين كانوا يقولون:القرآن مخلوق،وان الله لا يرى في الآخرة،وقد نقل عن أحمد ما يدل على أنه كفر به قوماً معينين فأما أن يذكر عنه في المسألة روايتان ففيه نظر،أو يحمل الأمر على التفصيل.فيقال:من كفر بعينه؛فليقام الدليل على أنه وجدت فيه

شروط التكفير،وانتفت موانعه،ومن لم يكفره بعينه؛فلإنتفاء ذلك في حقه، هذا مع اطلاق قوله بالتكفير على سبيل العموم.

والدليل على هذا الأصل:الكتاب،والسنة،والاجماع،والاعتبار.

اما الكتاب:فقوله سبحانه وتعالى:(وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به)[1]وقوله تعالى:(ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو اخطأنا).[2]

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم «ان الله تعالى قال:قد فعلت» لما دعا النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بهذا الدعاء.وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال:«أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش» و «انه لم يقرأ بحرف منها الا أعطيه».[3]

وإذا ثبت بالكتاب المفسر بالسنة ان الله قد غفر لهذه الأمة الخطأ والنسيان فهذا عام عموما محفوظاً،وليس فى الدلالة الشرعية ما يوجب ان الله يعذب من هذه الأمة مخطئاً على خطئه،وان عذب المخطيء من غير هذه الأمة.

---

١ ـ سورة الأحزاب آية رقم ٥ وقد جاءت الآية محرفة فى المطبوعة حيث قال (ولا جناح عليكم فيما اخطأتم به) وصوابها (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به)

٢ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٨٦

٣ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب الايمان ٢٧٩ والمسافرين ٢٥٣ والترمذى فى تفسير سورة ٥٣ ـ ١ والنسائى فى الافتتاح ٢٥ بسنده عن عمار بن رزيق عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما.قال:بينما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم.وعنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبريل عليه السلام بصره الى السماء فقال:هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك:وذكره

و «أيضاً» قد ثبت فى الصحيح من حديث أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم،قال: «إن رجلا لم يعمل خيراً قط فقال لأهله:إذا مات فأحرقوه،ثم اذروا نصفه في البر،ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذابا لايعذبه احداً من العالمين،فلما مات الرجل فعلوا به كما أمرهم،فأمر الله البر فجمع ما فيه،وأمر البحر فجمع ما فيه،فاذا هو قائم بين يديه.ثم قال:لم فعلت هذا؟قال من خشيتك يارب وأنت أعلم؛فغفر الله له». [1]

وهذا الحديث متواتر عن النبى صلى الله عليه وسلم،رواه أصحاب الحديث والأسانيد من حديث أبى سعد،وحذيفة وعقبة بن عمرو،وغيرهم عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة،يعلم أهل الحديث انها تفيدهم العلم اليقيني،وإن لم يحصل ذلك لغيرهم ممن لم يشركهم فى أسباب العلم. فهذا الرجل كان قد وقع له الشك والجهل فى قدرة الله تعالى على إعادة ابن آدم،بعد ما أحرق وذري،وعلى أنه يعيد الميت ويحشره إذا فعل به ذلك، وهذان أصلان عظيمان:

« «أحدهما» متعلق بالله تعالى،وهو الايمان بأنه على كل شيء قدير.

و «الثاني» متعلق باليوم الآخر.وهو الايمان بأن الله يعيد هذا الميت،ويجزيه على أعماله،ومع هذا فلما كان مؤمناً بالله في الجملة،ومؤمناً باليوم الآخر فى الجملة،وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت،وقد عمل عملا صالحاً ـ وهو خوفه من الله أن يعاقبه على ذنوبه ـ غفر الله له بما كان منه من الايمان بالله،واليوم الآخر والعمل الصالح.

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب التوبة ٢٥ بسنده قال الزهرى أخبرنى حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره.

وأيضاً:فقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم «ان الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان»[1]

وفي رواية: «مثقال دينار من خير،ثم يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان» وفى رواية «من خير» ويخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان،أو خير» وهذا وأمثاله من النصوص المستفيضة عن النبى صلى الله عليه وسلم،يدل انه لا يخلد فى النار من معه شيء من الايمان والخير وإن كان قليلا،وان الايمان مما يتبعض ويتجزأ. ومعلوم قطعاً أن كثيراً من هؤلاء المخطئين معهم مقدار ما من الايمان بالله ورسوله،إذ الكلام فيمن يكون كذلك.

وايضاً فان السلف اخطأ كثير منهم فى كثير من هذه المسائل،واتفقوا على عدم التكفير بذلك،مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي،وأنكر بعضهم ان يكون المعراج يقظة،وأنكر بعضهم رؤية محمد ربه،ولبعضهم في الخلافة،والتفصيل كلام معروف،وكذلك لبعضهم فى قتال بعض،ولعن بعض،وإطلاق تكفير بعض،أقوال معروفة.

وكان القاضي شريح[2]ينكر قراءة من قرأ:(بل عجبتُ) ويقول:إن الله لا

---

١ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الايمان ١٥ والرقاق ٣٥ والتوحيد ٢٤ . ٣٦ ومسلم فى الايمان ١٤٧ ـ ١٤٩ والترمذى فى الفتن ١٧ وابن ماجه فى الفتن ٩ والزهد ١٦ واحمد بن حنبل فى المسند ١:٢٨٢ . ٢٩٦ . ٣٩٩ (حلبى)

٢ ـ هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندى أبو أمية من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الاسلام أصله من اليمن ولى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية واستعفى فى أيام الحجاج فأعفاه سنة ٧٧ هـ وكان ثقة فى الحديث مأموناً فى القضاء له باع فى الأدب والشعر عمر طويلاً مات بالكوفة عام ٧٨ هـ راجع طبقات ابن سعد ٦:٩٠ ـ ١٠٠ ووفيات الأعيان ١:٢٢٤

يعجب؛فبلغ ذلك إبراهيم النخعي[1]فقال:إنما شريح شاعر يعجبه علمه.كان عبد الله أفقه منه،فكان يقول:(بل عجبت) فهذا قد أنكر قراءة ثابتة،وأنكر صفة دل عليها الكتاب والسنة،واتفقت الأمة على انه إمام من الأئمة،وكذلك بعض السلف أنكر بعضهم حروف القرآن،مثل إنكار بعضهم قوله:(أفلم ييأس الذين آمنوا)[2]وقال:انما هي:أو لم يتبين الذين آمنوا،وإنكار الآخر قراءة قوله:(وقضى ربك الا تعبدوا إلا إياه)[3]وقال:إنما هي:ووصى ربك. وبعضهم كان حذف المعوذتين،وآخر يكتب سورة القنوت.وهذا خطأ معلوم بالاجماع والنقل المتواتر،ومع هذا فلما لم يكن قد تواتر النقل عندهم بذلك لم يكفروا،وإن كان يكفر بذلك من قامت عليه الحجة بالنقل المتواتر.

وأيضاً فان الكتاب والسنة قد دل على ان الله لا يعذب أحداً،إلا بعد إبلاغ الرسالة،فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً،ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه الا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية.

وذلك مثل قوله تعالى:(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)[4] وقوله:(يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم أياتي)[5]

---

١ ـ هو ابراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود أبو عمران التمعي من مذحج من أكابرالتابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث من أهل الكوفة مات مختفياً من الحجاج عام ٩٦ هـ قال فيه الصلاح الصفدى فقيه العراق،كان اماماً مجتهداً له مذهب ولما بلغ الشعبى موته قال:والله ما ترك بعد مثله. راجع طبقات ابن سعد ٦:١٨٨ ـ ١٩٩ وتهذيب التهذيب والحلية ٤:٢١٩

٢ ـ سورة الرعد آية رقم ٣١

٣ ـ سورة الاسراء آية رقم ٢٣

٤ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٥

٥ ـ سورة الأنعام آية رقم ١٣٠

الآية.وقوله:(أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير)[1] وقوله:(وقال لهم خزنتها:ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم؟)[2]الآية.وقوله:(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[3]وقوله:(وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلو عليهم آياتنا)[4] وقوله:(كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير؟ قالوا: بلى!قد جاءنا نذير،فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء)[5]وقوله:(ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا:ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى)[6]وقوله:(ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم،فيقولوا: ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين)[7]ونحو هذا فى القرآن فى مواضع متعددة.

فمن كان قد آمن بالله ورسوله،ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول،فلم يؤمن به تفصيلا؛اما انه لم يسمعه.أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها،أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به.فهذا قد جعل فيه من الايمان بالله وبرسوله ما يوجب ان يثيبه الله عليه،وما لم يؤمن به فلم تقم عليه به الحجة التى يكفر مخالفها.

وأيضاً فقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ان من الخطأ فى الدين مالا يكفر مخالفه؛بل ولا يفسق؛بل ولا يأثم؛مثل الخطأ فى الفروع العملية؛وإن

---

١ ـ سورة فاطر آية رقم ٣٧
٢ ـ سورة الزمر آية رقم ٧١
٣ ـ سورة الاسراء آية رقم ١٥
٤ ـ سورة القصص آية رقم ٥٩
٥ ـ سورة الملك آية رقم ٨
٦ ـ سورة طه آية رقم ١٣٤
٧ ـ سورة القصص آية رقم ٤٧

كان بعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد ان المخطىء فيها آثم،وبعض المتكلمة والمتفقهة يعتقد ان كل مجتهد فيها مصيب،فهذان القولان شاذان،ومع ذلك فلم يقل أحد بتكفير المجتهدين المتنازعين فيها،ومع ذلك فبعض هذه المسائل قد ثبت خطأ المنازع فيها بالنصوص والاجماع القديم،مثل استحلال بعض السلف والخلف لبعض أنواع الربا،واستحلال آخرين لبعض أنواع الخمر، واستحلال آخرين للقتال في الفتنة.

وأهل السنة والجماعة متفقون على أن المعروفين بالخير،كالصحابة المعروفين،وغيرهم من أهل الجمل وصفين من الجانبين،لا يفسق أحد منهم،فضلا عن أن يكفر،حتى عدى ذلك من عداه من الفقهاء الى سائر أهل البغي،فانهم مع إيجابهم لقتالهم منعوا أن يحكم بفسقهم لأجل التأويل،كما يقول هؤلاء الأئمة:إن شارب النبيذ المتنازع فيه متأولا لا يجلد ولا يفسق. وقد قال تعالى: (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث،إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين،ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً)[1] وقال تعالى: (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله).[2]

وثبت فى الصحاح من حديث عمرو بن العاص وأبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله اجران،وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر».[3] وثبت فى الصحيح عن بريدة ابن الحصيب ان النبى

---

١ ـ سورة الأنبياء آية رقم ٧٨ ٢ ـ سورة الحشر آية رقم ٥

٣ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام ٧٣٥٢ عن محمد بن ابراهيم بن الحارث عن يسر بن سعيد عن أبى قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم يقول:وذكره وأخرجه مسلم فى الأقضية ١٥ وأبو داود فى الأقضية ٢ والنسائى فى الأحكام ٣ والقضاة ٣ وابن ماجة فى الأحكام ٣ واحمد بن حنبل فى المسند ٤:١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥ (حلبى)

صلى الله عليه وسلم قال: «إذا حاصرت أهل حصن فسألوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك، فانك لا تدري ما حكم الله فيهم»[1] وأدلة هذا الاصل كثيرة لها موضع آخر.

وقد ثبت بالكتاب والسنة والاجماع أن من بلغته رسالة النبى صلى الله عليه وسلم فلم يؤمن به فهو كافر، لا يقبل منه الاعتذار بالاجتهاد، لظهور أدلة الرسالة، واعلام النبوة؛ ولأن العذر بالخطأ حكم شرعي، فكما ان الذنوب تنقسم الى كبائر وصغائر، والواجبات تنقسم إلى اركان وواجبات ليست أركاناً: فكذلك الخطأ ينقسم إلى مغفور وغير مغفور، والنصوص إنما أوجبت رفع المؤاخذة بالخطأ لهذه الأمة، وإذا كان كذلك فالمخطىء فى بعض هذه المسائل: اما ان يلحق بالكفار، من المشركين وأهل الكتاب مع مباينته لهم فى عامة اصول الايمان. وإما ان يلحق بالمخطئين فى مسائل الايجاب والتحريم، مع أنها ايضا من أصول الايمان.

فان الايمان يوجب الواجبات الظاهرة المتواترة، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة: هو من أعظم أصول الايمان، وقواعد الدين والجاحد لها كافر بالاتفاق، مع ان المجتهد فى بعضها ليس بكافر بالاتفاق مع خطئه.

وإذا كان لابد من الحاقه بأحد الصنفين: فمعلوم ان المخطئين من المؤمنين بالله ورسوله، أشد شبها منه بالمشركين وأهل الكتاب، فوجب ان يلحق بهم،

---

١ ـ هذا جزء من حديث طويل أخرجه الامام مسلم فى كتاب الجهاد ٣ (١٧٣١) بسنده عن علقمة بن مرثد، عن سليمان بن بريده، عن أبيه قال: كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه ثم قال: وذكره وأخرجه أبو داود فى الجهاد ٨٢ والترمذى فى السير ٤٧ وابن ماجة فى الجهاد ٣٨ والدارمى فى السير ٨ واحمد بن حنبل فى المسند ٥:٣٥٨ (حلبى)

وعلى هذا مضى عمل الأمة قديماً وحديثاً،في ان عامة المخطئين من هؤلاء تجري عليهم احكام الاسلام التى تجري على غيرهم،هذا مع العلم بأن كثيراً من المبتدعة منافقون النفاق الاكبر،وأولئك كفار فى الدرك الأسفل من النار،فما اكثر ما يوجد في الرافضة والجهمية ونحوهم زنادقة منافقون،بل اصل هذه البدع هو من المنافقين الزنادقة،ممن يكون اصل زندقته عن الصابئين والمشركين،فهؤلاء كفار فى الباطن،ومن علم حاله فهو كافر فى الظاهر ايضاً.

وأصل ضلال هؤلاء الاعراض عما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة، وابتغاء الهدى في خلاف ذلك،فمن كان هذا أصله فهو بعد بلاغ الرسالة كافر لا ريب فيه،مثل من يرى ان الرسالة للعامة دون الخاصة،كما يقوله قوم من المتفلسفة،وغالبة المتكلمة والمتصوفة،أو يرى أنه رسول الى بعض الناس دون بعض،كما يقوله كثير من اليهود والنصارى.

فهذا الكلام يمهد أصلين عظيمين:

«احدهما» ان العلم والايمان والهدى فيما جاء به الرسول،وان خلاف ذلك كفر على الاطلاق،فنفي الصفات كفر،والتكذيب بأن الله يرى فى الآخرة،أو أنه على العرش،أو أن القرآن كلامه،أو أنه كلم موسى،أو أنه اتخذ ابراهيم خليلا كفر،وكذلك ما كان في معنى ذلك،وهذا معنى كلام أئمة السنة وأهل الحديث.

و «الأصل الثانى» ان التكفير العام ـ كالوعيد العام ـ يجب القول باطلاقه وعمومه.

واما الحكم على المعين بأنه كافر،أو مشهود له بالنار:فهذا يقف على الدليل المعين،فان الحكم يقف على ثبوت شروطه،وانتفاء موانعه.

ومما ينبغي ان يعلم فى هذا الموضع ان الشريعة قد تأمرنا باقامة الحد على شخص في الدنيا؛إما بقتل أو جلد أو غير ذلك،ويكون في الآخرة غير معذب،مثل قتال البغاة والمتأولين،مع بقائهم على العدالة،ومثل اقامة الحد على من تاب بعد القدرة عليه توبة صحيحة،فانا نقيم الحد عليه مع ذلك كما أقامه النبى صلى الله عليه وسلم على ماعز ابن مالك،وعلى الغامدية، مع قوله:«لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له»[1]ومثل اقامة الحد على من شرب النبيذ المتنازع فيه متأولا،مع العلم بأنه باق على العدالة.

بخلاف من لا تأويل له.فانه لما شرب الخمر بعض الصحابة واعتقدوا انها تحل للخاصة تأول قوله:(ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا،إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات،ثم اتقوا وآمنوا،ثم اتقوا وأحسنوا)[2]اتفق الصحابة مثل عمر بن الخطاب،وعلي بن أبى طالب وغيرهما،على انهم ان أقروا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على الاستحلال قتلوا.

وكذلك نعلم ان خلقاً لا يعاقبون فى الدنيا مع انهم كفار فى الآخرة،مثل أهل الذمة المقرين بالجزية على كفرهم.ومثل المنافقين المظهرين الاسلام،فانهم تجري عليهم أحكام الاسلام،وهم فى الآخرة كافرون،كما دل عليه القرآن فى آيات متعددة،كقوله:(ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار،ولن تجد لهم

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم ٢٣ بسنده حدثنا بشير بن المهاجر حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أن ماعز بن مالك الأسلمى أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فقال:يا رسول الله ـ وذكره. وأخرجه أبو داود فى كتاب الحدود ٢٤ والنسائى فى الجنائز ٦٤ والدرامى فى الحدود ١٧ واحمد بن حنبل فى المسند ٥:٢٤٨ (حلبى)

٢ ـ سورة المائدة آية رقم ٩٣

نصيراً)[1] الآية.وقوله:(يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم،قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً،فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب،ينادونهم ألم نكن معكم؟قالوا:بلى!ولكنكم فتنتم انفسكم،وتربصتم،وارتبتم،وغرتكم الأماني، حتى جاء أمر الله،وغركم بالله الغرور،فاليوم لا يؤخذ منكم فدية،ولا من الذين كفروا)[2] الآية.

وهذا لأن الجزاء فى الحقيقة انما هوفى الدار الآخرة،التى هي دار الثواب والعقاب.وأما الدنيا فانما يشرع فيها من العقاب ما يدفع به الظلم والعدوان، كما قال تعالى:(وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة،ويكون الدين كله لله،فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)[3] وقال تعالى:(انما السبيل على الذين يظلمون الناس،ويبغون في الأرض بغير الحق)[4] وهذا لأن المقصود بارسال الرسل،وإنزال الكتب،هو إقامة القسط،كما قال تعالى:(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات،وأنزلنا معهم الكتاب والميزان؛ليقوم الناس بالقسط،وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد،ومنافع للناس،وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب،ان الله قوي عزيز).[5]

وإذا كان الأمر كذلك فعقوبة الدنيا غير مستلزمة لعقوبة الآخرة،ولا بالعكس.ولهذا اكثر السلف يأمرون بقتل الداعي الى البدعة،الذي يضل الناس لأجل افساده فى الدين،سواء قالوا:هو كافر،أو ليس بكافر.

---

١ ـ سورة النساء آية رقم ١٤٥

٢ ـ سورة الحديد آية رقم ١٣ـ ١٥

٣ ـ سورة الأنفال آية رقم ٣٩

٤ ـ سورة الشورى آية رقم ٤٢

٥ ـ سورة الحديد آية رقم ٢٥

وإذا عرف هذا فتكفير «المعين» من هؤلاء الجهال وأمثالهم ـ بحيث يحكم عليه بأنه من الكفار ـ لا يجوز الاقدام عليه،الا بعد ان تقوم على أحدهم الحجة الرسالية،التى يتبين بها أنهم مخالفون للرسل،وان كانت هذه المقالة لاريب انها كفر.

وهكذا الكلام فى تكفير جميع «المعنيين» مع ان بعض هذه البدعة أشد من بعض،وبعض المبتدعة يكون فيه من الايمان ما ليس في بعض،فليس لأحد أن يكفر احداً من المسلمين،وان اخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة.

ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك؛بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة،وإزالة الشبهة.

وهذا الجواب لا يحتمل اكثر من هذا.والله المسؤول أن يوفقنا وسائر اخواننا لما يحبه ويرضاه،والله سبحانه أعلم.

وسئل شيخ الاسلام

رحمه الله

تكفير من نفى التكليم عن موسى

فى رجل قال:ان الله لم يكلم موسى تكليما ،وانما خلق الكلام والصوت فى الشجرة،وموسى عليه السلام سمع من الشجرة لا من الله،وان الله عز وجل لم يكلم جبريل بالقرآن وإنما أخذه من اللوح المحفوظ.فهل هو على الصواب أم لا ؟

فأجاب:الحمد لله،ليس هذا على الصواب؛بل هذا ضال مفتر كاذب باتفاق سلف الامة وأئمتها ؛بل هو كافر يجب ان يستتاب فان تاب والا قتل،واذا قال:لا أكذب بلفظ القرآن ـ وهو قوله:(وكلم الله موسى تكليما)[1]ـ بل أقر بأن هذا اللفظ حق،لكن أنفي معناه وحقيقته؛فان هؤلاء هم الجهمية الذين اتفق السلف والأئمة على أنهم من شر أهل الأهواء والبدع،حتى أخرجهم كثير من الأئمة عن الثنتين والسبعين فرقة.

وأول من قال هذه المقالة فى الاسلام كان يقال له الجعد بن درهم،[2] فضحى به خالد بن عبد الله القسري[3] يوم اضحى؛فانه خطب الناس فقال فى

---

١ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٤ ٢ ـ سبقت الترجمة له فى كلمة وافية فى الجزء الأول.

٣ ـ هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسرى أبو الهيثم أمير العراقين وأحد خطباء العرب وأجوادهم يمانى الأصل من أهل دمشق ولى مكة سنة ٨٩ هـ للوليد بن عبد الملك ثم ولاه هشام العراقين والكوفة والبصرة سنة ١٠٥ هـ عزله هشام سنة ١٢٠ هـ وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفى وأمره أن يحاسبه فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة ثم قتله فى أيام الوليد بن يزيد عام ١٢٦ هـ

راجع الأغانى ١٩:٥٣ ـ ٦٤ وتهذيب ابن عساكر ٥:٦٧ ـ ٨٠ والوفيات ١:١٦٩

خطبته:ضحوا ايها الناس!تقبل الله ضحاياكم،فانى مضح بالجعد بن درهم،انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا،ولم يكلم موسى تكليما،تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً.ثم نزل فذبحه.وكان ذلك فى زمن التابعين فشكروا ذلك،وأخذ هذه المقالة عنه جهم بن صفوان،وقتله بخراسان سلمة بن أحوز، واليه نسبت هذه المقالة التى تسمى «مقالة الجهمية» وهي نفي(صفات الله تعالى،فانهم يقولون:ان الله لا يرى فى الآخرة،ولا يكلم عباده،وانه ليس له علم ولا حياة ولا قدرة ونحو ذلك من الصفات،ويقولون:القرآن مخلوق.

ووافق الجهم على ذلك «المعتزلة» عمرو بن عبيد،[1]وضموا اليها بدعا أخرى فى القدر وغيره؛لكن المعتزلة يقولون ان الله كلم موسى حقيقة وتكلم حقيقة؛لكن حقيقة ذلك عندهم انه خلق كلاما فى غيره،إما شجرة وإما فى هواء،واما في غير ذلك،من غير أن يقوم بذات الله عندهم كلام ولا علم،ولا قدرة ولا رحمة،ولا مشيئة ولا حياة،ولا شيء من الصفات.

والجهمية تارة يبوحون بحقيقة القول،فيقولون:ان الله لم يكلم موسى تكليما،ولا يتكلم.وتارة لا يظهرون هذا اللفظ؛لما فيه من الشناعة المخالفة لدين الاسلام واليهود والنصارى،فيقرون باللفظ،ولكن يقرنونه بأنه خلق فى غيره كلاما.

وأئمة الدين كلهم متفقون على ما جاء به الكتاب والسنة،واتفق عليه سلف الأمة،من أن الله كلم موسى تكليما،وان القرآن كلام الله غير مخلوق، وان المؤمنين يرون ربهم في الآخرة،كما تواترت به الاحاديث عن النبى صلى الله عليه وسلم،وأن لله علماً وقدرة ونحو ذلك.

---

١ ـ سبقت الترجمة له فى هذا الجزء

ونصوص الأئمة فى ذلك مشهورة متواترة،حتى أن أبا القاسم الطبري الحافظ لما ذكر في كتابه فى «شرح أصول السنة» مقالات السلف والأئمة فى الاصول:ذكر من قال:القرآن كلام الله غير مخلوق.وقال:فهؤلاء خمسمائة وخمسون نفسا او اكثر من التابعين والأئمة المرضيين سوى الصحابة،على اختلاف الاعصار ومضي السنين والاعوام،وفيهم نحو من مائة امام ممن اخذ الناس بقولهم،وتدينوا بمذاهبهم.ولو اشتغلت بنقل قول أهل الحديث لبلغت أسماؤهم ألوفا؛لكني اختصرت فنقلت عن هؤلاء عصراً بعد عصر لا ينكر عليهم منكر،ومن أنكر قولهم استتابوه أو أمروا بقتله او نفيه او صلبه،قال:ولا خلاف بين الأمة أن أول من قال القرآن مخلوق جعد بن درهم في سني نيف وعشرين ومائة،ثم جهم بن صفوان،فاما جعد فقتله خالد بن عبد الله القسري.وأما جهم فقتل بمرو فى خلافة هشام بن عبد الملك.[1]

وروى باسناده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه من وجهين أنهم قالوا له يوم صفين:حكمت رجلين؟فقال:ما حكمت مخلوقا ما حكمت إلا القرآن، وعن عكرمة قال كان ابن عباس في جنازة،فلما وضع الميت فى لحده قام رجل وقال:اللهم رب القرآن اغفر له،فوثب اليه ابن عباس فقال:مه؟!القرآن منه، وعن عبد الله بن مسعود قال:من حلف بالقرآن فعليه بكل آية يمين.وهذا ثابت عن ابن مسعود،وعن سفيان بن عيينة قال:سمعت عمرو بن دينار يقول:أدركت مشايخنا والناس منذ سبعين سنة يقولون:القرآن كلام الله،منه

١ ـ هو هشام بن عبد الملك بن مروان من ملوك الدولة الأموية فى الشام ولد فى دمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ وخرج عليه زيد بن على بن الحسين سنة ١٢٠ هـ بأربعة عشر ألفاً من أهل الكوفة فوجه اليه من قتله ١٠ اجتمع فى خزائنه من المال مالم يجتمع فى خزانة أحد من ملوك بنى أميه فى الشام ـ بنى الرصافة ـ وتوفى بها عام ١٢٥ هـ

بدا واليه يعود،وفي لفظ يقولون:القرآن كلام الله غير مخلوق،وقال حرب الكرماني ثنا اسحق بن ابراهيم يعنى ابن راهويه عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال:ادركت الناس منذ سبعين سنة ادركت اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فمن دونهم يقولون:الله الخالق وما سواه مخلوق،إلا القرآن فانه كلام الله،منه خرج واليه يعود.

وهذا قد رواه عن ابن عيينة اسحق،واسحق اما أن يكون سمعه منه أو من بعض اصحابه عنه،وعن جعفر بن محمد الصادق[1]ـ وهو مشهور عنه ـ أنهم سألوه عن القرآن أخالق هو أم مخلوق؟فقال:ليس بخالق ولا مخلوق ولكنه كلام الله.

وهكذا روى عن الحسن البصري،وأيوب السختيانى،وسليمان التيمي، وخلق من التابعين.وعن مالك بن أنس،والليث بن سعد وسفيان الثوري،وابن أبي ليلى،وأبي حنيفة،والشافعي،واحمد بن حنبل،واسحق بن راهويه،وأمثال هؤلاء من الأئمة،وكلام هؤلاء الأئمة واتباعهم في ذلك كثير مشهور،بل اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال:القرآن مخلوق،وانه يستتاب فان تاب والا قتل،كما ذكروا ذلك عن مالك بن أنس وغيره،ولذلك

---

١ ـ هو جعفر بن محمد الباقربن على زين العابدين بن الحسين السبط أبو عبد الله الملقب بالصادق ـ سادس الأئمة الاثنى عشر عند الامامية كان من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة فى العلم أخذ عنه جماعة منهم الامامان أبو حنيفه ومالك ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط له أخبار مع الخلفاء العباسيين،له رسائل مجموعة فى كتاب ورد ذكرها فى كشف الظنون.

راجع نزهة الجليس ٢:٣٥ ووفيات الأعيان ١:١٠٥ واليعقوبى ٣:١١٥ وصفة الصفوة ٢:٩٤

قال الشافعي لحفص الفرد[1]ـ وكان من اصحاب ضرار بن عمرو ممن يقول: القرآن مخلوق،فلما ناظر الشافعي،وقال له:القرآن مخلوق،قال له الشافعي ـ كفرت بالله العظيم:ذكره ابن أبى حاتم فى الرد على الجهمية، قال:كان في كتابى عن الربيع بن سليمان قال:حضرت الشافعي،أو حدثني ابو شعيب،الا أنى أعلم أنه حضر عبد الله بن عبد الحكم،ويوسف بن عمرو بن يزيد،فسأل حفص عبد الله قال:ما تقول فى القرآن؟فأبى أن يجيبه،فسأل يوسف بن عمرو فلم يجبه،وكلاهما أشار إلى الشافعي فسأل الشافعي فاحتج عليه وطالت فيه المناظرة،فقام الشافعي بالحجة بان القرآن كلام الله غير مخلوق، وكفر حفصا الفرد.قال الربيع:فلقيت حفصا فى المسجد بعد هذا فقال:أراد الشافعي قتلي.

وأما مالك بن أنس فنقل عنه من غير وجه الرد على من يقول القرآن مخلوق واستتابته،وهذا المشهور عنه متفق عليه بين أصحابه.وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد ذكر أبو جعفر الطحاوي[2]فى الاعتقاد الذي قال فى أوله:

---

١ ـ من المجبرة ومن أكابرهم،نظير النجار ويكنى أبا عمرو وكان من أهل مصر قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره فقطعه أبو الهذيل وكان أولاً معتزليا ثم قال بخلق الأفعال وكان يكنى ابا يحيى وله من الكتب:الاستطاعة وكتاب التوحيد وكتاب فى المخلوق،وكتاب الرد على النصارى وغيره راجع الفهرست لابن النديم:٢٥٥

٢ ـ هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدى الطحاوى أبو جعفر فقيه انتهت اليه رياسة الحنفية بمصر ولد ونشأ فى صحا من صعيد مصر وتفقه على مذهب الشافعى ثم تحول حنفياً ورحل الى الشام ٢٦٨ هـ فاتصل باحمد بن طالون فكان من خاصته وتوفى بالقاهرة عام ٣٢١ هـ من تصانيفه:شرح معانى الآثار،وكتاب الشفعة،وأحكام القرآن والمختصر فى الفقه،والاختلاف بين الفقهاء،ومناقب أبى حنيفة

راجع طبقات الحفاظ للسيوطى،والفهرست لابن.النديم وابن خلكان ١٩:١ وخطط مبارك ٣٠:١٣

«ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة»:أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي،وأبي يوسف يعقوب بن ابراهيم الأنصاري،وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني قال فيه:«وان القرآن كلام الله،منه بدأ بلا كيفية قولا،وأنزله على نبيه وحيا،وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأثبتوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة،ليس بمخلوق ككلام البرية،فمن سمعه فزعم انه كلام البشر فقد كفر،وقد ذمه الله وعابه وأوعده عذابه وتوعده حيث قال: (سأصليه سقر)[1] فلما أوعد الله سقر لمن قال: (ان هذا إلا قول البشر)[2] علمنا انه قول خالق البشر ولا يشبه قول البشر».

وأما أحمد بن حنبل فكلامه في مثل هذا مشهور متواتر،وهو الذي اشتهر بمحنة هؤلاء الجهمية،فانهم أظهروا القول بانكار صفات الله تعالى، وحقائق اسمائه،وان القرآن مخلوق،حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالى،ودعوا الناس الى ذلك،وعاقبوا من لم يجبهم إما بالقتل وإما بقطع الرزق وإما بالعزل عن الولاية،وإما بالحبس او بالضرب،وكفروا من خالفهم،فثبت الله تعالى الامام احمد حتى أخمد الله به باطلهم،ونصر أهل الايمان والسنة عليهم،وأذلهم بعد العز،وأخملهم بعد الشهرة،واشتهر عند خواص الأمة وعوامها ان القرآن كلام الله غير مخلوق،واطلاق القول ان من قال انه مخلوق فقد كفر.

وأما اطلاق القول بان الله لم يكلم موسى فهذه مناقضة لنص القرآن،فهو أعظم من القول بان القرآن مخلوق،وهذا بلا ريب يستتاب فان تاب وإلا قتل،فانه أنكر نص القرآن،وبذلك أفتى الأئمة والسلف في مثله،والذي يقول

---

١ ـ سورة المدثر آية رقم ٢٦ ٢ ـ سورة المدثر آية رقم ٢٥

القرآن مخلوق هو فى المعنى موافق له،فلذلك كفره السلف.

قال البخاري فى كتاب «خلق الأفعال» قال سفيان الثوري:من قال القرآن مخلوق فهو كافر،قال:وقال عبد الله بن المبارك:من قال(إني أنا الله لا إله إلا أنا) مخلوق،فهو كافر،ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك،قال وقال ابن المبارك: لا نقول كما قالت الجهمية انه فى الأرض ههنا،بل على العرش استوى،وقيل له:كيف نعرف ربنا؟قال فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه.

وقال:من قال «لا إله إلا الله» مخلوق فهو كافر،وانا نحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.قال وقال علي بن عاصم:ما الذين قالوا ان لله ولداً أكفر من الذين قالوا ان الله لا يتكلم.

قال البخاري:وكان اسماعيل بن أبي ادريس يسميهم زنادقة العراق،وقيل له:سمعت أحداً يقول القرآن مخلوق؟فقال:هؤلاء الزنادقة.قال:وقال أبو الوليد سمعت يحيى بن سعيد ـ وذكر له أن قوماً يقولون القرآن مخلوق ـ فقال كيف يصنعون بـ (قل هو الله أحد) كيف يصنعون بقوله:(انى انا الله لا إله الا انا)؟قال:وقال ابو عبيد القاسم بن سلام[1]نظرت فى كلام اليهود والمجوس فما رأيت قوماً أضل فى كفرهم منهم،وانى لأستجهل من لا يكفرهم الا من لا يعرف كفرهم.قال:وقال سليمان بن داود الهاشمي:من قال القرآن مخلوق فهو كافر،وان كان القرآن مخلوقاً كما زعموا فلم صار فرعون اولى بان يخلد

---

١ ـ قال الحافظ الذهبي:أبو عبيد البغدادى الفقيه الأديب صاحب المصنفات الكثيرة فى القرآن والفقه والشعر،قرأ القرآن على الكسائي واسماعيل بن جعفر.ولد بهراه وكان ابوه عبداً لبعض أهل هراه ولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك.قال أبو داود ثقة مأمون وقال الدار قطني:ثقة من مصنفاته:كتاب الأموال.

فى النار إذ قال (أنا ربكم الأعلى) ؟[1]وزعموا ان هذا مخلوق والذي قال: (انني أنا الله لا إله إلا انا فاعبدنى) هذا أيضاً قد ادعى ما ادعى فرعون،فلم صار فرعون اولى أن يخلد فى النار من هذا ؟وكلاهما عنده مخلوق.فأخبر بذلك ابو عبيد فاستحسنه وأعجبه.

ومعنى كلام هؤلاء السلف رضي الله عنهم:ان من قال ان كلام الله مخلوق خلقه فى الشجرة أو غيرها ـ كما قال هذا الجهمي المعتزلي المسؤول عنه ـ كان حقيقة قوله:ان الشجرة هي التى قالت لموسى (اننى انا الله لا إله إلا انا فاعبدنى)[2] ومن قال:هذا مخلوق قال ذلك،فهذا المخلوق عنده كفرعون الذي قال:(أنا ربكم الأعلى) كلاهما مخلوق وكلاهما قال ذلك.فان كان قول فرعون كفراً فقول هؤلاء أيضاً كفر.ولاريب أن قول هؤلاء يؤول الى قول فرعون؛وان كانوا لا يفهمون ذلك؛فان فرعون كذب موسى فيما أخبر به:من أن ربه هو الاعلى وانه كلمه كما قال تعالى:(وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحا لعلى أبلغ الأسباب،أسباب السموات فأطلع الى إله موسى وانى لأظنه كاذبا)[3]وهو قد كذب موسى فى ان الله كلمه.

ولكن هؤلاء يقولون إذا خلق كلاماً فى غيره صار هو المتكلم به وذلك باطل وضلال من وجوه كثيرة:

(أحدهما)ان الله سبحانه انطق الأشياء كلها نطقاً معتاداً ونطقاً خارجا عن المعتاد،قال تعالى:(اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون)[4]وقال تعالى:(حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم

١ ـ سورة النازعات آية رقم ٢٤ ٢ ـ سورة طه . آية رقم ١٤
٣ ـ سورة غافر آية رقم ٣٦ ٤ ـ سورة يس آية رقم ٦٥

وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون. وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ؟قالوا أنطقنا الله الذي انطق كل شيء)[1]وقال تعالى: (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون)[2]وقد قال تعالى: (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق)[3]وقد ثبت ان الحصى كان يسبح في يد النبى صلى الله عليه وسلم،وأن الحجر كان يسلم عليه وامثال ذلك من انطاق الجمادات؛فلو كان إذا خلق كلاما في غيره كان هو المتلكم به كان هذا كله كلام الله تعالى،ويكون قد كلم من سمع هذا الكلام كما كلم موسى بن عمران،بل قد ثبت ان الله خالق أفعال العباد .فكل ناطق فالله خالق نطقه وكلامه فلو كان متكلما بما خلقه من الكلام لكان كل كلام في الوجود كلامه حتى كلام إبليس والكفار وغيرهم،وهذا تقوله غلاة الجهمية كابن عربى وأمثاله يقولون:

وكل كلام فى الوجود كلامه سواء علينا نثره ونظامه

وهكذا أشباه هؤلاء من غلاة المشبهة الذين يقولون:ان كلام الآدميين غير مخلوق؛فان كل واحدة من الطائفتين يجعلون كلام المخلوق بمنزلة كلام الخالق فاولئك يجعلون الجميع مخلوقا وان الجميع كلام الله،وهؤلاء يجعلون الجميع كلام الله وهو غير مخلوق،ولهذا كان قد حصل اتصال بين شيخ الجهمية الحلولية وشيخ المشبهة الحلولية.

وبسبب هذه البدع وأمثالها من المنكرات المخالفة لدين الاسلام سلط الله أعداء الدين فان الله يقول(ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز،

١ ـ سورة فصلت آية رقم ٢٠ ٢ ـ سورة النور آية رقم ٢٤
٣ ـ سورة ص آية رقم ١٨

الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)،[1]وأي معروف أعظم من الايمان بالله واسمائه وآياته؟واي منكر اعظم من الالحاد في اسماء الله وآياته؟

(الوجه الثاني)أن يقال لهؤلاء الضالين:ما خلقه الله في غيره من الكلام وسائر الصفات فانما يعود حكمه على ذلك المحل لا على غيره فاذا خلق الله فى بعض الاجسام حركة أو طعما أو لوناً او ريحاً كان ذلك الجسم هو المتحرك المتلون المتروح المطعوم،وإذا خلق بمحل حياة أو علماً او قدرة أو إرادة او كلاما كان ذلك المحل هو الحي العالم القادر المريد المتكلم.فاذا خلق كلاما في الشجرة أو في غيرها من الأجسام كان ذلك الجسم هو المتكلم بذلك الكلام،كما لو خلق فيه إرادة أو حياة أو علماً،ولا يكون الله هو المتكلم به،كما إذا خلق فيه حياة أو قدرة أو سمعاً أو بصراً كان ذلك المحل هو الحي به والقادر به والسميع به والبصير به،فكما أنه سبحانه لا يجوز أن يكون متصفاً بما خلقه من الصفات المشروطة بالحياة وغير المشروطة بالحياة،فلا يكون هو المتحرك بما خلقه فى غيره من الحركات،ولا المصوت بما خلقه فى غيره من الأصوات،ولا سمعه ولا بصره وقدرته ما خلقه فى غيره من السمع والبصر والقدرة،فكذلك لا يكون كلامه ما خلقه فى غيره من الكلام ولا يكون متكلماً بذلك الكلام.

(الوجه الثالث)ان الاسم المشتق من معنى لا يتحقق بدون ذلك المعنى، فاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وأفعال التفضيل يمتنع ثبوت معناها دون معنى المصدر التى هي مشتقة منه،والناس متفقون على انه لا

---

١ ـ سورة الحج آية رقم ٤٠ ـ ٤١

يكون متحرك ولا متكلم الا بحركة وكلام،فلا يكون مريد إلا بارادة،وكذلك لا يكون عالم الا بعلم ولا قادر الا بقدرة ونحو ذلك.

ثم هذه الأسماء المشتقة من المصدر انما يسمى بها من قام به مسمى المصدر،فانما يسمى بالحي من قامت به الحياة،وبالمتحرك من قامت به الحركة، وبالعالم من قام به العلم،وبالقادر من قامت به القدرة.فأما من لم يقم به مسمى المصدر فيمتنع أن يسمى باسم الفاعل ونحوه من الصفات.وهذ معلوم بالاعتبار في جميع النظائر.

وذلك لأن اسم الفاعل ونحوه من المشتقات هو مركب يدل على الذات وعلى الصفة.والمركب يمتنع تحققه بدون تحقق مفرداته.وهذا كما انه ثابت فى الأسماء المشتقة،فكذلك في الأفعال:مثل تكلم وكلم ويتكلم ويكلم وعلم ويعلم وسمع ويسمع ورأى ويرى ونحو ذلك،سواء قيل:ان الفعل المشتق من المصدر،أو المصدر مشتق من الفعل،لا نزاع بين الناس ان فاعل الفعل هو فاعل المصدر.فاذا قيل كلم أو علم أو تكلم أو تعلم ففاعل التكليم والتعليم هو المكلم والمعلم،وكذلك التعلم والتكلم،والفاعل هو الذي قام به المصدر الذي هو التكليم والتعليم والتعلم فاذا قيل:تكلم فلان أو كلم فلان فلاناً ففلان هو المتكلم والمكلم،فقوله تعالى:(وكلم الله موسى تكليماً)[1]وقوله:(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله،ورفع بعضهم درجات)[2] وقوله:(ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)[3]يقتضي ان الله هو المكلم،فكما يمتنع ان يقال:هو متكلم بكلام قائم بغيره يمتنع أن يقال كلم بكلام قائم بغيره.

١ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٤ ٢ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٥٣

٣ ـ سورة الأعراف آية رقم ١٤٣

فهذه خمسة أوجه:

(أحدها)انه يلزم الجهمية على قولهم ان يكون كل كلام خلقه الله كلاماً له؛إذ لا معنى لكون القرآن كلام الله إلا كونه خلقه،وكل من فعل كلاماً ولو فى غيره كان متكلماً به عندهم،وليس للكلام عندهم مدلول يقوم بذات الرب تعالى لو كان مدلول «قائماً» يدل لكونه خلق صوتاً فى محل والدليل يجب طرده فيجب ان يكون كل صوت يخلقه له كذلك،وهم يجوزون أن يكون الصوت المخلوق على جميع الصفات،فلا يبقى فرق بين الصوت الذي هو كلام الله تعالى على قولهم والصوت الذي هو ليس بكلام.

(الثانى)ان الصفة إذا قامت بمحل كالعلم والقدرة والكلام والحركة عاد حكمها الى ذلك المحل ولا يعود حكمها الى غيره.

(الثالث)ان يشتق منه المصدر واسم الفاعل والصفة المشبهة به ونحو ذلك ولا يشتق ذلك لغيره.وهذا كله بين ظاهر وهو ما يبين قول السلف والأئمة ان من قال ان الله خلق كلاماً فى غيره لزمه أن يكون حكم التكلم عائداً الى ذلك المحل لا الى الله.

(الرابع)ان الله أكد تكليم موسى بالمصدر فقال (تكليماً) قال غير واحد من العلماء:التوكيد بالمصدر بنفي المجاز،لئلا يظن انه ارسل إليه رسولا أو كتب إليه كتاباً بل كلمه منه إليه.

(والخامس)ان الله فضل موسى بتكليمه إياه على غيره ممن لم يكلمه وقال:(وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل

رسولا)[1]الآية،فكان تكليم موسى من وراء الحجاب،وقال:(يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي)[2]وقال(انا أوحينا إليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ـ الى قوله ـ وكلم الله موسى تكليماً)[3]والوحي هو ما نزله الله على قلوب الأنبياء بلا واسطة،فلو كان تكليمه لموسى إنما هو صوت خلقه في الهواء لكان وحي الأنبياء أفضل منه؛لأن اولئك عرفوا المعنى المقصود بلا واسطة،وموسى إنما عرفه بواسطة، ولهذا كان غلاة الجهمية من الاتحادية ونحوهم يدعون أن ما يحصل لهم من الالهام أفضل مما حصل لموسى بن عمران،وهذا من أعظم الكفر باتفاق المسلمين.

ولما فهم السلف حقيقة مذهب هؤلاء وانه يقتضي تعطيل الرسالة فان الرسل إنما بعثوا ليبلغوا كلام الله؛بل يقتضي تعطيل التوحيد،فان من لا يتكلم ولا يقوم به علم ولا حياة هو كالموات،بل من لا تقوم به الصفات فهو عدم محض اذ ذات لا صفة لها إنما يمكن تقديرها فى الذهن لا في الخارج كتقدير وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص.

فكان قول هؤلاء مضاهياً لقول «المتفلسفة الدهرية» الذين يجعلون وجود الرب وجوداً مطلقاً بشرط الاطلاق لا صفه له.وقد علم ان المطلق بشرط الاطلاق لا يوجد إلا في الذهن.وهؤلاء الدهرية ينكرون أيضاً حقيقة تكليمه لموسى ويقولون إنما هو فيض فاض عليه من العقل الفعال،وهكذا يقولون في الوحي إلى جميع الأنبياء،وحقيقة قولهم:ان القرآن قول البشر

---

١ ـ سورة الشورى آية رقم ٥١
٢ ـ سورة الأعراف آية رقم ١٤٤
٣ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٤

لكنه صدر عن نفس صافية شريفة.وإذا كانت المعتزلة خيراً من هؤلاء وقد كفر السلف من يقول بقولهم فكيف هؤلاء؟!

وكلام السلف والأئمة فى مثل هؤلاء لا يحصى قال حرب بن اسماعيل الكرماني:سمعت اسحاق بن راهويه يقول:ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق،وكيف يكون شيء من الرب عز ذكره مخلوقا؟ولو كان كما قالوا لزمهم أن يقولوا:علم الله وقدرته ومشيئته مخلوقة،فان قالوا ذلك لزمهم أن يقولوا كان الله ـ تبارك اسمه ـ ولا علم ولا قدرة ولا مشيئة،وهو الكفر المحض الواضح؛لم يزل الله عالماً متكلما له المشيئة والقدرة في خلقه،والقرآن كلام الله وليس بمخلوق،فمن زعم أنه مخلوق فهو كافر.

وقال وكيع بن الجراح:[1]من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئاً من الله مخلوق.فقيل له:من أين قلت هذا؟قال لان الله يقول(ولكن حق القول منى)[2]ولا يكون من الله شيء مخلوق.وهذا القول قاله غير واحد من السلف.

وقال أحمد بن حنبل:كلام الله من الله ليس ببائن منه،وهذا معنى قول السلف:القرآن كلام الله منه بدا ومنه خرج وإليه يعود كما في الحديث الذي

---

١ ـ هو وكيع بن الجراح الرواسى أبو سفيان حافظ للحديث،كان محدث العراق فى عصره،ولد بالكوفة عام ١٢٩ هـ وتفقه وحفظ الحديث واشتهر وأراد الرشيد أن يوليه قضاء الكوفة فامتنع ورعاً وكان يصوم الدهر له كتب منها:تفسير القرآن،والسنن،والمعرفة والتاريخ وغير ذلك كثير.

راجع تذكرة الحفاظ ١:٢٨٢ وحلية الأولياء ٨:٣٦٨ ومفتاح السعادة ٢:١١٧

٢ ـ سورة السجدة آية رقم ١٣

رواه أحمد وغيره عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «انكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه»[1] يعني القرآن وقد روي أيضاً عن أبي أمامة مرفوعا. وقال أبو بكر الصديق لاصحاب مسيلمة الكذاب لما سمع قرآن مسيلمة «ويحكم! أين يذهب بعقولكم؟ إن هذا كلاما لم يخرج من إل» أي من رب.

وليس معنى قول السلف والأئمة: إنه منه خرج ومنه بدا. أنه فارق ذاته وحل بغيره فان كلام المخلوق إذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره، فكيف يكون كلام الله؟ قال تعالى: (كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون إلا كذبا)[2] فقد أخبر أن الكلمة تخرج من أفواههم، ومع هذا فلم تفارق ذاتهم.

و «أيضاً» فالصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره، لا صفة الخالق ولا صفة المخلوق، والناس إذا سمعوا كلام النبى صلى الله عليه وسلم ثم بلغوه عنه كان الكلام الذي بلغوه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بلغوه بحركاتهم وأصواتهم فالقرآن أولى بذلك، فالكلام كلام الباري والصوت صوت القارىء قال تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[3] وقال صلى الله عليه وسلم «زينوا القرآن بأصواتكم»[4]

---

١ ـ الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب فضائل القرآن ٢٩١١ حدثنا بكر بن خنيس عن ليث بن أبى سليم عن زيد بن أرطاة عن أبى أمامة قال: قال النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ما أذن الله لعبد فى شيء أفضل من ركعتين يصليهما وان البر ليذر على رأس العبد ما دام فى صلاته ثم ذكره.

قال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه.

٢ ـ سورة الكهف آية رقم ٥

٣ ـ سورة التوبة آية رقم ٦

٤ ـ سبق تخريج هذا الحديث

ولكن مقصود السلف الرد على هؤلاء الجهمية فانهم زعموا ان القرآن خلقه الله فى غيره فيكون قد ابتدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله،كما يقولون:كلامه لموسى خرج من الشجرة فبين السلف والأئمة أن القرآن من الله بدأ وخرج،وذكروا قوله(ولكن حق القول منى)[1]فأخبر ان القول منه لا من غيره من المخلوقات.

و «من» هي لابتداء الغاية،فان كان المجرور بها عينا يقوم بنفسه لم يكن صفة لله كقوله:(وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعاً منه)[2]وقوله فى المسيح:(وروح منه)[3]وكذلك ما يقوم بالاعيان كقوله:(وما بكم من نعمة فمن الله).[4]

واما إذا كان المجرور بها صفة ولم نذكر لها محل كان صفه الله كقوله(ولكن حق القول منى).وكذلك قد اخبر فى غير موضع من القرآن ان القرآن نزل منه وانه نزل به جبريل منه رداً على هذا المبتدع المفتري وأمثاله ممن يقول:انه لم ينزل منه،قال تعالى:(أفغير الله أبتغي حكماً،وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا؟!والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق)[5]وقال تعالى:(قل نزله روح القدس من ربك بالحق)[6]وروح القدس هو جبريل،كما قال فى الآية الأخرى(نزل به الروح الامين على قلبك)[7] وقال(من كان عدواً لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله)[8]وقال هنا(نزله

١ ـ سورة السجدة آية رقم ١٣

٢ ـ سورة الجاثية آية رقم ١٣

٣ ـ سورة النساء آية رقم ١٧١

٤ ـ سورة النحل آية رقم ٥٣

٥ ـ سور الأنعام آية رقم ١١٤

٦ ـ سورة النحل آية رقم ١٠٣

٧ ـ سورة الشعراء آية رقم ١٩٣

٨ ـ سورة البقرة آية رقم ٩٧

روح القدس من ربك)[1]فبين ان جبريل نزله من الله لا من هواء ولا من لوح ولا غير ذلك،وكذلك سائر آيات القرآن كقوله: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)[2]وقوله(حم،تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)[3]وقوله (حم،تنزيل من الرحمن الرحيم)[4]وقوله(ألم،تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين)[5]وقوله(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك).[6]

فقد بين في غير موضع أنه منزل من الله،فمن قال:انه منزل من بعض المخلوقات كاللوح والهواء فهو مفتر على الله،مكذب لكتاب الله،متبع لغير سبيل المؤمنين،ألا ترى ان الله فرق بين ما نزل منه وما نزله من بعض المخلوقات كالمطر بأن قال: (وأنزل من السماء ماء)؟[7]فذكر المطر في غير موضع وأخبر أنه نزله من السماء،والقرآن أخبر أنه منزل منه،وأخبر بتنزيل مطلق في مثل قوله(وأنزلنا الحديد)[8]لأن الحديد ينزل من رؤوس الجبال لا ينزل من السماء،وكذلك الحيوان؛فان الذكر ينزل الماء في الاناث.فلم يقل فيه من السماء،ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود اكرم على الله من أمة محمد،لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح ان الله كتب لموسى التوراة بيده وأنزلها مكتوبة.فيكون بنو اسرائيل قد قرأوا الألواح التى كتبها الله،وأما المسلمون فأخذوه عن محمد صلى الله عليه وسلم،ومحمد أخذه عن جبريل وجبريل عن اللوح،فيكون بنو اسرائيل بمنزلة جبريل،وتكون منزلة

---

١ ـ سورة النحل آية رقم ١٠٣
٢ ـ سورة الزمر آية رقم ١
٣ ـ سورة غافر آية رقم ٢
٤ ـ سورة فصلت آية رقم ١ ـ ٢
٥ ـ سورة السجدة آية رقم ٢
٦ ـ سورة المائدة آية رقم ٧٦
٧ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٢
٨ ـ سورة الحديد آية رقم ٢٥

بني اسرائيل أرفع من منزلة محمد صلى الله عليه وسلم على قول هؤلاء الجهمية،والله سبحانه جعل من فضائل أمة محمد صلى الله عليه وآله رسلم انه أنزل عليهم كتابا لا يغسله الماء وانه أنزله عليهم تلاوة لا كتابة،وفرقه عليهم لأجل ذلك.فقال:(وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا)[1]وقال تعالى:(وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا).[2]

ثم ان كان جبريل لم يسمعه من الله وانما وجده مكتوباً كانت العبارة عبارة جبريل،وكان القرآن كلام جبريل ترجم به عن الله،كما يترجم عن الأخرس الذي كتب كلاما ولم يقدر ان يتكلم به.وهذا خلاف دين المسلمين.

وإن احتج محتج بقوله:(انه لقول رسول كريم،ذي قوة عند ذي العرش مكين)[3]قيل له فقد قال فى الآية الأخرى:(انه لقول رسول كريم،وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون،ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون)[4]فالرسول فى هذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم والرسول في الأخرى جبريل،فلو اريد به ان الرسول احدث عبارته لتناقض الخبران.فعلم انه أضافه اليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث ولهذا قال:(لقول رسول)ولم يقل ملك ولا نبى،ولا ريب ان الرسول بلغه،كما قال تعالى:(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك)[5]فكان النبى صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموسم ويقول:«ألا رجل يحملني الى قومه لأبلغ كلام ربى،فان قريشاً قد

---

١ ـ سورة الأسراء آية رقم ١٠٦

٢ ـ سورة الفرقان آية رقم ٣٢

٣ ـ سورة التكوير آية رقم ٢٠

٤ ـ سورة الحاقة آية رقم ٤٢

٥ ـ سورة المائدة آية رقم ٦٧

منعوني أن ابلغ كلام ربي؟»[1]ولما أنزل الله:(الم غلبت الروم)[2]خرج ابو بكر الصديق فقرأها على الناس فقالوا:هذا كلامك أم كلام صاحبك؟فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي ولكنه كلام الله.

وان احتج بقوله(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)[3]قيل له هذه آية حجة عليك،فانه لما قال(ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)علم ان الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث؛لأن النكرة اذا وصفت ميز بها الموصوف وغيره، كما لو قال:ما يأتيني من رجل مسلم إلا اكرمته،وما آكل إلا طعاما حلالا ونحو ذلك،ويعلم ان المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يتوله الجهمي ولكنه الذي أنزل جديداً،فان الله كان ينزل القرآن شيئاً بعد شيء،فالمنزل أولاً هو قديم بالنسبة الى المنزل آخراً.وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب،كما قال:(كالعرجون القديم)[4]وقال:(تالله انك لفي ضلالك القديم)[5]وقال:(واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم)[6]وقال:(أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون)[7]وكذلك قوله:(جعلناه قرآناً عربيا)[8]لم يقل جعلناه فقط حتى يظن انه بمعنى خلقناه؛ولكن قال: (جعلناه قرآناً عربيا)أي صيرناه عربيا لانه قد كان قادراً على ان ينزله عجمياً،فلما أنزله عربيا كان قد جعله عربياً دون عجمي.وهذه المسئلة من اصول أهل الايمان والسنة التي فارقوا بها الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم،والكلام عليها مبسوط في غير هذا الموضع والله أعلم.

---

١ ـ سبق تخريج هذا الحديث فى هذا الجزء
٢ ـ سورة الروم آية رقم ١
٣ ـ سورة الأنبياء آية رقم ٢
٤ ـ سورة يس آية رقم ٣٩
٥ ـ سورة يوسف آية رقم ٩٥
٦ ـ سورة الاحقاف آية رقم ١١
٧ ـ سورة الشعراء آية رقم ٧٦
٨ ـ سورة الزخرف آية رقم ٣

وسئل شيخ الاسلام
رحمه الله

عمن قال:ان الله لم يكلم موسى تكليما ،فقال له آخر:بل كلمه تكليما ، فقال:ان قلت كلمه فالكلام لا يكون إلا بحرف وصوت،والحرف والصوت محدث، ومن قال:ان الله كلم موسى بحرف وصوت فهو كافر،فهل هو كما قال او لا؟

فأجاب:الحمد لله،اما من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما فهذا ان كان لم يسمع القرآن فانه يعرف ان هذا نص القرآن،فان أنكره بعد ذلك استتيب فان تاب والا قتل،ولا يقبل منه ان كان كلامه بعد ان يجحد نص القرآن،بل لو قال:ان معنى كلامي انه خلق صوتا فى الهواء فأسمعه موسى كان كلامه أيضاً كفراً،وهو قول الجهمية الذين كفرهم السلف وقالوا:يستتابون فان تابوا والا قتلوا؛لكن من كان مؤمناً بالله ورسوله مطلقا ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب فانه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التى من خالفها كفر.إذ كثير من الناس يخطيء فيما يتأوله من القرآن ويجهل كثيراً مما يرد من معاني الكتاب والسنة،والخطأ والنسيان مرفوعان عن هذه الأمة،والكفر لا يكون إلا بعد البيان.

والأئمة الذين امروا بقتل مثل هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله فى الآخرة ويقولون:القرآن مخلوق ونحو ذلك،قيل انهم امروا بقتلهم لكفرهم،وقيل لأنهم دعوا الناس إلى بدعتهم أضلوا الناس فقتلوا لاجل الفساد فى الارض وحفظا لدين الناس ان يضلوهم.

وبالجملة فقد اتفق سلف الامة وأئمتها على ان الجهمية من شر طوائف أهل البدع،حتى أخرجهم كثير عن الثنتين والسبعين فرقة.

ومن الجهمية:المتفلسفة والمعتزلة الذين يقولون:ان كلام الله مخلوق وان الله إنما كلم موسى بكلام مخلوق خلقه في الهواء،وانه لا يرى فى الآخرة،وانه ليس مباينا لخلقه،وأمثال هذه المقالات التى تستلزم تعطيل الخالق وتكذيب رسله وإبطال دينه.

وأما قول الجهمي:ان قلت كلمه فالكلام لا يكون إلا بحرف وصوت، والحرف والصوت محدث،ومن قال ان الله كلم موسى بحرف وصوت فهو كافر.فيقال لهذا الملحد:أنت تقول انه كلمه بحرف وصوت لكن تقول بحرف وصوت خلقه في الهواء وتقول:انه لا يجوز أن تقوم به الحروف والاصوات لانها لا تقوم الا بمتحيز،والباري ليس بمتحيز،ومن قال انه متحيز فقد كفر. ومن المعلوم ان من جحد ما نطق به الكتاب والسنة كان أولى بالكفر ممن أقر بما جاء به الكتاب والسنة.

وان قال الجاحد لنص الكتاب والسنة ان العقل معه قال له الموافق للنصوص:بل العقل معي وهو موافق للكتاب والسنة،فهذا يقول إن معه السمع والعقل،وذاك انما يحتج لقوله بما يدعيه من العقل الذي يبين منازعه فساده،ولو قدر أن العقل معه.

«والكفر» هو من الأحكام الشرعية وليس كل من خالف شيئا علم بنظر العقل يكون كافراً،ولو قدر انه جحد بعض صرائح العقول لم يحكم بكفره حتى يكون قوله كفراً فى الشريعة.

وأما من خالف ما علم أن الرسول جاء به فهو كافر بلا نزاع؛وذلك أنه ليس فى الكتاب والسنة ولا فى قول أحد من سلف الامة وأئمتها الاخبار عن الله بانه متحيز أو انه ليس بمتحيز،ولا فى الكتاب والسنة ان من قال هذا وهذا يكفر.وهذا اللفظ مبتدع والكفر لا يتعلق بمجرد اسماء مبتدعة لا أصل لها فى الكتاب والسنة؛بل يستفسر هذا القائل إذا قال:إن الله متحيز أو ليس بمتحيز،فان قال:أعني بقولي انه متحيز انه دخل فى المخلوقات وإن المخلوقات قد حازته وأحاطت به فهذا باطل.وان قال اعني به انه منحاز عن المخلوقات مباين لها ،فهذا حق.

وكذلك قوله:ليس بمتحيز،ان أراد به ان المخلوق لا يجوز الخالق فقد أصاب،وان قال ان الخالق لا يباين المخلوق وينفصل عنه فقد أخطأ.

وإذا عرف ذلك فالناس فى الجواب عن حجته الداحضة ـ وهي قوله «لو قلت انه كلمه فالكلام لا يكون الا بحرف وصوت والحرف والصوت محدث» ـ ثلاثة أصناف:صنف منعوه المقدمة الأولى،وصنف منعوه المقدمة الثانية، وصنف منعوه المقدمتين،بل استفسروه،وبينوا أن ذلك لا يمنع ان يكون الله كلم موسى تكليما.

فـ «الصنف الأول» ابو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب وابو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري ومن اتبعهما قالوا:لا نسلم ان الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت بل الكلام معنى قائم بذات المتكلم والحروف والاصوات عبارة عنه،وذلك المعنى القائم بذات الله تعالى يتضمن الامر بكل ما أمر به والخبر عن كل ما أخبر عنه،ان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا،وقالوا:انه اسم الكلام حقيقة،فيكون اسم الكلام مشتركا او مجازاً في كلام الخالق،وحقيقة فى كلام المخلوق.

و «الصنف الثاني» سلموا لهم ان الكلام لا يكون إلا بحرف وصوت، ومنعوهم المقدمة الثانية،وهو ان الحرف والصوت لا يكون إلا محدثا.

وصنف قالوا: إن المحدث كالحادث سواء كان قائما بنفسه او بغيره،وهو يتكلم بكلام لا يكون قديما،وهو بحرف وصوت،وهذا قول من يقول القرآن قديم وهو بحرف وصوت كأبى الحسن بن سالم وأتباعه السالمية وطوائف ممن اتبعه،وقال هؤلاء في الحرف والصوت نظير ما قاله الذين قبلهم في المعانى.

وقالوا كلام لا بحرف ولا صوت لا يعقل،ومعنى يكون أمراً ونهياً وخبراً ممتنع فى صريح العقل،ومن ادعى ان معنى التوراة والانجيل والقرآن واحد وإنما اختلفت العبارات الدالة عليه ـ فقوله معلوم الفساد بالاضطرار عقلا وشرعاً وإخراج الحروف عن مسمى الكلام مما يعلم فساده بالاضطرار من جميع اللغات،وإن جاز أن يقال:ان الحروف والأصوات المخلوقة فى غير كلام الله حقيقة أمكن حينئذ أن يكون كلم موسى بكلام مخلوق فى غيره.

وقالوا لاخوانهم الأولين:اذا قلتم ان الكلام هو مجرد المعنى وقد خلق عبارة بيان[1]فان قلتم ان تلك العبارة كلامه حقيقة بطلت حجتكم على المعتزلة؛فان أعظم حجتكم؛عليهم قولكم انه يمتنع أن يكون متكلماً بكلام يخلقه فى غيره،كما يمتنع أن يعلم قائم بغيره،وأن يقدر بقدرة قائمة بغيره،وأن يريد بارادة قائمة بغيره،وإن قلتم هي كلام مجازاً لزم أن يكون الكلام حقيقة فى المعنى مجازاً فى اللفظ،وهذا مما يعلم فساده بالاضطرار من جميع اللغات.

---

١ ـ بياض بالاصل.

و«الصنف الثالث»:الذين لم يمنعوا المقدمتين ولكن استفسروهم وبينوا ان هذا لا يستلزم صحة قولكم،بل قالوا:إن قلتم:ان الحرف والصوت محدث بمعنى انه يجب أن يكون مخلوقاً منه منفصلا عنه،فهذا دليل على فساد قولكم وتناقضه،وهذا قول ممنوع،وإن قلتم:بمعنى انه لا يكون قديماً فهو مسلم لكن هذه التسمية محدثة.

وهؤلاء «صنفان»:صنف قالوا:ان المحدث هو المخلوق المنفصل عنه فاذا قلنا:الحرف والصوت لا يكون إلا محدثاً كان بمنزلة قولنا لا يكون إلا مخلوقاً،وحينئذ فيكون هذا المعتزلي أبطل قوله بقوله حيث زعم انه يتكلم بحرف وصوت مخلوق،ثم استدل على ذلك بما يقتضي انه يتكلم بكلام مخلوق فيه تلبيس.

ونحن لا نقول كلم موسى بكلام قديم ولا بكلام مخلوق،بل هو سبحانه يتكلم إذا شاء ويسكت إذا شاء،كما انه سبحانه وتعالى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش،وانه سبحانه استوى الى السماء وهي دخان،وانه سبحانه يأتي فى ظلل من الغمام والملائكة،كما قال(وجاء ربك والملك صفاً صفاً)[1]وقال:(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة او يأتي بعض آيات ربك)[2]وقال تعالى:(إنما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)[3]و قال تعالى:(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[4]وأمثال ذلك فى القرآن والحديث كثير.

---

١ ـ سورة الفجر آية ٢٢

٢ ـ سورة الأنعام آية رقم ١٥٨

٣ ـ سورة يس آية رقم ٨٢

٤ ـ سورة التوبة آية رقم ١٠٥

يبين الله سبحانه أنه إذا شاء فعل ما أخبر عنه من تكليمه وأفعاله القائمة بنفسه،وما كان قائماً بنفسه هو كلامه لا كلام غيره.والمخلوق لا يكون قائماً بالخلق،ولا يكون الرب محلا للمخلوقات،بل هو سبحانه يقوم به ما شاء من كلماته وأفعاله،وليس من ذلك شيء مخلوقاً،وإنما المخلوق ما كان بائناً عنه.وكلام الله من الله ليس ببائن منه،ولهذا قال السلف؛القرآن كلام الله غير مخلوق،منه بدأ وإليه يعود،فقالوا:منه بدأ أي هو المتكلم به،لا أنه خلقه في بعض الأجسام المخلوقة.

وهذا «الجواب» هو جواب أئمة أهل الحديث والتصوف والفقه وطوائف من أهل الكلام من أئمتهم:من الهشامية،والكرامية،وغيرهم.

وأتباع الأئمة الأربعة: أصحاب أبى حنيفة،ومالك،والشافعي،وأحمد:منهم من يختار جواب الصنف الأول،وهم الذين يرتضون قول ابن كلاب فى القرآن،وهم طوائف من متأخري أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبى حنيفة،ومنهم من يختار جواب الصنف الثانى،وهم الطوائف الذين ينكرون قول ابن كلاب ويقولون ان القرآن قديم:كالسالمية،وطوائف من أصحاب مالك والشافعي وأحمد وأبى حنيفة،ومنهم من يختار جواب الطائفة الثالثة،وهم الذين ينكرون قول الطائفتين المتقدمتين الكلابية والسالمية.

ثم من هؤلاء من يقول بقول الكرامية ـ والكرامية ينتسبون الى أبى حنيفة ـ ومنهم من لا يختار قول الكرامية أيضاً لما فيه من تناقض آخر؛بل يقول بقول أئمة الحديث:كالبخارى،وعثمان بن سعيد الدارمى،ومحمد بن اسحاق بن خزيمة،ومن قبلهم من السلف:كأبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث إبن هشام،ومحمد بن كعب القرظي،والزهري،وعبد الله بن المبارك،وأحمد بن

حنبل،واسحاق بن راهويه،وما نقل من ذلك عن الصحابة والتابعين،وفى ذلك آثار كثيرة معروفة فى كتب السنن والآثار تضيق عنها هذه الورقة.

وبين الأصناف الثلاثة منازعات ودقائق تضيق عنها هذه الورقة،وقد بسطنا الكلام عليها فى مواضع وبينا حقيقة كل قول،وما هو القول الصواب فى صريح المعقول وصحيح المنقول؛لكن هؤلاء الطوائف كلهم متفقون على تضليل من يقول ان كلام الله مخلوق.والأمة متفقة على ان من قال ان كلام الله مخلوق لم يكلم موسى تكليماً يستتاب فان تاب والا يقتل.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً.

وسئل ايضا رحمه الله

عمن قال:كلم الله موسى تكليماً،وسمعته أذناه،ووعاه قلبه،وإن الله كتب التوراة بيده،وناوله إياه من يده إلى يده،وقال آخر:لم يكلمه إلا بواسطة.

فأجاب:القائل الذي قال:إن الله كلم موسى تكليماً ـ كما أخبر فى كتابه ـ مصيب،وأما الذي قال:كلم الله موسى بواسطة فهذا ضال مخطىء؛بل قد نص الأئمة على أن من قال ذلك فانه يستتاب فان تاب وإلا قتل؛فان هذا الكلام إنكار لما قد علم بالاضطرار من دين الاسلام،ولما ثبت بالكتاب والسنة والاجماع.

قال الله تعالى:(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً،أو من وراء حجاب)[1]الآية ففرق بين تكليمه من وراء حجاب ـ كما كلم موسى ـ وبين تكليمه بواسطة رسول،كما أوحى إلى غير موسى،قال الله تعالى:(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده)إلى قوله:(وكلم الله موسى تكليماً).[2]

والأحاديث بذلك كثيرة في الصحيحين والسنن وفي الحديث المحفوظ عن النبى صلى الله عليه وسلم حديث «التقى آدم وموسى،قال آدم:أنت موسى الذي كلمك الله تكليماً،لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه».[3]

---

١ ـ سورة الشورى آية رقم ٥١

٢ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٤

٣ ـ الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب القدر ٢١٣٤ بسنده عن سليمان الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره.وأخرجه الامام البخارى فى كتاب التفسير ٣:٢٠ واحمد بن حنبل فى المسند ٢:٢٨٧ ـ ٣١٤ (حلبى)

وسلف الأمة وأئمتها كفروا الجهمية،الذين قالوا: إن الله خلق كلاماً فى بعض الأجسام،سمعه موسى،وفسر التكليم بذلك.وأما قوله:«إن الله كتب التوراة بيده» فهذا قد روى فى الصحيحين،فمن أنكر ذلك فهو مخطىء ضال،وإذا أنكره بعد معرفة الحديث الصحيح يستحق العقوبة.وأما قوله «ناولها بيده إلى يده» فهذا مأثور عن طائفة من التابعين،وهو هكذا عند أهل الكتاب؛لكن لا أعلم غير هذا اللفظ مأثوراً عن النبى صلى الله عليه وسلم،فالمتكلم به إن أراد ما يخالف ذلك فقد أخطأ.والله أعلم.

ما تقول السادة الاعلام

هل الكلام صفة من صفات الله تعالى..؟

أئمة الدين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ هل هذا القرآن الذي نتلوه القائم بنا حين التلاوة هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به وكان صفة له أم لا ؟وإذا كان كلامه فهل إذا تلوناه وقام بنا يطلق عليه كلام الله وصفته؟أم يطلق عليه كلام الله دون صفته؟أم فى ذلك تفصيل يجب بيانه؟وهل إذا قام بنا كان منتقلا عن الله بعد أن قام به؟أم يكون قائماً بنا وبه معاً؟أم الذي قام بنا يكون عبارة عن كلام الله،أو حكاية عنه،ويكون إطلاق كلام الله عليه مجازاً؟ وهل يكون صفة لنا محدثة قامت بمحدث؛إذ القديم لا يقوم بمحدث، والمحدث لا يكون قديماً،وهل «التلاوة» هي نفس المتلو أم لا؟؟أفتونا مأجورين.

فأجاب شيخ الاسلام تقي الدين أبو العباس ابن تيمية قدس الله روحه: الحمد لله رب العالمين.

هذه «المسألة» جوابها يحتمل البسط،ويمكن فيه الاختصار،ثم بسط الجواب بعض البسط؛فأما الجواب المختصر فانه يقال:جواب هذه المسألة مبني على «مقدمة» وهي أن يعرف الانسان معنى قول القائل لما بلغه عن غيره: هذا كلام ذلك الغير؛فان المحدث إذا حدث عن النبى صلى الله عليه وسلم بقوله:«إنما الأعمال بالنيات،وإنما لكل امرىء ما نوى»[1]أو قوله:«الحلال بين،والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهة لا يعلمها كثير من الناس»[2]أو قوله:«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »[3]ونحو ذلك.

فانه من المعلوم أن هذا كلام النبى صلى الله عليه وسلم تكلم به بلفظه ومعناه،فهو الذي أخبر بمعناه،وهو الذي ألف حروفه وتكلم بها بصوته.ثم المبلغ بذلك عنه بلغ كلامه،ما قال النبى صلى الله عليه وسلم «نضر الله أمرءا سمع منا حديثاً فبلغه كما سمعه،فرب حامل فقه غير فقيه،ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[4]فدعى بالنضرة لمن سمع منه حديثاً فبلغه كما

---

١ ـ سبق تخريج هذا الحديث

٢ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب المساقاة ١٠٧ (١٥٩٩) حدثنا زكريا عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال سمعته يقول:سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:وذكره، واخرجه البخارى فى كتاب الايمان ٣٩ والبيوع ٢ وأبو داود فى البيوع ٣

٣ ـ الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الاعتصام ٢٠ باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود لقول الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وذكره.وأخرجه الامام مسلم فى الأقضية ١٧، ١٨ وأبو داود فى السنة ٥ واحمد بن حنبل فى المسند ٢:١٤٦ (حلبى)

٤ ـ الحديث أخرجه ابن ماجة فى المقدمة ٢٣١ ـ بسنده عن الزهرى عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال:قام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم بالخيف ومن منى فقال:وذكره.وأخرجه الترمذى فى كتاب العلم ٧ وأبو داود فى كتاب العلم ١٠ واحمد بن حنبل فى المسند ١:٤٣٧، ٣:٢٢٥، ٤:٨٠ (حلبى)

سمعه.فبين أن الحديث المسموع منه هو الحديث المبلغ عنه،مع العلم بأن المبلغ عنه بأفعاله وأصواته،وان الصوت المسموع منه هو صوته لا صوت النبى صلى الله عليه وسلم.وإن كان النبى صلى الله عليه وسلم تكلم بذلك الحديث بصوته المختص به،فالمبلغ عنه هو حديثه الذي سمع منه،وليس الصوت المسموع صوته.

فاذا قال القائل:هل هذا الحديث الذي قرأه المحدث القائم به حين القراءة هو كلام النبى صلى الله عليه وسلم الذي قام به حين تكلم به وكان صفة له أم لا؟قيل له:ان كنت تريد أن نفس الحديث من حيث هو هو كلام النبى صلى الله عليه وسلم،الذي قام به حين تكلم به كان صفة له؛فنعم!هذا الحديث من حيث هو هو كلام النبى صلى الله عليه وسلم،وإن كنت تريد أن ما اختص بالقارىء من حركاته وأصواته هو القائم بالرسول،فليس كذلك.

وكذلك إن أردت ان نفس ما اختص به الرسول من حركاته وأصواته، والصفات القائمة بنفسه هي بعينها انتقلت عن الرسول،وقامت بالقارىء فليس كذلك.

وقول القائل:هذا هو هذا وليس هو إياه،وهذا هو عين هذا وليس هو عينه:لفظ فيه إجمال،فان من نقل لفظ غيره،كما سمعه وكتبه فى كتاب، فانه يقول:هذا كلام فلان بعينه،وهذا نفس كلامه،وهذا عين كلامه.ومراده ان نفس ما قاله هو الذي بلغه عنه،وهو المكتوب فى الكتاب،لم يزد فيه ولم ينقص منه.

فاذا قال القائل:لما سمع من القارىء،هذا عين كلام الله،أو هذا كلام الله بعينه،أو هذا نفس كلام الله،أو قال لما بين لوحي المصحف:هذا كلام الله

بعينه،وهذا عين كلام الله كان صادقا،ومن أنكر ذلك بهذا الاعتبار كان مقتضى قوله:أن القرآن زيد فيه ونقص؛ولهذا كان الناس مطبقين على أن ما بين اللوحين كلام الله،والانكار على من نفي ذلك.

وقد يقال لكلام المتكلم المسموع منه:هذا كلام زيد بعينه؛وهذا عين كلام زيد،وهذا نفس كلام زيد،بمعنى أنه مسموع منه بلا واسطة؛بحيث يسمع صفة ذلك المتكلم المختص به بذلك،كما قال أيوب السختياني،كان الحسن يتكلم بكلام فيأتى مثل الدر؛فتكلم به بعده قوم فجاء مثل البعر.والمتكلم بالكلام من البشر له صوت يخصه،ونغمة تخصه،كما له سجية تخصه،كما قال تعالى: (واختلاف ألسنتكم وألوانكم).[1]وله أيضاً ـ ان كان أمراً أو نهياً أو خبراً ـ من الحال والصفة والكيفية ما يختص به،فاذا سمع كلامه بالصفة المختصة به وقيل:هذا كلامه بعينه،وهذا عين كلامه،ونفس كلامه، وادخلت الصفة المختصة به فى مسمى العين والنفس،لم يصدق هذا عليه،إذا كان مرويا.

لكن لما كان الناس فى زماننا يعلمون ان أحداً لا يسمع كلام النبى صلى الله عليه وسلم منه:لم يسبق هذا المعنى إلى ذهن أحد،بل كل أحد يعلم إذا قلنا سمعنا كلام النبى صلى الله عليه وسلم،وهذا كلام النبى صلى الله عليه وسلم بعينه،وهذا عين كلامه،فانما المراد به المعنى الأول،وهو كونه مسموعا من المبلغ عنه،لا أنه مسموع منه،ولا أن تكلمه الذى يختص بالكلام وجد.

وإذا كان هذا في كلام النبي صلى الله عليه وسلم:فكلام الله سبحانه

---

١ ـ سورة الروم آية رقم ٢٢

أولى بذلك،فان الناس يعلمون ان احداً منهم لم يسمعه من الله،كما سمع موسى كلام الله من الله؛بل يعلمون أن كلام الله إنما سمع من المبلغين له،كما قال تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك،وإن لم تفعل فما بلغت رسالته)[1]وقال تعالى: (ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم)[2]وقال نوح: (ولكني رسول من رب العالمين.أبلغكم رسالات ربي)[3]

وفي سنن أبي داود عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول بالموقف: «الا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي؟فان قريشاً منعوني أن أبلغ كلام ربي»[4]

فلما كان هذا مستقراً في قلوب المستمعين علموا أن قوله تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[5] انما هو سماعه من المبلغين له،لا سماعه منه،وان هذا السماع ليس كسماع موسى كلام الله من الله؛فان موسى سمعه منه بلا واسطة،ونحن إذا سمعنا كلام النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة لم يكن كسمع الصحابة من النبي صلى الله عليه وسلم،مع أنهم يبلغون حديثه كما سمعوه،مع العلم بأنهم لم يحكموا صوت النبي صلى الله عليه وسلم،فلا هي اصواتهم صوته،ولا مثل صوته،مع أنهم بلغوا حديثه كما سمعوه.فالقرآن أولى أن يكون جبريل بلغه كما سمعه،والرسول بلغه كما سمعه،والأمة بلغته كما سمعته،وان يكون ما بلغته هو ما سمعته،وهو كلام الله عز وجل في

---

١ ـ سورة المائدة آية رقم ٦٧
٢ ـ سورة الجن آية رقم ٢٨
٣ ـ سورة الأعراف آية رقم ٦٢
٤ ـ سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا
٥ ـ سورة التوبة آية رقم ٦

الحالين؛مع أن الرسول بشر من جنس البشر،والله تعالى:(ليس كمثله شيء).[1]

والتفاوت الذي بين صفات الخالق والمخلوق أعظم من التفاوت بين أدنى المخلوقات وأعلاها ،فاذا كان سمع التابعين لكلام النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة ليس كسمع الصحابة من النبى صلى الله عليه وسلم:فسماع كلام الله من الله أبعد من مماثلة سماع شيء لشيء من المخلوقات.

والقائل إذا قال لما سمعه من المبلغ عن الرسول هذا كلام الرسول أو هذا كلام صواب،أو حق أو صحيح،أو هذا حديث رسول الله أداه كما سمعه.أو هذا نفس كلام الرسول أو عينه،فانما قصد إلى مجرد الكلام،وهو ما يوجد حال سماعه من المبلغ،والمبلغ عنه لم يشر إلى ما يختص بأحدهما؛فلم يشر إلى مجرد صوت المبلغ،ولا مجرد صوت المبلغ عنه،ولا إلى حركة أحد منهما؛ بل هناك أمر يتحد فى الحالين وهذا امر يتعدد يختص كل منهما منه بما يخصه.

فاذا قيل:هذا هو كلامه كانت الاشارة إلى المتحد المتفق عليه بينهما.وإذا قيل:هذا صوته كانت الاشارة إلى المختص المتعدد ،فيقال:هذ صوت غليظ،أو رقيق،أو حسن،أو ليس حسناً؛كما فى الحديث الذي فى سنن ابن ماجه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال:«لله أشد أذنا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته»[2]وفى الحديث المشهور:«زينوا القرآن بأصواتكم»[3]قال أحمد:يحسنه بصوته ما استطاع.فبين الامام أحمد أن

---

١ ـ سورة الشورى.آية رقم ١١

٢ ـ سبق تخريج الحديث قريباً من هذا　　٣ ـ سبق تخريج الحديث قريباً من هذا

الصوت صوت القارىء،مع أن الكلام كلام الباري.وهذا كما انه معلوم من تبليغ كلام الله ورسوله،فكذلك فى تبليغ كلام كل أحد،فاذا سمع الناس منشداً ينشد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

قالوا:هذا شعر لبيد لفظه ومعناه،وهذا كلام لبيد،كما قال النبى صلى الله عليه وسلم:«اصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:ألا كل شيء ما خلا الله باطل».

ولو قال المنشد:هذا شعري أو كلامي لكذبه الناس،كما يكذبونه لو قال: هذا صوت لبيد،وإذا قال:هذا لفظ لبيد بالمعنى المعروف ـ وهو أن هذا الكلام الملفوظ هو كلامه بنظمه وتأليفه ـ لصدقه الناس.وإن قال:هذا لفظه بمعنى ان هذا بلفظه كذبه الناس؛فان «اللفظ» يراد به المصدر،ويراد به الملفوظ،وكذلك «التلاوة» و «القراءة» يراد بذلك المصدر ويراد به الكلام نفسه الذي يقرأ ويتلى.

وأصل هذا أن تعلم الجامع والفارق بين سماع الكلام من المتكلم به،ومن المبلغ له عن المتكلم به،وانه كلامه فى الحالين؛لكن هو فى أحدهما مسموع منه سماعا مطلقاً بغير واسطة،وفى الأخرى مسموع منه سماعا مقيداً بواسطة التبليغ،كما انك تارة ترى الشمس والقمر والكواكب بطريق المباشرة، فلا تحتاج فى ذلك إلى واسطة،وتارة تراها فى ماء أو مرآة ونحو ذلك؛تراها بواسطة ذلك الجسم الشفاف،فهي المقصودة بالرؤية فى الموضعين؛لكن فى احدى الحالتين رايتها نفسها بالمباشرة رؤية مطلقة،وفي الاخرى رايتها رؤية مقيدة بواسطة.

وإذا قلت:المرئي مثالها أو خيالها أو نحو ذلك.قيل:انت تجد الفرق بين رؤيتك خيال الشيء الذي هو ظله وتمثاله الذي هو صورته المصورة،وبين رؤيته في الماء والمرآة؛إذا كان المرئى هنا.وإن كان لابد فيه من توسط خيال فالمقصود بالرؤية هو الحقيقة؛ولكن تختلف باختلاف المرآة،فيرى كبيراً ان كانت المرآة كبيرة،وصغيراً إن كانت المرآة صغيرة،ومستطيلا ان كانت المرآة مستطيلة.وهذا الكلام المروي عن الغير المقصود منه هو نفس كلام ذلك الغير، وان كان لابد من توسط صوت هذا المبلغ؛ولهذا يختلف باختلاف صوت المبلغ؛فتارة يكون رقيقاً،وتارة غليظا،وتارة مجهوراً به،وتارة مخافتاً به.

فان قلت:فهذا المسموع مثل كلام المروي عنه،أو حكاية كلام المروي عنه، كما أطلق ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم،كان اطلاق هذا خطأ،كما أنك إذا قلت لما تراه فى الماء والمرآة هذا مثل الشمس،أو هذا يحكى الشمس:كان إطلاق ذلك خطأ،قال تعالى:(قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)[1]الآية،فقد بين عجز الخلائق عن الاتيان بمثله،مع أنهم قادرون على تبليغه وتلاوته؛فعلم ان هذا المسموع لا يقال انه مثل كلام الله،كما سماه كلامه؛لكنه كلامه بواسطة المبلغ لا بطريق المباشرة.

والله سبحانه قد فرق بين المتكلمين.فقال تعالى:(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا،أو من وراء حجاب،أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء)[2] ففرق بين تكليمه من وراء حجاب ـ كما كلمه موسى ـ وبين تكليمه بارساله رسولا يوحي باذنه؛ذاك تكليم بلا بواسطة،وهذا تكليمه بواسطة.

---

١ ـ سورة الشورى آية رقم ٥١　　٢ ـ سورة الاسراء آية رقم ٨٨

وان قلت:لما يبلغه المبلغ عن غيره هذا حكاية كلام ذلك كان الاطلاق خطأ،فان لفظ «الحكاية» إذا أطلق يراد به أنه أتى بكلام يشبه كلامه،كما يقال:هذا يحاكي هذا،وهذا قد حكى هذا؛لكن قد يقال:فلان قد حكى هذا الكلام عن فلان.كما يقال:رواه عنه،وبلغه عنه،ونقله عنه.وحدث به عنه؛ ولهذا يجيء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه. فكلما بلغه النبي صلي الله عليه وسلم عن الله فقد حكاه عنه،ورواه عنه.

فالقائل إذا قال للقارىء هذا يحكي كلام الله،أو يحكي القرآن،فقد يفهم منه أنه يأتي بكلام يحاكي به كلام الله،وهذا كفر.وإن أراد انه بلغه وتلاه فالمعنى صحيح؛لكن ينبغي تعبيره بما لا يدل على معنى باطل،فيقول:قرأه وتلاه،وبلغه وأداه؛ولهذا اذا قيل:يحكى القراءات السبع،ويرويها،وينقلها،لم ينكر ذلك؛لأنه لا يفهم منه إلا تبليغها؛لا أنه يأتي بمثلها.

فصــــل

القرآن كلام الله

إذا تبين ذلك.فيقال:هذا القرآن الذي نقرأه ونبلغه ونسمعه هو كلام الله الذي تكلم به،ونزل به منه روح القدس،كما قال تعالى:(فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم،انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون، وإذا بدلنا آية مكان آية ـ والله أعلم بما ينزل ـ قالوا:إنما أنت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون،قل نزله روح القدس من ربك بالحق؛ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين،ولقد نعلم انهم يقولون:انما يعلمه بشر؛لسان الذي يلحدون

اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)[1]فهذا الكلام فى القرآن الذي قالوا:انما يعلمه إياه بشر،وقد أبطل الله ذلك بقوله:(لسان الذي يلحدون اليه أعجمي،وهذا لسان عربي مبين)فدل على ان المراد به نفس القرآن العربى،الذي يمتنع أن يعلمه إياه،ذلك الأعجمي،الذي ألحدوا إليه.وقد قيل: انه رجل بمكة مولى لابن الحضرمي،والمعاني المجردة لا يمتنع تعلمها من الأعجمي،بخلاف هذا القرآن العربى،فدل ان هذا القرآن نزله روح القدس من الله تبارك وتعالى.

ومثله قوله تعالى فى الآية الأخرى:(والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق)[2]وهذا الكلام صفة الله تعالى،وأما ما اختص قيامه بنا؛من حركاتنا وأصواتنا،وفهمنا وغير ذلك من صفاتنا،فلم يقم منه شيء بذات الله سبحانه،كما ان ما اختص الرب تعالى بقيامه به لم ينتقل عنه،ولم يقم بغيره لا هو ولا مثله؛فان المخلوق إذا سمع من المخلوق كلامه وبلغه عنه كان ما بلغه هو كلامه،كما تقدم قول النبى صلى الله عليه وسلم:«نضر الله امرءاً سمع هنا حديثاً فبلغه كما سمعه»[3]مع أن ما قام بالنبى صلى الله عليه وسلم ـ بباطنه من العلم والارادة وغيرهما،وبظاهره من الحركة والصوت وغيرهما ـ لم ينتقل عنه،ولم يقم بغيره؛بل جميع صفات المخلوقين لا تفارق ذواتهم وتنتقل عنهم،فكيف يجوز ان يقال:ان صفة الخالق فارقت ذاته فانتقلت عنه؟

والمتعلم إذا أخذ علم العلم ونقله عنه لم يفارق ذات الأول،وينتقل عنها

---

١ ـ سورة النحل الآيات رقم ٩٨ ـ ١٠٣

٢ ـ سورة الأنعام آية رقم ١١٤

٣ ـ سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا

إلى الثاني؛بل نفس الحقيقة العلمية حصلت له مثل ما حصلت لمعلمه أو ليس مثله بل يشبهه؛ولهذا يشبه العلم بضوء السراج،كل أحد يقتبس منه وهو لم ينقص.ومن المعلوم أن من أوقد من مصباح غيره فانه لم ينتقل إلى سراجه شيء من جرم تلك النار،ولا شيء من صفاتها القائمة بها؛بل جعل الله بسبب ملاصقة النار ذلك ناراً مثل تلك فالحقيقة النارية موجودة،وإن كانت هذه العين ليست تلك؛لكن النار والعلم ليس هو مثل الكلام الذي يبلغ عن الغير؛بل هو مثل ان يسمع بعض الناس كلام غيره،وشعر غيره،فيقول من جنس ما قال،ويقول كما قال غيره مثله.كما يقال:وقع الخاطرعلى الخاطركوقع الحافر على الحافر،وليس هذا من التبليغ والرواية في شيء،فان قول القائل:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل

هو كلام لبيد كيف ما أنشده الناس وكتبوه؛فهذا الشعر الذي ينشده هو شعر لبيد بعينه.فاذا قيل:الشعر الذي قام بنا هو الذي قام بلبيد.قيل:ان أريد بذلك ان الشعر من حيث هو هو إن أريد أن نفس ما قام بذاته فارق ذاته وانتقل إلينا؛فليس كذلك،وكذلك ان أريد ان عين الصفة المختصة بذلك الشخص كحركته وصوته هي عين الصفة المختصة بنا،كحركتنا وصوتنا فليس كذلك.

فقولك:هذا هو لفظ فيه إجمال يبينه السياق.فاذا قلت:هذا الكلام هو ذاك،أو هذا الشعر هو ذاك،كنت صادقا.وإذا قلت هذا الصوت هو ذاك كان كذبا.

والناس لا يقصدون إذا قالوا:هذا شعر لبيد إلا القدر المتحد،وهي الحقيقة من حيث هي،مع قصر النظر عما اختص به احدهما.

فان قيل:القدر المتحد كلي مطلق،والكليات[1]إنما توجد فى الأذهان لا فى الأعيان.قيل:ذكر هذا هنا غلط،فان هذا إنما يقال لو كان رجل قد قال شعر لبيد من غير أن يعلم بشعره.فنقول:هذان شيئان اشتركا في النوع الكلي،وامتاز أحدهما عن الآخر بما يخصه،والكلي إنما يوجد كلياً فى الذهن لا في الخارج،وأما هنا فنفس شعره كان له وجود فى الخارج،والمقصود من الحقيقة الكلامية ـ مع قطع النظر عن صوت زيد وصوت عمرو ـ موجود لما تكلم به لبيد،وموجود إذا أنشده غير لبيد،وتلك الحقيقة المتحدة موجودة هنا وهنا؛ليست مثل وجود الانسانية فى زيد وعمرو وخالد؛فان إنسانية زيد ليست إنسانية عمرو بل مثلها،والمشترك بينهما لا يوجد فى الخارج،وهنا نفس الكلام الذي يتكلم به لبيد تكلم به المنشد عنه،ولا يقال:انه أنشأ مثله، ولا أنشد مثله،بل يقال:أنشد شعره بعينه.

لكن الشعر عرض،والعرض لا يقوم إلا بغيره؛فلا بد أن يقوم اما بلبيد وإما بغيره،والقائم به وإن كان [ليس] مثل القائم بغيره؛لكن المقصود بهما واحد.فالتماثل والتغاير في الوسيلة،والاتحاد فى الحقيقة المقصودة،وتلك الحقيقة هي انشاء لبيد لا انشاء غيره،والعقلاء يعلمون انه ليس نفس الصوت المسموع من المنشد؛لكن نفس المقصود بالصوت هو الكلام؛فان

---

١ ـ الكليات الخمس هى:الجنس،والنوع،والفصل،والخاصة والعرض العام.

ومسألة الكليات فى تاريخ الفلسفة مسألة عويصة وهى السؤال عن الكليات هل هى موجودة فى العقل أم خارج العقل فالوجودية تقول:ان للكليات وجوداً خارج العقل،والتصورية:تقول إنها موجودة فى العقل،والاسميه:تقول:إنها أسماء لاغير.

والقديس توما الاكوينى:يقول على غرار ابن سينا أن لها ثلاثة أنماط فى الوجود،فهى موجودة فى العقل بعد الكثرة،وهى موجودة فى الأعيان وجوداً طبيعياً،وهى موجودة فى العقل الالهى قبل الكثرة.والكليات عند كانت:هى المعانى القبلية المستنبطه من المقولات.

الصوت واسطة فى تبليغه؛ولهذا ما كان فى الصوت من مدح وذم كان للمبلغ،وما كان في الكلام من مدح وذم كان للمتكلم المبلغ عنه فى لفظه ونظمه ومعناه.

وإذا عرف هذا:فقول القائل:هذا القرآن الذى نتلوه،القائم بنا حين التلاوة هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به،وكان صفة له أم لا ؟قيل له:اما الكلام فهو كلام الله لا كلامنا ولا غيرنا ،وهو مسموع من المبلغ لا من الله ـ كما تقدم ـ وهو مسموع بواسطة سماعاً مقيداً،لا سماعاً من الله مطلقاً ـ كما تقدم ـ وليس شيء مما قام بذاته فارقه وانتقل إلينا ،ولا شيء مما يختص بذاوتنا ـ كحركاتنا وأصواتنا فهو منا ـ قائماً به.

وأما قوله:هذا القرآن الذي نتلوه القائم بنا حين التلاوة هو كلام الله الذي قام به حين تكلم به؟فلفظ القيام فيه إجمال،فان أراد ان نفس صفة الرب تكون صفة لغيره،أو صفة العبد تكون صفة للرب،فليس كذلك.وإن أراد ان نفس ما ليس بمخلوق صار مخلوقاً،أو ما هو مخلوق صار غير مخلوق،فليس الأمر كذلك.وإن أراد أن ما اختص الرب بقيامه به شاركه فيه غيره،فليس الأمر كذلك.وإن أراد أن نفس الكلام كلامه لا كلام غيره فى الحالين ـ كما تقدم تقريره ـ فالأمر كذلك.

وقد علم ان الحال إذا سمع من الله ليس كالحال إذا سمع من خلقه،وذلك فرق بين الحالين،وإن كان الكلام واحداً.فاذا كان هذا الفرق ثابتاً في كلام المخلوق مسموعا ومبلغاً عنه فثبوته فى كلام الله أولى وأحرى،فان الله ليس كمثله شيء لا في ذاته،ولا فى صفاته،ولا فى أفعاله،ولا يمكن أن يكون تكلمه به وسماعه مما يعرف له نظير ولا مثال،ولا يقاس ذلك بتكلم النبى

صلى الله عليه وسلم،وسماع الكلام منه؛فان النبى صلى الله عليه وسلم بشر،يمكننا أن نعرف صفاته،والرب تعالى لا مثال له،وهو أبعد عن مماثلة المخلوقات أعظم من بعد مماثلة أعظم المخلوقات عن مماثلة أدناها.

وقول السائل:إذا تلوناه،وقام بنا،يطلق عليه كلام الله وصفته أم يطلق عليه كلام الله دون صفته؟أم في ذلك تفصيل يجب بيانه؟

فيقال:هو كلام الله وصفته،مسموعا من المبلغ عنه لا منه؛فالنفي والاثبات بدون هذا التفصيل يوهم:اما انه كلام الله مسموعا منه،أو أنه ليس كلام الله.بل كلام المبلغ عنه وكلا القولين خطأ وقع في كلام طائفتين من الناس.طائفة جعلت هذا كلام المبلغ عنه؛لا كلام الله.وطائفة قالت:هذا كلام الله مسموعا من الله،ولم تفرق بين الحالين؛حتى ادعى بعضها أن الصوت المسموع قديم،وتلك لم تجعله كلام الله؛بل كلام الناس.فهؤلاء يقولون:ليس هذا كلام الله،وأولئك يقولون:هذا الصوت المسموع قديم.وكلا القولين خطأ وضلال؛لكن هو كلامه مقيداً بواسطة المبلغ القارىء،ليس هو كلامه وصفته مطلقاً عن التقييد مسموعا منه،وكلام المتكلم يضاف إليه مطلقاً إذا سمع منه،ومقيداً إذا سمع من المبلغ عنه،كما أن رؤيته تقال:مطلقة إذا رؤي مباشرة.وتقال:مقيدة إذا رؤي في ماء أو مرآة.

وأما قوله:إذا قام بنا هل كان منتقلا عن الله بعد أن قام به أم يكون قائماً بنا وبه معاً؟أم الذي قام بنا يكون عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه؟ ويكون إطلاق كلام الله عليه مجازاً؟

فيقال:ان صفة المخلوق لا تفارق ذاته،وتنتقل عنه وتقوم بغيره،فكيف يجوز أن يقال:ان صفة الرب سبحانه فارقت ذاته،وانتقلت عنه وقامت بغيره.

وقد بينا ان المتكلم منا إذا أرسل غيره بكلام فانه ما قام به؛بل لم يفارق ذاته وينتقل إلى غيره؛فكلام اللّه أولى وأحرى؛بل كلامه سبحانه قائم به،كما يقوم به لو تكلم به ولم يرسل به رسولاً،فارساله رسولاً به يفيد إبلاغه الى الخلق،وانزاله إليهم لا يوجب نقصاً فى حق الرب،ولا زوال اتصافه به،ولا خروجه عن أن يكون كلامه؛بل نعلم أن الرب كما أنه قد يتكلم به،ولا يرسل به رسولاً قد يتكلم به ويرسل به رسولا،فهو ـ سبحانه ـ في الحالين كلامه؛ بل إرسال الرسول به نفع الخلق،وهداهم،ولم يجب به نقصان صفة مولاهم.

وقوله:أم يكون قائماً بنا وبه؟فيقال:معنى القائم لفظ مجمل؛فان أريد أن نفس الكلام من حيث هو هو تكلم هو به،وتكلمنا به مبلغين له عنه، فكذلك هو.وان أريد ان ما اختص به يقوم بنا،أو ما اختص بنا يقوم به، فهذا ممتنع.وإن أريد بالقيام انا ابلغنا كلامه،أو قرأنا كلامه،أو تلونا كلامه،فهذا صحيح.فكذلك إن أريد ان هذا الكلام،كلامه مسموعا من المبلغ لا منه.وإن أريد بالقيام أن الشيء الذي اختص به هو بعينه قام بغيره مختصاً به فهذا ممتنع.وإن قيل:الصفة الواحدة تقوم بموضعين.قيل:هذا أيضاً مجمل؛فان أريد أن الشيء المختص بمحل يقوم بمحل آخر فهذا ممتنع،وأن أريد أن الكلام الذي يسمى صفة واحدة يقوم بالمتكلم به ويبلغه عنه غيره كان هذا صحيحاً.

فهذه المواضع يجب أن تفسر الألفاظ المجملة بالألفاظ المفسرة المبينة،وكل لفظ يحتمل حقاً وباطلا فلا يطلق إلا مبيناً به المراد الحق دون الباطل؛فقد قيل أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء.وكثير من نزاع الناس فى هذا الباب هو من جهة الألفاظ المجملة،التى يفهم منها هذا معنى يثبته،ويفهم منها [الآخر] معنى ينفيه.ثم النفاة يجمعون بين حق وباطل،والمثبتة يجمعون بين حق وباطل.

وأما قوله:أم الذي يقوم بنا يكون عبارة عن كلام الله أو حكاية عنه، ويكون إطلاق كلام الله عليه مجازاً؟فيقال:العبارة عن كلام الغيب يقال لمن في نفسه معنى ثم يعبر عنه غيره،كما يعبر عما في نفس الأخرس من فهم مراده،والذين قالوا:«القرآن عبارة عن كلام الله» قصدوا هذا،وهذا باطل؛بل القرآن العربي تكلم الله به؛وجبريل بلغه عنه.

واما «الحكاية» فيراد بها ما يماثل الشيء،كما يقال:هذا يحاكي فلاناً إذا كان يأتي بمثل قوله أو عمله،وهذا ممتنع في القرآن؛فان الله تعالى يقول:(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)[1]الآية.وقد يقال فلان حكى فلان عنه،أي بلغه عنه،ويجيء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيما يحكى عن ربه،ويقال:ان النبي صلى الله عليه وسلم روى عن ربه،وحكى عن ربه.فاذا قيل:انه حكى عن الله بمعنى أنه بلغ عن الله فهذا صحيح.

وأما قول القائل:هل يكون كلام الله مجازاً؟فيقال:علامة المجاز صحة نفيه ونحن نعلم بالاضطرار ان فلاناً لو قال بحضرة الرسول ليس هذا كلام الله لكان عنده لم يكن متكلماً بالحقيقة اللغوية.

وأيضاً:فهذا موجود في كل من بلغ كلام غيره،انه يقال هذا كلام المبلغ عنه لا كلام المبلغ،والله أعلم.

---

١ ـ سورة الاسراء آية رقم ٨٨

فصـــل

ما تقول السادة أئمة الدين

في رجلين قال أحدهما: القرآن المسموع كلام الله. وقال الآخر: هو كلام جبرئيل، كما قال تعالى: (إنه لقول رسول كريم)[1] فهل أصاب أم أخطأ؟ وما الجواب عما احتج به؟ وهل هذا القول قاله أحد من الشيوخ والأئمة أو لا؟ أفتونا مأجورين؟.

فأجاب شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه: الحمد لله رب العالمين؛ بل القرآن كلام الله تعالى، وليس كلام جبرئيل. ولا كلام محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم باحسان، وأئمة المسلمين وأصحابهم، الذين يفتى بقولهم في الاسلام كأبى حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم.

وجبريل سمعه من الله، وسمعه محمد من جبريل، كما قال تعالى (قل نزله روح القدس من ربك بالحق).[2] وروح القدس هو جبريل، وقال تعالى: (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)[3] وقال تعالى: (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)[4] وقال تعالى: (حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم)[5] فهو منزل من الله، كما قال تعالى: (نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربى مبين).[6]

---

١ ـ سورة النحل آية رقم ١٠٢
٢ ـ سورة الأنعام آية رقم ١١٤
٣ ـ سورة الزمر آية رقم ١
٤ ـ سورة الجاثية آية رقم ٢
٥ ـ سورة غافر آية رقم ١ ـ ٢
٦ ـ سورة الشعراء الآيات ١٩٢ ـ ١٩٤

وأما قوله تعالى: (إنه لقول رسول كريم)فانه أضافه اليه لأنه بلغه واداه لا لكونه احدث منه شيئاً وابتداه؛فانه سبحانه قال في إحدى الآيتين: (إنه لقول رسول كريم،وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون،ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون،تنزيل من رب العالمين)[1]فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم. وقال في الآية الأخرى: (إنه لقول رسول كريم،ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين)[2]فالرسول هنا جبريل.والله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس؛فلو كانت إضافته إلى أحدهما لكونه الف النظم العربي،وأحدث منه شيئاً غير ذلك تناقض الكلام؛فانه ان كان نظم احدهما لم يكن نظم الآخر.

وأيضاً فانه قال: (لقول رسول)ولم يقل لقول ملك ولا نبى،ولفظ الرسول يشعر بأنه مبلغ له عن مرسله،لا أنه أنشأ من عنده شيئاً.

وأيضاً فقوله: (إنه لقول رسول كريم)ضمير يعود إلى القرآن والقرآن يتناول معانيه ولفظه،ومجموع هذا ليس قولا لغير الله باجماع المسلمين، واطلاق القول بأن القرآن كلام جبريل أو محمد أو غيرهما من المخلوقين كفر لم يقله أحد من أئمة المسلمين؛بل عظم الله الانكار على من يقول إنه قول البشر،فقال تعالى: (ذرنى ومن خلقت وحيداً)الى قوله: (انه فكر وقدر،فقتل كيف قدر،ثم قتل كيف قدر،ثم نظر،ثم عبس وبسر،ثم أدبر واستكبر،فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر،وما ادراك ما سقر).[3] فمن قال:ان القرآن قول البشر فقد كفر،وكذلك من قال انه قول ملك؛وانما يقول انه قول جبريل احد رجلين:

---

١ ـ سورة الحاقة آية رقم ٤٠ ـ ٤٣

٢ ـ سورة التكوير آية رقم ١٩ ـ ٢١

٣ ـ سورة المدثر آية رقم ١١ ـ ٢٧

اما رجل من الملاحدة والفلاسفة.الذين يقولون:إنه فيض فاض على نفس النبى من العقل الفعال،ويقولون:انه جبريل.ويقولون:إن جبريل هو الخيال الذي يتمثل في نفس النبى صلى الله عليه وسلم.يقولون:انه تلقاه معان مجردة،ثم انه تشكل فى نفسه حروفاً كما يتشكل فى نفس النائم،كما يقول ذلك ابن عربى صاحب «الفصوص» وغيره من الملاحدة؛ولهذا يدعى انه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك،الذى يوحى به إلى الرسول،فان «المعدن» عنده هو العقل،و «الملك» هو الخيال الذي في نفسه،والنبى عندهم يأخذ من هذا الخيال.وهذا الكلام من أظهر الكفر باجماع المسلمين واليهود والنصارى،وهو مما يعلم فساده بالاضطرار من دين المسلمين.

أو رجل ينتسب إلى مذهب الأشعري،ويظن ان هذا قول الأشعري؛بناء على ان الكلام العربى لم يتكلم الله به عنده وانما كلامه معنى واحد قائم بذات الرب:هو الأمر والخبر؛ان عبر عنه بالعربية كان قرآناً،وان عبر عنه بالعبرانية كان توراة،وان عبر عنه بالسريانية كان انجيلا،وهذا القول وان كان قول ابن كلاب والقلانسى،والأشعري ونحوهم،فلم يقولوا:إن الكلام العربى كلام جبريل،ومن حكى هذا عن الأشعري نفسه فهو مجازف،وانما قال طائفة من المنتسبين اليه ـ كما قالت طائفة أخرى ـ انه نظم محمد صلى الله عليه وسلم؛ولكن المشهور عنه ان الكلام العربى مخلوق،ولا يطلق عليه القول بأنه كلام الله؛لكن اذا كان مخلوقا فقد يكون خلقه فى الهواء،أو في جسم؛لكن القول اذا كان ضعيفاً ظهر الفساد فى لوازمه.

وهذا القول أيضاً لم يقله أحد من الصحابة والتابعين،وأئمة المسلمين واصحابهم، الذين يفتى بقولهم؛بل كان الشيخ ابو حامد الاسفرائينيي يقول:مذهبى

ومذهب الشافعي،واحمد بن حنبل،وسائر علماء الأمصار في القرآن مخالف لهذا القول،وكذلك أبو محمد الجويني والد أبي المعالي قال:مذهب الشافعي واصحابه في الكلام ليس هو قول الأشعري،وعامة العقلاء يقولون:إن فساد هذا القول معلوم بالاضطرار،فانا نعلم ان التوراة إذا عربت لم تكن هي القرآن،ونعلم ان آية الكرسي ليست هي معنى آية الدين.

والله تعالى قد فرق في كتابه بين تكليمه لموسى وايحائه إلى غيره بقوله تعالى:(إنا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده)[1]إلى قوله:(وكلم الله موسى تكليماً)[2]وقال تعالى:(وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً،أو من وراء حجاب،أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)[3]ففرق بين التكليم الذي حصل لموسى،وبين الايحاء المشترك،وموسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة،كما قال تعالى:(فاستمع لما يوحى إنني انا الله لا إله إلا أنا).[4]

والرسول إذا بلغه إلى الناس وبلغه الناس عنه كان مسموعا سماعا مقيداً بواسطة المبلغ،كما قال تعالى:(وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[5]فهو مسموع مبلغ عنه بواسطة المخلوق؛بخلاف سماع موسى صلى الله عليه وسلم،وان كان العبد يسمع كلام الرسول من المبلغين عنه،فليس ذلك كالسماع منه،فأمر الله تعالى أعظم.

---

١ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٣

٢ ـ سورة النساء آية رقم ١٦٤

٣ ـ سورة الشورى آية رقم ٥١

٤ ـ سورة طه آية رقم ١٣

٥ ـ سورة التوبة آية رقم ٦

ولهذا اتفق سلف الأمة وأئمتها على ان القرآن الذي يقرأه المسلمون كلام الله تعالى،ولم يقل أحد منهم ان اصوات العباد ولا مداد المصاحف قديم،مع اتفاقهم على ان المثبت بين لوحي المصحف كلام الله،وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم:«زينوا القرآن بأصواتكم»[1]فالكلام الذي يقرؤه المسلمون كلام الله،والأصوات التى يقرؤون بها أصواتهم.والله أعلم.

وسئل رحمه الله

ما تقول السادة العلماء الجهابذة، ـ أئمة الدين رضى الله عنهم أجمعين ـ فيمن يقول:الكلام غير المتكلم،والقول غير القائل،والقرآن والمقروء والقارىء كل واحد منها له معنى؟بينوا لنا ذلك بياناً شافياً؛ليصل الى ذهن الحاذق والبليد،أثابكم الله بمنه؟

فاجاب ـ رضي الله عنه ـ :

الحمد لله،من قال:ان الكلام غير المتكلم،والقول غير القائل وأراد انه مباين له ومنفصل عنه فهذا خطأ وضلال،وهو قول من يقول:ان القرآن مخلوق،فانهم يزعمون ان الله لا يقوم به صفة من الصفات،لا القرآن ولا غيره،ويوهمون الناس بقولهم العلم غير العالم والقدرة غير القادر،والكلام غير المتكلم،ثم يقولون:وما كان غير الله فهو مخلوق،وهذا تلبيس منهم.

فان لفظ «الغير» يراد به ما يجوز مباينته للآخر ومفارقته له،وعلى هذا فلا يجوز أن يقال علم الله غيره،ولا يقال ان الراحد من العشرة غيرها،

---

١ ـ سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا

وأمثال ذلك،وقد يراد بلفظ «الغير» ما ليس هو الآخر،وعلى هذا فتكون الصفة غير الموصوف،لكن على هذا المعنى لا يكون ما هو غير ذات الله الموصوفة بصفاته مخلوقا؛لأن صفاته ليست ذات؛لكن قائمة بالذات،والله سبحانه وتعالى هو الذات المقدسة الموصوفة بصفات كماله،وليس الاسم اسماً لذات لا صفات لها؛بل يمتنع وجود ذات لا صفات لها.

والصواب في مثل هذا أن يقال:الكلام صفة المتكلم،والقول صفة القائل، وكلام الله ليس بايناً منه؛بل أسمعه لجبريل،ونزل به على محمد صلى الله عليه وسلم،كما قال تعالى: (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق)[1]ولا يجوز ان يقال:ان كلام الله فارق ذاته،وانتقل إلى غيره.بل يقال كما قال السلف:انه كلام الله غير مخلوق،منه بدأ واليه يعود.فقولهم: «منه بدأ» رد على من قال:انه مخلوق في بعض الاجسام،ومن ذلك المخلوق ابتدأ.فبينوا ان الله هو المتكلم به «منه بدأ» لا من بعض المخلوقات «واليه يعود» أي فلا يبقي في الصدور منه آية،ولا في المصاحف حرف،وأما القرآن فهو كلام الله.

فمن قال:ان القرآن الذي هو كلام الله غير الله فخطؤه وتلبيسه كخطأ من قال ان الكلام غير المتكلم،وكذلك من قال ان كلام الله له مقروء غير القرآن الذي تكلم به فخطؤه ظاهر،وكذلك من من قال:ان القرآن الذي يقرؤه المسلمون غير المقرؤء الذي يقرؤه المسلمون فقد اخطأ.

وإن اراد بـ «القرآن» مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً،وقال:أردت أن القراءة

---

١ ـ سورة الأنعام آية رقم ١١٤

غير المقروء؛فلفظ القراءة مجمل،قد يراد بالقراءة القرآن،وقد يراد بالقراءة المصدر فمن جعل «القراءة» التى هي المصدر غير المقروء،كما يجعل التكلم الذي هو فعله غير الكلام الذي هو يقوله،وأراد بالغير أنه ليس هو إياه فقد صدق،فان الكلام الذي يتكلم به الانسان يتضمن فعلا كالحركة،ويتضمن فعلا كالحركة،ويتضمن ما يقترن بالفعل من الحروف والمعانى؛ولهذا يجعل القول قسيما للفعل تارة،وقسما منه أخرى.

فالأول كما يقول:الايمان قول وعمل.ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:«ان الله تجاوز لا متى ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به»[1]ومنه قوله تعالى:(اليه يصعد الكلم الطيب،والعمل الصالح يرفعه).[2]ومنه قوله تعالى:(وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل)[3] وأمثال ذلك مما يفرق بين القول والعمل.وأما دخول القول فى العمل ففي مثل قوله تعالى:(فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون).[4]وقد فسروه بقول لا إله إلا الله،ولما سئل صلى الله عليه وسلم أي الأعمال أفضل؟قال: «الايمان بالله» مع قوله:«الايمان بضع وسبعون شعبة،أعلاها قول لا إله إلا الله؛وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[5]ونظائر ذلك متعددة.

وقد تنوزع فيمن حلف لا يعمل عملا إذا قال قولا كالقراءة ونحوها هل يحنث؟على قولين فى مذهب احمد وغيره،بناء على هذا.

---

١ ـ سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هنا   ٢ ـ سورة فاطر آية رقم ١٠

٣ ـ سورة يونس آية رقم ٦١   ٤ ـ سورة الحجر آية رقم ٩٢

٥ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب الايمان ٥٧(٣٥) بسنده عن عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة ـ عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال:وذكره،واخرجه البخارى فى كتاب الايمان ٥٣ وأبو داود فى السنة ١٤والنسائى فى الايمان ١٦ وأحمد بن حنبل فى المسند٢:٤١٤، ٤٢٤٢ (حلبى)

فهذه الألفاظ التى فيها اجمال واشتباه إذا فصلت معانيها ،والا وقع فيها نزاع واضطراب،والله سبحانه وتعالى أعلم.

وسـئل

هل نفس المصحف هو نفس القرآن،أم كتابته؟وما في صدور القراء هل هو نفسَ القرآن أو حفظه؟

فأجاب:الواجب ان يطلق ما أطلقه الكتاب والسنة،كقوله تعالى:(بل هو قرآن مجيد.في لوح محفوظ)[1]وقوله:(انه لقرآن كريم،فى كتاب مكنون،لا يمسه إلا المطهرون)[2]وقوله:(والطور،وكتاب مسطور،فى رق منشور)[3] وقوله:(يتلو صحفاً مطهرة،فيها كتب قيمة)[4]وقوله تعالى:(كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره،فى صحف مكرمة،مرفوعة مطهرة،بأيدي سفرة،كرام بررة).[5]

وكذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم:«لا يسافر بالقرآن إلى أرض العدو»[6]وقوله:«استذكروا القرآن،فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم فى عقلها»[7]وكلاهما فى الصحيحين،وقوله:«الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[8]قال الترمذي:حديث صحيح.

١ ـ سورة البروج آية رقم ٢٢
٢ ـ سورة الواقعة آية رقم ٧٧ ـ ٧٨
٣ ـ سورة الطور آية رقم ١ ـ ٣
٤ ـ سورة البينة آية رقم ٢ ـ ٣
٥ ـ سورة عبس آية رقم ١١ ـ ١٦
٦ ـ سبق تخريج هذا الحديث فى هذا الجزء
٧ ـ سبق تخريج هذا الحديث فى هذا الجزء
٨ ـ الحديث أخرجه الامام الترمذى فى كتاب فضائل القرآن ٢٩١٣ عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس ـ قال:قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم:وذكره.وقال الترمذى:هذا حديث حسن صحيح.وأخرجه الدارمى فى فضائل القرآن ١

فمن قال:القرآن في المصاحف والصدور فقد صدق،ومن قال:فيها حفظه وكتابته فقد صدق،ومن قال:القرآن مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور فقد صدق،ومن قال:ان المداد أو الورق،أو صفة العبد أو فعله،أو حفظه وصوته قديم،أو غير مخلوق فهو مخطىء ضال،ومن قال:إنما في المصحف ليس هو كلام الله،أو ما في صدور القراء ليس هو كلام الله،أو قال: إن القرآن العزيز لم يتكلم به الله،ولكن هو مخلوق،أو صنفه جبريل أو محمد،وقال:إن القرآن في المصاحف كما أن محمداً في التوراة والانجيل،فهو أيضاً مخطىء ضال.فان القرآن كلام،والكلام نفسه يكتب في المصحف.

بخلاف الأعيان،فانه إنما يكتب اسمها وذكرها،فالرسول مكتوب في التوراة والانجيل ذكره ونعته،كما أن القرآن في زبر الأولين،وكما أن أعمالنا في الزبر.قال تعالى:(وانه لفي زبر الأولين)[1]وقال تعالى:(وكل شيء فعلوه في الزبر)[2]ومحمد مكتوب في التوراة والانجيل،كما أن القرآن في تلك الكتب،وكما ان أعمالنا في الكتب وأما القرآن فهو نفسه مكتوب في المصاحف،ليس المكتوب ذكره والخبر عنه،كما يكتب اسم الله في الورق،ومن لم يفرق بين كتابة الأسماء والكلام،وكتابة المسميات والأعيان ـ كما جرى لطائفة من الناس ـ فقد غلط غلطاً سوى فيه بين الحقائق المختلفة،كما قد يجعل مثل هؤلاء الحقائق المختلفة شيئاً واحداً،كما قد جعلوا جميع أنواع الكلام معنى واحداً.

وكلام المتكلم يسمع تارة منه،وتارة من المبلغ.فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال:«إنما الأعمال بالنيات،وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته

---

١ ـ سورة الشعراء آية رقم ١٩٦ ٢ ـ سورة القمر آية رقم ٥٢

الى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله،ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر إليه»[1]فهذا الكلام قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه ومعناه؛فلفظه لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم،ومعناه معنى الرسول.فاذا بلغه المبلغ عنه بلغ كلام الرسول بلفظه ومعناه؛ولكن صوت الصحابي المبلغ ليس هو صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالقرآن كلام الله لفظه ومعناه،سمعه منه جبريل،وبلغه عن الله إلى محمد؛ومحمد سمعه من جبريل وبلغه إلى أمته،فهو كلام الله حيث سمع وكتب وقرىء،كما قال تعالى:(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله،ثم أبلغه مأمنه).[2]

وكلام الله تكلم الله به بنفسه،تكلم به باختياره وقدرته،ليس مخلوقاً بائناً عنه؛بل هو قائم بذاته،مع أنه تكلم به بقدرته ومشيئته،ليس قائماً بدون قدرته ومشيئته.

والسلف قالوا:لم يزل الله تعالى متكلماً إذا شاء.فاذا قيل:كلام الله قديم؛بمعنى أنه لم يصر متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً،ولا كلامه مخلوق، ولا معنى واحد قديم قائم بذاته؛بل لم يزل متكلماً إذا شاء فهذا كلام صحيح.

ولم يقل أحد من السلف إن نفس الكلام المعين قديماً.وكانوا يقولون: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق،منه بدأ وإليه يعود.ولم يقل أحد منهم إن

---

١ ـ الحديث أخرجه الامام البخارى فى كتاب بدء الوحى ١ ـ حدثنا يحيى بن سعيد الأنصارى قال:أخبرنى محمد بن ابراهيم التيمى أنه سمع علقمة بن وقاص الليثى يقول:سمعت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه على المنبر قال:سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول:وذكره

٢ ـ سورة التوبة آية رقم ٦

القرآن قديم،ولا قالوا :ان كلامه معنى واحد قائم بذاته،ولا قالوا :ان حروف القرآن غير مخلوقة،وأنكروا على من قال:ان الله خلق الحروف.

وكان أحمد وغيره من السلف ينكرون على من يقول:لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق. يقولون:من قال هو مخلوق فهو جهمي،ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع؛فان «اللفظ» يراد به مصدر لفظ يلفظ لفظاً،ويراد باللفظ الملفوظ به،وهو نفس الحروف المنطوقة،وأما أصوات العباد ومداد المصاحف فلم يتوقف أحد من السلف فى أن ذلك مخلوق،وقد نص أحمد وغيره على ان صوت القارىء صوت العبد،وكذلك غير أحمد من الأئمة.وقال أحمد:من قال لفظي بالقرآن مخلوق يريد به القرآن فهو جهمي،فالانسان وجميع صفاته مخلوق،حركاته وأفعاله وأصواته مخلوقة،وجميع صفاته مخلوقة؛فمن قال عن شيء من صفات العبد انها غير مخلوقة أو قديمة فهو مخطىء ضال،ومن قال عن شيء من كلام الله أو صفاته إنه مخلوق فهو مخطىء ضال.

وأما أصوات العباد بالقرآن والمداد الذي فى المصحف فلم يكن أحد من السلف يتوقف فى ذلك؛بل كلهم متفقون ان أصوات العباد مخلوقة،والمداد كله مخلوق،وكلام الله الذي يكتب بالمداد غير مخلوق،قال الله تعالى:(قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا) .[1]

وهذه المسائل قد بسط الكلام عليها،وذكر أقوال الناس واضطرابهم فيها في مواضع أخر.

---

١ ـ سورة الكهف آية رقم ١٠٩

وقال قدس الله روحه

فصـــــل

تواتر ما بين لوحى المصحف

والقرآن الذي بين لوحي المصحف متواتر؛فان هذه المصاحف المكتوبة اتفق عليها الصحابة،ونقلوها قرآنا عن النبى صلى الله عليه وسلم وهي متواترة من عهد الصحابة،نعلم علماً ضروريا انها ما غيرت،والقراءة المعروفة عن السلف الموافقة للمصحف تجوز القراءة بها بلا نزاع بين الأئمة،ولا فرق عند الأئمة بين قراءة أبي جعفر ويعقوب،وخلف،وبين قراءة حمزة والكسائي،وأبى عمرو ونعيم،ولم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها ان القراءة مختصة بالقراء السبعة.

فان هؤلاء:إنما جمع قراءاتهم أبو بكرين مجاهد بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة،واتبعه الناس على ذلك،وقصد ان ينتخب قراءة سبعة من قراء الأمصار،ولم يقل هو ولا أحد من الأئمة انما خرج عن هذه السبعة فهو باطل، ولا أن قول النبى صلى الله عليه وسلم:«أنزل القرآن على سبعة أحرف»[1] أريد به قراءة هؤلاء السبعة؛ولكن هذه السبعة اشتهرت فى أمصار لا

١ ـ الحديث أخرجه الامام مسلم فى كتاب صلاة المسافرين. ٢٧(٨١٨)عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن بن عبد القارى قال سمعت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يقول:سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقرؤها ـ وكان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم أقرأ نيها قال:وذكره وأخرجه البخارى فى فضائل القرآن٥ . ٢٧وكتاب التوحيد٥٣وأبو داود فى كتاب الوتر ٢٢والترمذى فى القرآن٩والنسائى فى الافتتاح٣٧واحمد بن حنبل فى المسند٥:١٦ . ٤١ . ١١٤(حنبى)

يعرفون غيرها ،كأرض المغرب.فاولئك لا يقرؤون بغيرها ؛لعدم معرفتهم باشتهار غيرها.

فأما من اشتهرت عندهم هذه كما اشتهر غيرها ؛مثل أرض العراق وغيرها فلهم أن يقرأوا بهذا وهذا ،والقراءة الشاذة مثل ما خرج عن مصحف عثمان،كقراءة من قرأ: (الحي القيام)و(صراط من انعمت عليهم)و(إن كانت إلا زقية واحدة) (والليل إذا يغشى،والنهار إذا تجلى،والذكر والانثى) وأمثال ذلك.

فهذه إذا قرىء بها في الصلاة ففيها قولان مشهوران للعلماء،هما روايتان عن الامام أحمد.

«أحدهما» تصح الصلاة بها؛لأن الصحابة الذين قرأوا بها كانوا يقرؤونها في الصلاة،ولا ينكر عليهم.

«الثاني» لا ؛لأنها لم تتواتر إلينا ،وعلى هذا القول فهل يقال:انها كانت قرآنا فنسخ،ولم يعرف من قرأ [الا با] لناسخ؟أو لم تنسخ،ولكن كانت القراءة بها جائزة لمن ثبتت عنده دون من لم تثبت،أو لغير ذلك،هذا فيه نزاع مبسوط في غير هذا الموضع.

وأما من قرأ بقراءة أبي جعفر ويعقوب ونحوهما :فلا تبطل الصلاة بها باتفاق الأئمة؛ولكن بعض المتأخرين من المغاربة ذكر في ذلك كلاما وافقه عليه بعض من لم يعرف أصل هذه المسألة.

وقال شيخ الاسلام

ابن تيميه قدس الله روحه

الجهمية قالوا: الفاظنا بالقرآن مخلوقة

وأما «الحروف» هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة؟ فالخلاف فى ذلك بين الخلف مشهور، فاما السلف فلم ينقل عن أحد منهم ان حروف القرآن وألفاظه وتلاوته مخلوقة، ولا يدل على ذلك؛ بل قد ثبت عن غير واحد منهم الرد على من قال: إن ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. وقالوا: هو جهمي. ومنهم من كفره، وفي لفظ بعضهم تلاوة القرآن، ولفظ بعضهم الحروف.

وممن ثبت ذلك عنه أحمد بن حنبل، وأبو الوليد الجارودي صاحب الشافعي، واسحاق بن راهويه، والحميدي، ومحمد بن أسلم الطوسي،[1] وهشام بن عمار، واحمد بن صالح المصري. ومن أراد الوقوف على نصوص كلامهم فليطالع الكتب المصنفة فى السنة؛ مثل «الرد على الجهمية» للامام عبد الرحمن بن أبى حاتم، وكتاب «الشريعة» للآجرى و «الابانة» لابن بطة، و «السنة» للالكائى، و «السنة» للطبرانى وغير ذلك من الكتب الكثيرة، لم ينسب أحد منهم إلى خلاف ذلك، إلا بعض أهل الغرض نسب البخاري إلى أنه قال ذلك. وقد ثبت عنه بالاسناد المرضي أنه قال: من قال عني أنى قلت لفظي بالقرآن مخلوق فقد كذب. وتراجمه في آخر صحيحه تبين ذلك.

---

١ ـ هو محمد بن أسلم بن يزيد أبو الحسن الكندى مولاهم الطوسى من حفاظ الحديث اشتهر بالصلاح ونعته الذهبى بشيخ المشرق له «المسند» والرد على الجهمية، والايمان والاعمال، والرد على الكرامية، والأربعون حديثاً. توفى عام ٢٤٢ هـ

راجع تذكرة الحفاظ ٢:١٠٣ وحلية الأولياء ٩:٢٣٨ وشذرات الذهب ٢:١٠٠

وهنا ثلاثة أشياء:

«أحدها» حروف القرآن التى هي لفظه قبل أن ينزل بها جبريل،وبعد ما نزل بها،فمن قال:إن هذه مخلوقة فقد خالف إجماع السلف،فانه لم يكن فى زمانهم من يقول هذا،الا الذين قالوا:ان القرآن مخلوق فا اولئك قالوا بالخلق للالفاظ؛الفاظ القرآن،وأما ما سوى ذلك فهم لا يقرون بثبوته،لا مخلوقا ولا غير مخلوق،وقد اعترف غير واحد من فحول أهل الكلام بهذا:منهم عبد الكريم الشهرستانى مع خبرته بالملل والنحل،(١)فانه ذكر ان السلف مطلقاً ذهبوا إلى أن حروف القرآن غير مخلوقة،وقال:ظهور القول بحدوث القرآن محدث،وقرر مذهب السلف فى كتابه المسمى بـ «نهاية الكلام». (٢)

«الثانى» أفعاد العباد،وهي حركاتهم التى تظهر عليها التلاوة،فلا خلاف بين السلف ان أفعال العباد مخلوقة؛ولهذا قيل:إنه بدع اكثرهم من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛لأن ذلك قد يدخل فيه فعله.

«الثالث» التلاوة الظاهرة من العبد عقيب حركة الآية،فهذه منهم من يصفها بالخلق،وأول من قال ذلك ـ فيما بلغنا ـ حسين الكرابيسي،وتلميذه داود الاصبهاني،وطائفة؛فأنكر ذلك عليهم علماء السنة فى ذلك الوقت،وقالوا فيهم كلاما غليظا،وجمهورهم ـ وهم اللفظية عند السلف ـ الذين يقولون: لفظنا بالقرآن مخلوق،أو القرآن بالفاظنا مخلوق،ونحو ذلك.

وعارضهم طائفة من أهل الحديث والسنة كثيرون،فقالوا:لفظنا بالقرآن

---

١ ـ سبقت ترجمة وافيه له فى هذا الجزء

٢ ـ يسمى:نهاية الاقدام فى علم الكلام لابى الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستانى المتوفى ٥٤٨ أوله الحمد حمد الشاكرين الخ قال:وجعلتها عشرين قاعدة تشتمل على جميع مسائل الكلام.

غير مخلوق،والذي استقرت عليه نصوص الامام احمد وطبقته من اهل العلم: أن من قال:لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي،ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع،هذا هو الصواب عند جماهير أهل السنة،ان لا يطلق واحد منهما ،كما عليه الامام أحمد وجمهور السلف؛لأن كل واحد من الاطلاقين يقتضى إيهاما لخطأ؛فان أصوات العباد محدثة بلا شك،وان كان بعض من نصر السنة ينفي الخلق عن الصوت المسموع من العبد بالقرآن،وهو مقدار ما يكون من القرآن المبلغ.

فان جمهور أهل السنة انكروا ذلك وعابوه،جريا على منهاج احمد وغيره من أئمة الهدى،وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «زينوا القرآن بأصواتكم».

وأما التلاوةفي نفسها التى هي حروف القرآن والفاظه،فهي غير مخلوقة، والعبد إنما يقرأ كلام الله بصوته،كما انه إذا قال:قال النبى صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات» فهذا الكلام لفظه ومعناه إنما هو كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم،وهو قد بلغه بحركته وصوته،كذلك القرآن لفظه ومعناه كلام الله تعالى؛ليس للمخلوق فيه إلا تبليغه وتأديته وصوته،وما يخفى على لبيب الفرق بين التلاوة فى نفسها؛قبل ان يتكلم بها الخلق،وبعد أن يتكلموا بها،وبين ما للعبد في تلاوة القرآن من عمل وكسب،وإنما غلط بعض الموافقين والمخالفين،فجعلوا البابين بابا واحداً،وأرادوا أن يستدلوا على نفس حدوث حروف القرآن بما دل على حدوث أفعال العباد وما تولد عنها، وهذا من أقبح الغلط،وليس فى الحجج العقلية،ولا السمعية ما يدل على حدوث نفس حروف القرآن،إلا من جنس ما يحتج به على حدوث معانيه. والجواب عن الحجج مثل الجواب عن هذه لمن استهدى الله فهداه.

وأما ما ذكره من آيات الصفات وأحاديثها: فمذهب سلف الأمة من الصحابة والتابعين،وسائر الأئمة المتبوعين الاقرار والامرار. قال أبو سليمان الخطابي،وأبو بكر الخطيب:مذهب السلف فى آيات الصفات،وأحاديث الصفات،اجراؤها على ظاهرها مع نفي الكيفية،والتشبيه عنها. وقالا فى ذلك:ان الكلام فى الصفات فرع على الكلام فى الذات،يحتذى فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله،فاذا كان إثبات ذاتد إثبات وجود لا إثبات كيفية: فكذلك إثبات صفاته إثبات وجود لا إثبات كيفية،فلا نقول:إن معنى اليد القدرة،ولا ان معنى السمع العلم،هذا كلامهما.

وقال بعضهم:إذا قال لك الجهمي:كيف ينزل إلى سماء الدنيا ؟فقل له: كيف هو فى نفسه؟فان قال:نحن لا نعلم كيفية ذاته. فقل:ونحن لا نعلم كيفية صفاته،وكيف نعلم كيفية صفة،ولا نعلم كيفية موصوفها.

ومن فهم من صفات الله تعالى ما هو مستلزم للحدوث،مجانس لصفات المخلوقين،ثم أراد ان ينفي ذلك عن الله فقد شبه وعطل:بل الواجب ان لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه،أو وصفه به رسوله،لا نتجاوز القرآن والحديث. وان نعلم مع ذلك ان الله تعالى ليس كمثله شيء،لا في نفسه،ولا في أوصافه،ولا فى أفعاله،وان الخلق لا تطيق عقولهم كنه معرفته،ولا تقدر ألسنتهم على بلوغ صفته(سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين)[1]وصلى الله على محمد،وعلى آله وصحبه وسلم.

---

١ ـ سورة الصافات الآيات رقم ١٨٠ ـ ١٨٢

سئل رحمه الله

الشكل والنقط والمداد مخلوق

عمـن يقول: إن الشكل والنقط من كلام الله تبارك وتعالى، وهـل ذلك حق أم بـاطل؟ وما الحكم فـي الأحـرف؟ هـل هـي كلام الله أم لا؟ بينوا لنـا ذلك مثابين مأجورين؟.

فأجاب: الحمد لله رب العالمين، المصاحف التى كتبها الصحابة لم يشكلوا حروفاً، ولم ينقطوها؛ فانهم كانوا عرباً لا يلحنون، ثم بعد ذلك فى أواخر عصر الصحابة لما نشأ اللحن صاروا ينقطون المصاحف ويشكلونها وذلك جائز عند أكثر العلماء، وهو إحدى الروايتين عن أحمد، وكرهه بعضهم، والصحيح أنه لا يكره؛ لأن الحاجة داعية إلى ذلك، ولا نزاع بين العلماء ان [حكم] الشكل والنقط حكم الحروف المكتوبة، فان النقط تميز بين الحروف، والشكل يبين الاعراب، لأنه كلام من تمام الكلام. ويروى عن أبي بكر وعمر أنهما قالا: «إعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه» فاذا قرأ القارىء (الحمد لله رب العالمين) كانت الضمة والفتحة والكسرة من تمام لفظ القرآن.

وإذا كان كذلك فالمداد الذي يكتب به الشكل والنقط كالمداد الذي يكتب به الحروف، والمداد كله مخلوق، ليس منه شيء غير مخلوق. والصوت الذي يقرأ به الناس القرآن هو صوت العباد؛ لكن الكلام كلام الله تعالى، قال تعالى: (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[1] وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «زينوا القرآن بأصواتكم»[2] فالكلام كلام

---

١ ـ سورة التوبة آية رقم ٦

٢ ـ سبق تخريج هذا الحديث فى هذا الجزء

الباري،والصوت صوت القارىء،وهذا ليس هو الصوت الذي ينادى الله به عباده،ويسمعه موسى وغيره،كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

وكلام الله غير مخلوق عند سلف الأمة وأئمتها،وهو أيضاً يتكلم بمشيئته وقدرته عندهم،لم يزل متكلما إذا شاء فهو قديم النوع،وأما نفس «النداء» الذي نادى به موسى ونحو ذلك فحينئذ ناداه به،كما قال تعالى:(فلما أتاها نودي يا موسى)،[1]وكذلك نظائره،فكان السلف يفرقون بين نوع الكلام وبين الكلمة المعينة،قال تعالى:(قل:لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً).[2]وكلام الله وما يدخل في كلامه من ندائه.وغير ذلك ليس بمخلوق بائن منه،بل هو منه، والقرآن سمعه جبرئيل من الله،ونزل به إلى محمد صلى الله عليه وسلم،قال تعالى:(قل نزله روح القدس من ربك بالحق)[3]وقال تعالى:(والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)[4]وقال تعالى:(تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم)[5]ونحو ذلك.

والنبى صلى الله عليه وسلم بلغه إلى الأمة،والمسلمون يسمعه بعضهم من بعض،وليس ذلك كسماع موسى كلام الله،فانه سمعه بلا واسطة والذي يقرؤه المسلمون ويكتبونه فى مصاحفهم هو كلام الله لا كلام غيره وهم يقرؤونه بأصواتهم،ويكتبونه بمدادهم فى ورقهم.وأفعالهم،وأصواتهم، ومدادهم،مخلوق.

---

١ ـ سورة طه آية رقم ١١
٢ ـ سورة الكهف آية رقم ١٠٩
٣ ـ سورة النحل آية رقم ١٠٢
٤ ـ سورة الأنعام آية رقم ١١٤
٥ ـ سورة الزمر آية رقم ١

والقرآن الذي يقرؤونه ويكتبونه هو كلام الله تعالى غير مخلوق،سواء قرؤوه قراءة يثابون عليها،او لا يثابون عليها،وسواء كتبوه مشكولا منقوطا او كتبوه غير مشكول ولا منقوط؛فان ذلك لا يخرجه عن أن يكون المكتوب هو القرآن،وهو كلام الله الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم،وما بين اللوحين كلام الله،سواء كان مشكولا منقوطاً،او كان غير مشكول ولا منقوط،وكلام الله منزل غير مخلوق،وأصوات العباد والمداد مخلوقان. والقرآن العربي كلام الله تكلم به ليس بعضه كلام الله وبعضه ليس كلام الله،وليس لجبريل ولا لمحمد منه إلا التبليغ،لم يحدث واحد منهما شيئاً من حروفه؛بل الجميع كلام الله تبارك وتعالى.

وهذه «المسائل» مبسوطة فى غير هذا الجواب؛ولكن هذا قدر ما وسعته هذه الورقة.والله أعلم.

وقال شيخ الاسلام رحمه الله

فصــل

اختلاف العلماء فى الحرف والصوت

الكلام فى «القرآن» و «الكلام» هل هو حرف وصوت،أم ليس بحرف وصوت محدث:حدث فى حدود المائة الثالثة،وانتشر في المائة الرابعة؛فان أبا سعيد بن كلاب[1]ثم أبا الحسن الاشعري[2]ونحوهما لما ناظروا المعتزلة فى

---

١ ـ سبقت الترجمة له فى الجزء الأول فى كلمة وافية

٢ ـ سبقت الترجمة لأبى الحسن الأشعرى فى هذا الجزء قريباً من هنا

إثبات الصفات،وأن القرآن ليس بمخلوق ورأوا أن ذلك لا يتم إلا إذا كان القرآن قديماً،وأنه لا يمكن أن يكون قديماً إلا أن يكون معنى قائماً بنفس الله كعلمه،وزادوا أن الله لا يتكلم بصوت،ولا لغة،لا قديم ولا غير قديم،لما رأوه من امتناع قيام أمر حادث به،وخالفوا فى ذلك جمهور المسلمين:من أهل الحديث،والفقه،والكلام والتصوف،وإن تنوعت مآخذهم فان الآثار شاهدة بأن الله يتكلم بصوت.

ولهذا جهم الامام أحمد وغيره من أنكر ذلك.قال عبد الله بن أحمد:قلت لأبى:ان أقواما يقولون:إن الله لا يتكلم بصوت.

فقال:هؤلاء جهمية؛إنما يدورون على التعطيل،وذكر حديث ابن مسعود، وكذلك رواه غير واحد عن أحمد.وكذلك البخاري ترجم فى صحيحه بابا فى قوله:(حتى إذا فزع عن قلوبهم)[1]بين فيه الحجة على أن الله يتكلم بصوت. وكذلك المصنفون فى السنة من أئمة الحديث وهم كثير،وكذلك أئمة الصوفية، كالحارث المحاسبى،وأبى الحسن بن سالم وغيرهما،وكذلك الفقهاء من جميع الطوائف:المالكية،والشافعية والحنفية،والحنبلية،المصنفون فى أصول الفقه،يقررون أن الأمر والنهي،والخبر،والعموم له صيغ موضوعة في اللغة تدل بمجردها على أنها أمر ونهي،وخبر،وعموم،ويذكرون خلاف الأشعرية فى أن الأمر لا صيغة له.

ثم المثبتون للصوت منهم المعتزلة،الذين يقولون:القرآن مخلوق يقولون كلامه صوت قائم بغيره،ومنهم الكرامية،وطوائف من أهل الحديث من الحنبلية، وغيرهم،يقولون:يتكلم بصوت قائم به،لكن ليس الصوت بقديم.

١ سورة سبأ آية رقم ٢٣

ومنهم طائفة من متكلمة أهل السنة من الحنبلية وغيرهم يقولون: يتكلم بصوت قديم قائم به.

ومنهم طائفة من الفقهاء من الحنفية وغيرهم، يقولون: يخاطب بصوت قائم بغيره. والمعنى قديم قائم به.

فلما أظهرت الأشعرية ـ كالقاضي أبى بكر بن الباقلانى[1] وغيره فى أواخر المائة الرابعة ـ ان الكلام ليس بحرف، ولا صوت، ولا لغة، وقد تبعهم قوم من الفقهاء من أصحاب مالك، والشافعي، وأبى حنيفة وقليل من أصحاب أحمد رأى أهل الحديث، وجمهور أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث ما فى ذلك من البدعة؛ فأظهروا خلاف ذلك، وأطلق من أطلق منهم أن كلام الله حرف وصوت[2].

سئل رحمه الله

عن رجلين تباحثا، فقال أحدهما: القرآن حرف وصوت. وقال الآخر: ليس هو بحرف ولا صوت، وقال أحدهما: النقط التى فى المصحف والشكل من القرآن، وقال الآخر: ليس ذلك من القرآن، فما الصواب فى ذلك؟

ابطال مقولة ابن كلاب والاشعرى

فأجاب رضي الله عنه: الحمد لله رب العالمين. هذه «المسألة» يتنازع فيها كثير من الناس ويخلطون فيها الحق بالباطل، فالذي قال: ان القرآن حرف

١ ـ سبقت الترجمة له فى كلمة وافية قريباً من هذا

٢ ـ بياض بالاصل مقدار خمسة اسطر تقريبا.

وصوت إن أراد بذلك ان هذا القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله الذي نزل به الروح الأمين على محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين والمرسلين، وان جبريل سمعه من الله والنبى صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل، والمسلمون سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: (قل نزله روح القدس من ربك بالحق)[1]وقال: (والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق)[2]فقد أصاب فى ذلك؛فان هذا مذهب سلف الأمة وأئمتها ،والدلائل على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة والاجماع.

ومن قال: أن القرآن العربى لم يتكلم الله به وإنما هو كلام جبريل أو غيره عبر به عن المعنى القائم بذات الله، كما يقول ذلك ابن كلاب والأشعري ومن وافقهما فهو قول باطل من وجوه كثيرة.

فان هؤلاء يقولون:انه معنى واحد قائم بالذات،وان معنى التوراة والانجيل والقرآن واحد،وانه لا يتعدد ولا يتبعض،وأنه ان عبر عنه بالعربية كان قرآنا ،وبالعبرانية كان توراة،وبالسريانية كان انجيلا،فيجعلون معنى آية الكرسي وآية الدين و(قل هو الله أحد)[3]و (تبت يدا أبى لهب)،[4]والتوراة والانجيل وغيرهما معنى واحداً،وهذا قول فاسد بالعقل والشرع،وهو قول أحدثه ابن كلاب لم يسبقه إليه غيره من السلف.

وان أراد القائل بالحرف والصوت أن الاصوات المسموعة من القراء،والمداد الذي فى المصاحف قديم أزلي،أخطأ وابتدع،وقال ما يخالف العقل والشرع؛ فان النبى صلى الله عليه وسلم قال «زينوا القرآن بأصواتكم» فبين أن الصوت

١ ـ سورة النحل آية رقم ١٠٢
٢ ـ سورة الأنعام آية رقم ١١٤
٣ ـ سورة الأخلاص آية رقم ١
٤ ـ سورة المسد آية رقم ١

صوت القارىء،والكلام كلام البارىء،كما قال تعالى:(وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله)[1]فالقرآن الذي يقرؤه المسلمون كلام الله لا كلام غيره كما ذكر الله ذلك،وفي السنن عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول:«ألا رجل يحملنى إلى قومه لأبلغ كلام ربى،فان قريشاًقد منعونى أن أبلغ كلام ربى»[2]وقالوا لأبي بكر الصديق لما قرأ عليهم:(الم غلبت الروم)[3] أهذا كلامك أم كلام صاحبك؟فقال:ليس بكلامي ولا كلام صاحبى؛ولكنه كلام الله تعالى.

والناس إذا بلغوا كلام النبى صلى الله عليه وسلم كقوله:«إنما الأعمال بالنيات» فان الحديث الذي يسمعونه حديث النبى صلى الله عليه وسلم تكلم به بصوته وبحروفه ومعانيه،والمحدث بلغه عنه بصوت نفسه لا بصوت النبى صلى الله عليه وسلم،فالقرآن أولى أن يكون كلام الله إذا بلغته الرسل عنه، وقرأته الناس باصواتهم.

والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه بصوت نفسه،ونادى موسى بصوت نفسه؛كما ثبت بالكتاب والسنة وإجماع السلف،وصوت العبد ليس هو صوت الرب ولا مثل صوته؛فان الله ليس كمثله شي:لا فى ذاته،ولا فى صفاته،ولا فى أفعاله.

وقد نص أئمة الاسلام أحمد ومن قبله من الأئمة على ما نطق به الكتاب والسنة من ان الله ينادي بصوت،وان القرآن كلامه تكلم به بحرف وصوت

---

١ ـ سورة التوبه آية رقم ٦

٢ ـ سبق تخريج هذا الحديث فى هذا الجزء

٣ ـ سورة الروم آية رقم ١

ليس منه شيء كلاما لغيره،لا جبريل ولا غيره،وان العباديقرؤونه بأصوات أنفسهم وأفعالهم،فالصوت المسموع من العبد صوت القارىء والكلام كلام الباريء.

وكثير من الخائضين في هذه المسألة لا يميز بين صوت العبد وصوت الرب؛بل يجعل هذا هو هذا فينفيهما جميعا أو يثبتهما جميعاً،فاذا نفى الحرف والصوت نفى أن يكون القرآن العربى كلام الله،وأن يكون مناديا لعباده بصوته،وأن يكون القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله كما نفى أن يكون صوت العبد صفة لله عز وجل،ثم جعل كلام الله المتنوع شيئاً واحداً لا فرق بين القديم والحادث،هو مصيب في هذا الفرق دون ذاك الثانى الذي فيه نوع من الالحاد والتعطيل،حيث جعل الكلام المتنوع شيئاً واحداً لا حقيقة له عند التحقيق.

وإذا ثبت جعل صوت الرب هو صوت العبد أو سكت عن التمييز بينهما مع قوله ان الحروف متعاقبة فى الوجود مقترنة فى الذات قديمة أزلية الأعيان فجعل عين صفة الرب تحل فى العبد أو تتحد بصفته،فقال بنوع من الحلول والاتحاد يقضي إلى نوع من التعطيل.

وقد علم ان عدم الفرق والمباينة بين الخالق وصفاته والمخلوق وصفاته خطأ وضلال لم يذهب اليه احد من سلف الامة وأئمتها؛بل هم متفقون على التمييز بين صوت الرب وصوت العبد،ومتفقون أن الله تكلم بالقرآن الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم حروفه ومعانيه وأنه ينادي عباده بصوته،ومتفقون على ان الأصوات المسموعة من القراء أصوات العباد،وعلى أنه ليس شيء من أصوات العباد ولا مداد المصاحف قديماً،بل القرآن مكتوب

فى مصاحف المسلمين مقروء بألسنتهم محفوظ بقلوبهم وهو كله كلام الله.والصحابة كتبوا المصاحف لما كتبوها بغير شكل ولا نقط،لأنهم كانوا عربا لا يلحنون،ثم لما حدث اللحن نقط الناس المصاحف وشكلوها ،فان كتبت بلا شكل ولا نقط جاز،وإن كتبت بنقط وشكل جاز ولم يكره فى أظهر قولي العلماء،وهو إحدى الروايتين عن أحمد.

وحكم «النقط والشكل» حكم الحروف،فان الشكل يبين إعراب القرآن كما يبين النقط الحروف.والمداد الذي يكتب به الحروف ويكتب به الشكل والنقط مخلوق،وكلام الله العربى الذي أنزله وكتب في المصاحف بالشكل والنقط وبغير شكل ونقط ليس بمخلوق،وحكم الاعراب حكم الحروف؛لكن الأعراب لا يستقل بنفسه بل هو تابع للحروف المرسومة؛فلهذا لا يحتاج لتجريدهما وإفرادهما بالكلام؛بل القرآن الذي يقرؤه المسلمون هو كلام الله: معانيه وحروفه،وإعرابه،والله تكلم بالقرآن العربي الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم والناس يقرءونه بأفعالهم وأصواتهم.والمكتوب فى مصاحف المسلمين هو كلام الله،وهو القرآن العربي الذي أنزل على نبيه:سواء كتب بشكل ونقط أو بغير شكل ونقط،والمداد الذي كتب به القرآن ليس بقديم؛بل هو مخلوق،والقرآن الذي كتب في المصحف بالمداد هو كلام الله منزل غير مخلوق،والمصاحف يجب احترامها باتفاق المسلمين؛لأن كلام الله مكتوب فيها ،واحترام النقط والشكل إذا كتب المصحف مشكلا منقوطاً كاحترام الحروف باتفاق علماء المسلمين كما ان حرمة إعراب القرآن كحرمة حروفه المنقوطة باتفاق المسلمين.ولهذا قال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: حفظ إعراب القرآن أحب الينا من حفظ بعض حروفه.

والله تكلم بالقرآن بحروفه ومعانيه،فجميعه كلام الله،فلا يقال بعضه كلام الله وبعضه ليس بكلام الله،وهو سبحانه نادى موسى بصوت سمعه موسى،فانه قد أخبر انه نادى موسى في غير موضع من القرآن كما قال تعالى:(هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى)[1]والنداء لا يكون إلا صوتا باتفاق أهل اللغة،وقد قال تعالى:(إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده،وأوحينا إلى إبراهيم واسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان،وآتينا داود زبورا،ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك،وكلم الله موسى تكليما)[2]فقد فرق الله بين إيحائه إلى النبيين وبين تكليمه لموسى،فمن قال:ان موسى لم يسمع صوتا؛بل ألهم معناه لم يفرق بين موسى وغيره،وقد قال تعالى:(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض،منهم من كلم الله،ورفع بعضهم درجات)[3]وقال تعالى:(وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً،أو من وراء حجاب،أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)[4]فقد فرق بين الايحاء والتكلم من وراء حجاب كما كلم الله موسى،فمن سوى بين هذا وهذا كان ضالا.

وقد قال الامام أحمد رضي الله عنه وغيره من الأئمة:لم يزل الله متكلما إذا شاء.وهو يتكلم بمشيئته وقدرته،يتكلم بشيء بعد شيء،كما قال تعالى:(فلما أتاها نودي يا موسى)[5]فناداه حين أتاها ولم يناده قبل ذلك،وقال تعالى:(فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما،وطفقا

---

١ ـ سورة النازعات آية رقم ١٦
٢ ـ سورة النساء الآيات من رقم ١٦٣ ـ ١٦٤
٣ ـ سورة البقرة آية رقم ٢٥٣
٤ ـ سورة الشورى آية رقم ٥١
٥ ـ سورة طه آية رقم ١١

يخصفان عليهما من ورق الجنة،وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين؟!)[1]فهو سبحانه ناداهما حين أكلا منها ولم ينادهما قبل ذلك،وكذلك قال تعالى:(ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم)[2]بعد أن خلق آدم وصوره،ولم يأمرهم قبل ذلك،وكذا قوله:(ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب،ثم قال له كن فيكون)[3]فأخبر انه قال له كن فيكون بعد أن خلقه من تراب،ومثل هذا الخبر فى القرآن كثير:يخبر انه تكلم فى وقت معين،ونادى فى وقت معين.وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه لما خرج إلى الصفا قرأ قوله تعالى:(ان الصفا والمروة من شعائر الله)[4]وقال:«نبدأ بما بدأ الله به»[5]فأخبر ان الله بدأ بالصفا قبل المروة.

والسلف اتفقوا على ان كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود. فظن بعض الناس ان مرادهم انه قديم العين،ثم قالت طائفة:هو معنى واحد، هو الأمر بكل مأمور،والنهي عن كل منهي،والخبر بكل مخبر،إن عبر عنه بالعربية كان قرآناً،وإن عبر عنه بالعبرانية كان توراة،وإن عبر عنه بالسريانية كان انجيلا.وهذا القول مخالف للشرع والعقل.

وقال طائفة:هو حروف وأصوات قديمة الاعيان لازمة لذات الله لم تزل

---

١ ـ سورة الاعراف آية رقم ٢٢ ـ ٢٣ ٢ ـ سورة الأعراف آية رقم ١١

٣ ـ سورة آل عمران آية رقم ٥٩ ٤ ـ سورة البقرة آية رقم ١٥٨

٥ ـ الحديث أخرجه صاحب الموطأ ٤١ باب البدء بالصفا فى السعى ١٢١ عن مالك عن جعفر بن محمد بن على أبيه عن جابر بن عبد الله أنه قال:سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكره.

وأخرجه الامام مسلم فى الحديث الطويل فى صفة الحجة النبوية عن جابر فى ١٥ ـ كتاب الحج ١٩ باب حجة النبى ـ صلى الله عليه وسلم حديث ١٤٧

لازمة لذاته،وإن الباء والسين والميم موجودة مقترنة بعضها ببعض معاً أزلا وأبداً لم تزل ولاتزال لم يسبق منـها شيء شيئاً.وهـذا أيضاً مخالف للشرع والعقـل.

وقـالت طائفـة:ان الله لا يتكلم بمشيـئـتـه وقـدرته،وانه في الازل كـان متكلما بالنداء الذي سمعه موسى،وإنما تجدد استماع موسى لا أنه ناداه حين أتى الوادي المقدس؛بل ناداه قبل ذلك بما لا يتناهى،ولكن تلك الساعة سمع النداء، وهؤلاء وافقوا الذين قالوا ان القرآن مخلوق فى أصل قولهم ان الرب لا تقوم به الامور الاختيـارية.فلا يقوم به كلام ولا فعل باختيـاره ومشيئته،وقـالوا:هذه حوادث،والرب لا تقوم به الحوادث،فخالفوا صحيح المنقول وصريح المعقول، واعتقدوا انهم بهذا يردون على الفلاسفة،ويثبتون حـدوث العـالم،وأخطأوا فى ذلك،فـلا للاسـلام نصـروا،ولا للفـلاسـفـة كسـروا ،وادعـوا ان الرب لم يكن قـادراً فى الازل على كـلام يتكلم به ولا فعل يفعله،وانه صار قادراً بعد ان لم يكن قـادراً بغير أمر حدث،او يغيرون العبارة فيقولون:لم يزل قـادراً؛لكن يقولون: ان المقدور كان ممتنعاً،وان الفعل صار ممكناً له بعد أن صار ممتنعاً عليه من غير تجدد شيء.

وقد يعبرون عن ذلك بأن يقولوا:كان قادراً في الأزل على ما يمكن فيما لا يزال.لا على ما لا يمكن في الأزل،فيجمعون بين النقيضين حيث يثبتونه قـادراً في حال كون المقدور عليه ممتنعاً عندهم،ولم يفرقوا بين نوع الكلام والفعل وبين عـينه،كما لم يفرق الفلاسفة بين هذا وهذا؛بل الفلاسفة ادعوا ان مفعوله المعين قديم بقدمه،فضلوا في ذلك وخالفوا صريح المعقول وصحيح المنقول؛فان الادلة لا تدل على قدم شيء بعينه من العالم بل تدل على ان ما سوى الله مخلوق حادث بعد ان لم يكن؛إذ هو فـاعل بقدرته ومشيئته كما

تدل على ذلك الدلائل القطعية والفاعل بمشيئته لا يكون شيء من مفعوله لازما لذاته بصريح العقل واتفاق عامة العقلاء؛بل وكل فاعل لا يكون شيء من مفعوله لازماً لذاته،ولا يتصور مقارنة مفعوله المعين له،ولو قدر انه فاعل بغير ارادة فكيف بالفاعل بالارادة.

وما يذكر بأن المعلول يقارن علته انما يصح فيما كان من العلل يجري مجرى الشروط فان الشرط لا يجب ان يتقدم على المشروط بل قد يقارنه كما يقارنه كما تقارن الحياة العلم،وأما ما كان فاعلا سواء سمي علة أو لم يسم علة فلا بد ان يتقدم على الفعل المعين،والفعل المعين لا يجوز ان يقارنه شيء من مفعولاته،ولا يعرف العقلاء فاعلا قط يلزمه مفعول معين.وقول القائل حركت يدي فتحرك الخاتم هو من باب الشرط لامن باب الفاعل؛ولأنه لو كان العالم قديماً لكان فاعله موجباً بذاته في الأزل ولم يتأخر عنه موجبه ومقتضاه،ولو كان كذلك لم يحدث شيء من الحوادث،وهذا خلاف المشاهدة.

وان كان هو سبحانه لم يزل قادراً على الكلام والفعل؛بل لم يزل متكلما إذا شاء فاعلا لما يشاء،ولم يزل موصوفاً بصفات الكمال،منعوتاً بنعوت الجلال والاكرام،والعالم فيه من الاحكام والاتقان ما دل على علم الرب،وفيه من الاختصاص ما دل على مشيئته،وفيه من الاحسان ما دل على رحمته، وفيه من العواقب الحميدة ما دل على حكمته،وفيه من الحوادث ما دل على قدرة الرب تعالى،مع ان الرب مستحق لصفات الكمال لذاته؛فانه مستحق لكل كمال ممكن الوجود لا نقص فيه،منزه عن كل نقص،وهو سبحانه ليس له كفؤ في شيء من أموره،فهو موصوف بصفات الكمال على وجه التفصيل منزه فيها عن التشبيه والتمثيل،ومنزه عن النقائص مطلقاً؛فان وصفه بها

من اعظم الاباطيل،وكماله من لوازم ذاته المقدسة لا يستفيده من غيره بل هو المنعم على خلقه بالخلق والانشاء وما جعله فيهم من صفات الأحياء،وخالق صفات الكمال أحق بها،ولا كفؤ له فيها.

وأصل اضطراب الناس فى «مسألة كلام الله» ان الجهمية والمعتزلة لما ناظرت الفلاسفة فى «مسألة حدوث العالم» اعتقدوا ان ما يقوم به من الصفات والأفعال المتعاقبة لا يكون إلا حادثا بناء على أن مالا يتناهى لا يمكن وجوده،والتزموا ان الرب كان فى الأزل غير قادر على الفعل والكلام؛ بل كان ذلك ممتنعاً عليه.وكان معطلا عن ذلك،وقد يعبرون عن ذلك بانه كان قدراً فى الأزل على الفعل فيما لا يزال مع امتناع الفعل عليه فى الأزل،فيجمعون بين النقيضين حيث يصفونه بالقدرة في حال امتناع المقدور لذاته؛إذ كان الفعل يستلزم أن يكون له أول والأزل لا أول له والجمع بين اثبات الأولية ونفيها جمع بين النقيضين.

ولم يهتدوا إلى الفرق بين ما يستلزم الأولية والحدوث وهو الفعل المعين والمفعول المعين،وبين مالا يستلزم ذلك وهو نوع الفعل والكلام؛بل هذا يكون دائماً وإن كان كل من آحاده حادثاً،كما يكون دائما في المستقبل،وإن كان كل من آحاده فانيا،بخلاف خالق يلزمه مخلوقه المعين دائماً فان هذا هو الباطل فى صريح العقل وصحيح النقل؛ولهذا اتفقت فطر العقلاء على إنكار ذلك لم ينازع فيه إلا شرذمة من المتفلسفة كابن[1]سينا وأمثاله الذين زعموا

---

١ ـ هو الحسين بن عبد الله بن سينا أبو على شرف الملك الفيلسوف صاحب التصانيف فى الطب والمنطق والطبيعيات أصله من بلغ ومولده فى احدى قرى بخارى عام ٣٧٠ هـ نشأ وتعلم فى بخارى وطاف البلاد وناظر العلماء وتقلد الوزارة فى همدان ـ وثار عليه عسكرها فتوارى ثم صار الى أصفهان وصنف بها اكثر كتبه وعاد آخر آيامه الى همدان ومات بها عام ٤٢٨ هـ من كتبه:القانون فى الطب،والشفاء فى الحكمة،والسياستوأسرار الحكمة الشرقية،وحى بن يفطان.وغير ذلك كثير.

راجع وفيات الأعيان١:١٥٢وتاريخ حكماء الاسلام٢٧ ـ ٧٢ودائرة المعارف الاسلامية ١:٢٠٣

أن الممكن المفعول قد يكون قديماً واجب الوجود بغيره فخالفوا فى ذلك جماهير العقلاء مع مخالفتهم لسلفهم أرسطو[1] وأتباعه؛ فانهم لم يكونوا يقولون ذلك، وإن قالوا بقدم الأفلاك، وأرسطو أول من قال بقدمها من الفلاسفة المشائين، بناء على إثبات علة غائية لحركة الفلك يتحرك الفلك للتشبيه بها، لم يثبتوا له فاعلا مبدعا، ولم يثبتوا ممكناً قديما واجبا بغيره، وهم وإن كانوا أجهل بالله واكفر من متأخريهم فهم يسلمون لجمهور العقلاء ان ما كان ممكنا بذاته فلا يكون إلا محدثاً مسبوقا بالعدم، فاحتاجوا أن يقولوا كلامه مخلوق منفصل عنه.

وطائفة وافقتهم على امتناع وجود ما لا نهاية له؛ لكن قالوا تقوم به الأمور الاختيارية فقالوا إنه فى الأزل لم يكن متكلماً بل ولا كان الكلام مقدوراً له ثم صار متكلماً بلا حدوث حادث بكلام يقوم به، وهو قول الهاشمية والكرامية وغيرهم.

وطائفة قالت إذا كان القرآن غير مخلوق فلا يكون الا قديم العين لازماً لذات الرب، فلا يتكلم بمشيئته وقدرته، ثم منهم من قال: هو معنى واحد قديم، فجعل آية الكرسي وآية الدين وسائر آيات القرآن والتوراة والانجيل وكل كلام يتكلم الله به معنى واحداً لا يتعدد ولا يتبعض، ومنهم من قال: أنه حروف وأصوات مقترنة لازمة للذات.

وهؤلاء أيضاً وافقوا الجهمية والمعتزلة في أصل قولهم انه متكلم بكلام لا يقوم بنفسه ومشيئته وقدرته، وأنه لا تقوم به الأمور الاختيارية، وأنه لم

١ ـ سبقت الترجمة له فى كلمة وافية.

يستو على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض،ولا يأتي يوم القيامة،ولم يناد موسى حين ناداه،ولا تغضبه المعاصي ولا ترضيه الطاعات ولا تفرحه توبة التائبين.وقالوا في قوله:(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)[1]ونحو ذلك:إنه لا يراها إذا وجدت؛بل إما أنه لم يزل رائياً لها، وإما إنه لم يتجدد شيء موجود بل تعلق معدوم،إلى أمثال هذه المقالات التي خالفوا فيها نصوص الكتاب والسنة مع مخالفة صريح العقل.

والذي الجأهم لذلك موافقتهم للجهمية على أصل قولهم في أنه سبحانه لا يقدر في الأزل على الفعل والكلام وخالفوا السلف والأئمة في قولهم:لم يزل الله متكلماً إذا شاء ثم افترقوا أحزاباً أربعة كما تقدم:الخلقية،والحدوثية، والاتحادية،والاقترانية.

وشر من هؤلاء الصابئة والفلاسفة الذين يقولون:إن الله لم يتكلم لا بكلام قائم بذاته،ولا بكلام يتكلم به بمشيئته وقدرته:لا قديم النوع،ولا قديم العين،ولا حادث،ولا مخلوق؛بل كلامه عندهم ما يفيض على نفوس الأنبياء.ويقولون إنه كلم موسى من سماء عقله،وقد يقولون:انه تعالى يعلم الكليات دون الجزئيات؛فانه إنما يعلمها على وجه كلي،ويقولون مع ذلك:انه يعلم نفسه و يعلم ما يفعله.

وقولهم يعلم نفسه ومفعولاته حق،كما قال تعالى:(ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير)؛[2]لكن قولهم مع ذلك:انه لا يعلم الأعيان المعينة جهل وتناقض فان نفسه المقدسة معينة،والأفلاك معينة،وكل موجود معين.فان لم

---

١ ـ سورة التوبة آية رقم ١٠٥ ٢ ـ سورة الملك آية رقم ١٤

يعلم المعنيات لم يعلم شيئاً من الموجودات،إذ الكليات إنما تكون كليات فى الأذهان لا في الأعيان،فمن لم يعلم إلا الكليات لم يعلم شيئاً من الموجودات. تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وهم إنما الجأهم الى هذا الالحاد فرارهم من تجدد الأحوال للباري تعالى،مع ان هؤلاء يقولون ان الحوادث تقوم بالقديم،وان الحوادث لا أول لها؛لكن نفوا ذلك عن الباري لاعتقادهم انه لا صفة له؛بل هو وجود مطلق،وقالوا:ان العلم نفس عين العالم،والقدرة نفس عين القادر،والعلم والعالم شيء واحد، والمريد والارادة شيء واحد،فجعلوا هذه الصفة هي الأخرى،وجعلوا الصفات هي الموصوف.

ومنهم من يقول بل العلم كل المعلوم كما يقوله الطرسي[1]صاحب «شرح الاشارات» فانه أنكر على ابن سينا اثباته لعلمه بنفسه وما يصدر عن نفسه،وابن سينا أقرب الى الصواب لكنه تناقض مع ذلك حيث نفى قيام الصفات به،وجعل الصفة عين الموصوف وكل صفة هي الأخرى.

ولهذا كان هؤلاء هم أوغل في الاتحاد والالحاد ممن يقول معاني الكلام شيء واحد؛لكنهم ألزموا قولهم لأولئك،فقالوا:إذا جاز أن تكون المعاني المتعددة شيئاً واحداً جاز أن يكون العلم هو القدرة،والقدرة هي الارادة. فاعترف حذاق أولئك بأن هذا الالزام لا جراب عنه.

---

١ ـ هو محمد بن محمد بن الحسن أبو جعفر نصير الدين الطوسى فيلسوف كان رأساً فى العلوم العقلية علامة بالأرصاد والرياضيات علت منزلته عند «هولاكو» فكان يطيعه فيما يشير به عليه ولد بطوس عام ٥٩٧ هـ وابتنى بمراغة قبة ورصداً عظيماً واتخذ خزانة ملأها من الكتب التى نهبت من بغداد والشام والجزيرة اجتمع فيها نحو أربعمائة ألف مجلد.صنف كتباً كثيرة منها تربيع الدائرة،وتحرير أصول اقليدس،وتجريد العقائد،وتلخيص المحصل وغير ذلك كثير

راجع:فوات الوفيات ٢:١٤٩ والوافى ١:١٧٩ وابن الوردى ٢:٢٢٣ وشذرات ٥:٣٣٩

ثم قالوا: وإذا جاز أن تكون هذه الصفة هي الأخرى جاز ان تكون الصفة هي الموصوف، فجاء ابن عربي وابن سبعين والقونوي ونحوهم من الملاحدة فقالوا: إذا جاز أن تكون هذه الصفة هي الأخرى والصفة هي الموصوف جاز أن يكون الموجود القديم الخالق هو الموجود الممكن المحدث المخلوق، فقالوا: إن وجود كل مخلوق هو عين وجود الخالق، وقالوا: الوجود واحد، ولم يفرقوا بين الواحد بالنوع والواحدبالعين، كما لم يفرق أولئك بين الكلام الواحد بالعين والكلام الواحد بالنوع.

وكان منتهى أمر أهل الالحاد في الكلام الى هذا التعطيل والكفر والاتحاد الذي قاله أهل الوحدة والحلول والاتحاد في الخالق والمخلوقات، كما ان الذين لم يفرقوا بين نوع الكلام وعينه وقالوا هو يتكلم بحرف وصوت قديم، قالوا أولا: انه لا يتكلم بمشيئته وقدرته، ولا تسبق الباء السين؛ بل لما نادى موسى فقال(انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني)[1](إنى أنا الله رب العالمين)[2]كانت الهمزة والنون وما بينهما موجودات في الأزل يقارن بعضها بعضاً، لم تزل ولا تزل لازمة لذات الله تعالى.

ثم قال فريق منهم: ان ذلك القديم هو نفس الأصوات المسموعة من القراء. وقال بعضهم: بل المسموع صوتان قديم ومحدث ـ وقال بعضهم: أشكال المداد قديمة أزلية. وقال بعضهم: محل المداد قديم أزلي. وحكي عن بعضهم انه قال: المداد قديم أزلي، وأكثرهم يتكلمون بلفظ القديم ولا يفهمون معناه؛ بل منهم من يظن ان معناه انه قديم في علمه، ومنهم من يظن ان معناه متقدم على غيره، ومنهم من يظن ان معنى اللفظ انه غير مخلوق، ومنهم من لا يميز بين

---

١ ـ سورة طه آية رقم ١٤   ٢ ـ سورة القصص آية رقم ٣٠

ما يقول،فصار هؤلاء حلولية اتحادية في الصفات،ومنهم من يقول بالحلول والاتحاد فى الذات والصفات،وكان منتهى أمر هؤلاء وهؤلاء الى التعطيل.

والصواب في هذا الباب وغيره مذهب سلف الأمة وأئمتها :انه سبحانه لم يزل متكلماً إذا شاء،وانه يتكلم بمشيئته وقدرته،وان كلماته لا نهاية لها ،وانه نادى موسى بصوت سمعه موسى،وإنما ناداه حين أتى؛لم يناده قبل ذلك،وان صوت الرب لا يماثل أصوات العباد ،كما ان علمه لا يماثل علمهم،وقدرته لا تماثل قدرتهم،وانه سبحانه بائن عن مخلوقاته بذاته وصفاته،ليس في مخلوقاته شيء من ذاته وصفاته القائمة بذاته،ولا في ذاته شيء من مخلوقاته،وان أقوال أهل التعطيل والاتحاد ،الذين عطلوا الذات أو الصفات أو الكلام أو الأفعال باطلة،وأقوال أهل الحلول الذين يقولون بالحلول فى الذات او الصفات باطلة،وهذه الأمور مبسوطة فى غير هذا الموضع وقد بسطناها فى الواجب الكبير والله أعلم بالصواب.

فصل فى دفن المصحف العتيق

وسئل رحمه الله

عن المصحف العتيق إذا تمزق ما يصنع به؟ومن كتب شيئاً من القرآن ثم محاه بماء أو حرقه فهل له حرمة أم لا ؟

فأجاب:الحمد لله،أما المصحف العتيق والذي تخرق،وصار بحيث لا ينتفع به بالقراءة فيه،فانه يدفن في مكان يصان فيه،كما أن كرامة بدن المؤمن دفنه

فى موضع يصان فيه،وإذا كتب شيء من القرآن أو الذكر فى إناء أو لوح ومحى بالماء وغيره،وشرب ذلك فلا بأس به،نص عليه أحمد وغيره،ونقلوا عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ انه كان يكتب كلمات من القرآن والذكر،ويأمر بأن تسقى لمن به داء،وهذا يقتضي أن لذلك بركة.

والماء الذي توضأ به النبى صلى الله عليه وسلم هو أيضاً ماء مبارك؛ صب منه على جابر وهو مريض.وكان الصحابة يتبركون به،ومع هذا فكان يتوضأ على التراب وغيره،فما بلغني أن مثل هذا الماء ينهى عن صبه فى التراب ونحوه،ولا أعلم فى ذلك نهياً،فان أثر الكتابة لم يبق بعد المحو كتابة، ولا يحرم على الجنب مسه.ومعلوم أنه ليس له حرمة كحرمته ما دام القرآن والذكر مكتوبان،كما أنه لو صيغ فضة أو ذهب أو نحاس على صورة كتابة القرآن والذكر،أو نقش حجر على ذلك على تلك الصورة،ثم غيرت تلك الصياغة وتغير الحجر لم يجب لتلك المادة من الحرمة ما كان لها حين الكتابة.

وقد كان العباس بن عبد المطلب[1] يقول فى ماء زمزم:لا أحله لمغتسل،ولكن لشارب حل وبل.وروى عنه أنه قال: لشارب ومتوضىء ولهذا اختلف العلماء هل يكره الغسل والوضوء من ماء زمزم،وذكروا فيه روايتين عن أحمد،والشافعي احتج بحديث العباس،والمرخص احتج بحديث فيه أن

---

١ ـ هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الفضل من أكابر قريش فى الجاهلية والاسلام وجد الخلفاء العباسيين قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم فى وصفه:أجود قريش كفاً وأوصلها ـ هذا بقية آبائى وهو عمه ـ وكان محسناً لقومه مولعاً باعتاق العبيد ـ شهد وقعة حنين وشهد فتح مكة توفى بالمدينة عام ٣٢ هـ

راجع ابن سعد وصفة الصفوه ١:٢٠٣ وذيل المذيل أو ابن عساكر ٧:٢٢٦

النبى صلى الله عليه وسلم توضأ من ماء زمزم،والصحابة توضأوا من الماء الذي نبع من بين أصابعه مع بركته؛لكن هذا وقت حاجة.

والصحيح:أن النهي من العباس إنما جاء عن الغسل فقط لا عن الوضوء،والتفريق بين الغسل والوضوء هو لهذا الوجه،فان الغسل يشبه إزالة النجاسة؛ولهذا يجب أن يغسل فى الجنابة ما يجب أن يغسل من النجاسة؛وحينئذ فصون هذه المياه المباركة من النجاسات مترجه،بخلاف صونها من التراب ونحوه من الطاهرات.والله أعلم

انتهى الكتاب بحمد الله

فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	الآيـــــــة	رقم مسلسل
١٠	« « : « حتى إذا فزع عن قلوبهم » .	١٩
١٣	« « : « إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين » .	٢٠
١٤	قال تعالى : « وإذا نادى ربك موسى » .	٢١
١٤	قال تعالى : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكرى » .	٢٢
١٩	« « : « لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير » .	٢٣
٢١	« « : « قال تعالى وزاده بسطة في العلم والجسم » .	٢٤
٢١	« « : « وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم » .	٢٥
٣١	« « : « الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض » .	٢٦
٣١	قال تعالى : « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم . قل الله خالق كل شيء » .	٢٧
٣١	قال تعالى : « بديع السموات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبه وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار » .	٢٨
٣١	قال تعالى : « ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأني تؤفكون » .	٢٩
٣٢	« « : « الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذوا ولدا »	٣٠
٣٢	« « : « إنا كل شيء خلقناه بقدر » .	٣١
٣٢	« « : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم . والله يعلم ما تسرون وما تعلنون . والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون » .	٣٢
٣٣	قال تعالى : « إذا قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى » .	٣٣
٣٣	قال تعالى : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » .	٣٤

رقم مسلسل	الآيــــــــــة	رقم الصفحة
١٠١	قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ، ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » .	٩٤
١٠٢	قال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء » .	٩٤
١٠٣	قال تعالى : « وإذا أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي » .	٩٥
١٠٤	« « : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه » .	٩٥
١٠٥	« « : « وأوحى في كل سماء أمرها » .	٩٥
١٠٦	« « : « وأوحى ربك إلى النحل » .	٩٥
١٠٧	« « : « أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء » .	٩٧
١٠٨	« « : « وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيًا » .	٩٨
١٠٩	« « : « فلما أتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى » .	٩٨
١١٠	قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله » .	٩٨
١١١	« « : « ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » .	٩٨
١١٢	« « : « وكلم الله موسى تكليمًا » .	٩٨
١١٣	« « : « فاستمع لما يوحى » .	٩٩
١١٤	« « : « آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويًا » .	٩٩
١١٥	« « : « فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم » .	٩٩
١١٦	« « : « ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا » .	٩٩
١١٧	« « : « منهم من كلم الله » .	١٠٠
١١٨	« « : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده .. » إلى قوله : « وكلم الله موسى تكليمًا » .	١٠٠
١١٩	قال تعالى : « إلا وحيًا أو من وراء حجاب » .	١٠٠
١٢٠	« « : « ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » .	١٠٣
١٢١	« « : « أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرًا ولا نفعًا »	١٠٣
١٢٢	« « : « فاسألوهم إن كانوا ينطقون » .	١٠٣

رقم مسلسل	الآيـــــــة	رقم الصفحة
١٢٣	قال تعالى : « هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون » .	١٠٣
١٢٤	« « : « لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا » .	١٠٣
١٢٥	« « : « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » .	١٠٣
١٢٦	« « : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى ليسمع كلام الله ».	١٠٥
١٢٧	« « : « ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو	١٠٦
١٢٨	سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ، ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة » .	
١٢٩	قال تعالى : « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » .	١٠٦
١٣٠	« « : « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » .	١٠٨
١٣١	« « : « إنه لقول رسول كريم » .	١١١
١٣٢	« « : « ليس كمثله شيء » .	١٢٥
١٣٣	« « : « ولم يكن له كفوًا أحد » .	١٢٥
١٣٤	« « : « ولكن حق القول مني » .	١٢٦
١٣٥	« « : « تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » .	١٢٦
١٣٦	« « : « وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » .	١٢٦
١٣٧	« « : « الر كتاب أحكمت أياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » .	١٢٦
١٣٨	« « : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعًا منه » .	١٢٦
١٣٩	« « : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني » .	١٢٧
١٤٠	« « : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » .	١٢٩
١٤١	« « : « ولكن حق القول مني » .	١٣٠
١٤٢	« « : « وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون »	١٣٠
١٤٣	« « : « اتخذ الله ولداً مالهم به من علم ولا لآبائهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا » .	١٣٤
١٤٤	قال تعالى : « عزيز ابن الله » .	١٣٤
١٤٥	« « : « المسيح بن الله » .	١٣٤
١٤٦	« « : « ثم أنزل عليكم من بعد الغم » .	١٣٩

رقم مسلسل	الآيـــــــــة	رقم الصفحة
١٩٣	قال تعالى : « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين »	١٧٨
١٩٤	قال تعالى : « وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث ، إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكمًا وعلمًا » .	١٧٩
١٩٥	قال تعالى : « ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله »	١٧٩
١٩٦	« « : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا » .	١٨٢
١٩٧	قال تعالى : « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا »	١٨٣
١٩٨	« « : « يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أنظرونا نقتبس من نوركم .. » إلى قوله تعالى : « فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا »	١٨٣
١٩٩	قال تعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » .	١٨٣
٢٠٠	قال تعالى : « إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق » .	١٨٣
٢٠١	قال تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوي عزيز » .	١٨٣
٢٠٢	قال تعالى : « وكلم الله موسى تكليما » .	١٨٥
٢٠٣	« « : « إن هذا إلا قول البشر . سأصليه سقر » .	١٩٠
٢٠٤	« « : « أنا ربكم الأعلى » .	١٩٢
٢٠٥	« « : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني » .	١٩٢
٢٠٦	« « : « وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحًا لعلي أبلغ الأسباب . أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذبًا » .	١٩٢
٢٠٧	قال تعالى : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » .	١٩٢

رقم مسلسل	الآيـــــــــة	رقم الصفحة
٤٠٩	قال تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » .	٢٥٥
٤١٠	« « : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .	٢٦٠
٤١١	« « : « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .	٢٦٠
٤١٢	« « : « إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني » .	٢٦٢
٤١٣	« « : « إني أنا الله رب العالمين » .	٢٦٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بلغوا عني ولو آية ، وحدثوا عني بني اسرائيل ولا حرج . ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .	٥
٢	قال صلى الله عليه وسلم : « ليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع »	٦
٣	قال صلى الله عليه وسلم : « نضر الله إمرأ سمع منا حديثا فبلغه إلى من لم يسمعه ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه » .	٦
٤	قال صلى الله عليه وسلم : « ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي ، فإن قريشًا منعوني أن أبلغ كلام ربي » .	٦
٥	قال صلى الله عليه وسلم : « لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو » .	٨
٦	قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة إذا بقى ثلث الليل فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه . ومن يستغفرني فأغفر له » .	١٤
٧	قال صلى الله عليه وسلم : « إذا أحب الله العبد نادى في السماء : يا جبريل ، إني أحب فلانًا فأحبه ، فيحبه جبريل ، وينادي في السماء : إن الله يحب فلانًا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ويوضع له القبول في الأرض » .	١٥
٨	قال صلى الله عليه وسلم : « أعوذ بكلمات الله التامات » .	١٨
٩	قال صلى الله عليه وسلم : « من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت » .	٣٢
١٠	قال صلى الله عليه وسلم : « من حلف بغير الله فقد أشرك » .	٣٣
١١	قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يحدث من أمره ما شاء وان مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة »	٦٦
١٢	قال صلى الله عليه وسلم : « لا حسد إلا في إثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار . فقال رجل : لو أن لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل . ورجل آتاه الله مالاً ، فهو يهلكه في الحق . فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل » .	٧٤
١٣	قال صلى الله عليه وسلم : « عندما سئل عن متى كان نبيًا ؟ : قال : « وآدم بين الروح والجسد » .	٨٥
١٤	قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة	٨٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٥	قال صلى الله عليه وسلم : « يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوما نطفه ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد » . وفي طريق أخر وفي رواية : « ثم يبعث إليه الملك ، فيؤمر بأربع كلمات ، فيقال : اكتب رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح » .	٨٦
١٦	قال صلى الله عليه وسلم : « إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته » .	٨٦
١٧	قال صلى الله عليه وسلم : « إستذكروا القرآن ، فلهو أشد تفصيًا من صدور الرجال من النعم من عقلها » .	٨٧
١٨	قال صلى الله عليه وسلم : « الجوف الذي ليس فيه شيء من القرآن كالبيت الخرب » .	٨٧
١٩	قال صلى الله عليه وسلم : « رؤيا الأنبياء وحي ، ورؤيا المؤمنين جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .	٩٥
٢٠	قال صلى الله عليه وسلم : « قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي فعمر » .	٩٥
٢١	قال صلى الله عليه وسلم : « عندما سئل عن كيف يأتيه الوحي ؟ قال : « أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس ، وهو أشد علي ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فاعي ما يقول » .	٩٧
٢٢	قال صلى الله عليه وسلم : « زينوا القرآن بأصواتكم » .	١٠٥
٢٣	قال صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى » .	١٠٨
٢٤	قال صلى الله عليه وسلم : « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .	١١٩
٢٥	قال صلى الله عليه وسلم : « لله أشد أذنًا إلى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته » .	١٢٠

رقم مسلسل	الحـــــــديث	رقم الصفحة
٢٦	قال صلى الله عليه وسلم : « يقول الله : أنا الرحمن ، خلقت الرحم وشققت لها من إسمي ، فمن وصلها وصلته ، ومن قطعها بتته » .	١٤٠
٢٧	قال صلى الله عليه وسلم : « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه . قالوا : اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟	١٤٤
٢٨	قال صلى الله عليه وسلم : « لتأخذن مأخذ الأمم قبلكم شبراً بشبر ، وذراعًا بذراع . قالوا : فارس والروم ؟ قال : ومن الناس إلا هؤلاء ؟! » .	١٤٥
٢٩	قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها مالم تتكلم به أو تعمل به » .	١٤٦
٣٠	قال صلى الله عليه وسلم : « وهل يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » .	١٤٦
٣١	قال صلى الله عليه وسلم : « كلمتان ثقيلتان في الميزان ، خفيفتان على اللسان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم » .	١٤٦
٣٢	قال صلى الله عليه وسلم : « إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند الموت إلا وجد روحه لها روحًا » .	١٤٦
٣٣	قال صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الأيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » .	١٤٨
٣٤	قال صلى الله عليه وسلم : « من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار »	١٤٨
٣٥	قال صلى الله عليه وسلم : « أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان وفي رواية : « مثقال ذرة من خير » .	١٦١
٣٦	قال صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وستون – أو بضعة وستون ، أو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .	١٦١
٣٧	قال صلى الله عليه وسلم : « والفرج يصدق ذلك ويكذبه » .	١٦٣
٣٨	قال صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حتى يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن »	١٦٤

رقم مسلسل	الحـــــــديث	رقم الصفحة
٣٩	قال صلى الله عليه وسلم : « من غشنا فليس منا » .	١٦٤
٤٠	قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير » .	١٦٥
٤١	قال صلى الله عليه وسلم : « صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم وصلاة النائم على النصف من صلاة القاعد » .	١٦٥
٤٢	قال صلى الله عليه وسلم : « شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي » .	١٦٧
٤٣	قال صلى الله عليه وسلم : « وإن زني وإن سرق وإن شرب الخمر » .	١٦٧
٤٤	قال صلى الله عليه وسلم : « لعن الخمر وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمولة إليه ، وشاربها ، وساقيها ، وبائعها ، ومبتاعها ، وآكل ثمنها .	١٧٠
٤٥	قال صلى الله عيه وسلم : « أعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش » و « أنه لم يقرأ بحرف منها إلا أعطيه » .	١٧٤
٤٦	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رجلا لم يعمل خيراً قط . فقال لأهله إذا مات فاحرقوه ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر ، فو الله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين . فلما مات الرجل ، فعلوا به كما أمرهم ، فأمر الله البر فجمع ما فيه ، وأمر البحر فجمع ما فيه ، فإذا هو قائم بين يديه . ثم قال : لم فعلت هذا ؟ قال : من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له » .	١٧٥
٤٧	قال صلى الله عليه وسلم : « إن الله يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان » .	١٧٦
٤٨	قال صلى الله عليه وسلم : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .	١٧٩
٤٩	قال صلى الله عليه وسلم : « إذا حاصرت أهل حصن فسألوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك وحكم أصحابك ، فإنك لا تدري ما حكم الله فيهم » .	١٨٠
٥٠	قال صلى الله عليه وسلم : « لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له » .	١٨٢
٥١	قال صلى الله عليه وسلم : « إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه » .	٩٩

رقم الصفحة	الحـــــديث	رقم مسلسل
٢١١	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلتقى آدم وموسى . قال آدم : أنت موسى الذي كلمك الله تكليمًا ، لم يجعل بينك وبينه رسولاً من خلقه » .	٥٢
٢١٣	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الحلال بين ، والحرام بين ، وبين ذلك أمور مشتبة لا يعلمها كثير من الناس » .	٥٣
٢١٣	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » .	٥٤
٢٣٤	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق » .	٥٥
٢٣٧	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل إمرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إمرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه» .	٥٦
٢٣٩	قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » .	٥٧
٢٥٥	لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصفا قرأ قوله تعالى : « إن الصفا والمروة من شعائر الله » وقال : نبدأ بما بدأ الله به » .	٥٨

فهـــرس الأعــلام

فهـــرس الموضوعـات